إصلاح المجتمع

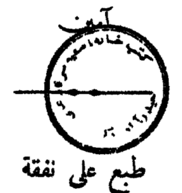
شرح مائة حديث من الصحيحين بما يتناسب والحالة الحاضرة

لصاحب الفضيلة

الشيخ محمد بن سالم البيحانى

أطال الله فى الصالحات بقاءه

آمين



طبع على نفقة

جماعة من أهل قوله تعالى (واحسنوا ان الله يحب المحسنين)

تقبل الله منهم وأثابهم بأحسن ما كانوا يعملون

ثمن النسخة : (٥) ربيات

إصلاح المجتمع

للعبد الفقير إلى مولاه

الشيخ محمد بن سالم بن حسين الكدادى

البيحانى

رجب ١٣٦٦ هـ = يونيه ١٩٤٧ م

طبع في

مطبعة فتاة الجزيرة بعدن

الاهداء

عي دين لازم وحق ثابت لكثير من الناس . وأعظمهم حقاً علي والدي ، الذى كان سبباً فى وجودي ، وله بعد الله الفضل الأكبر علي . نشأني نشأة دينية ، وعلمني كيف أعبد ربي وكيف أعامل الناس كافة .

ثم أستاذى العظيم صاحب الفضيلة السيد عبدالله بن عمر بن احمد بن عمر الشاطري العلوى الحضرمي كانت له بي عناية كبيرة وله علي يد بيضاء لا أستطيع مكافأته عليها إلا بالدعاء والترحم عليه . وهو أول من فتق لسانى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظني بنفسه الأربعين النووية وشرحها لي وكان يحرص جد الحرص على تعلمي الفقه والنحو والتجويد وعلم المواريث ويحث زملائى وأساتذتى الآخرين على العناية بى ومذاكرة دروسي . فجزاه الله عنى أفضل ما جزى به معلماً عن متعلم

واعترافاً بفضله وتقديراً لاحسانه أقدم هذا الكتاب هدية إلى روحه الطاهرة ، وأسأل الله أن يبلغه عنى التحية والسلام .

ولو كان سيدى الوالد الشيخ سالم بن حسين الكدادي رحمه الله حياً لما سره أن يكون هذا الكتاب هدية إلا إلى السيد الشاطرى ، تغمد الله الجميع بفضله وجمعنا بهم فى جنات النعيم مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

محمد بن سالم بن حسين الكدادى البيحانى

التعريف بالكتاب

يجـدر بى أن لا أتعرض فى كتابتى حول التعريف بكتاب «اصلاح المجتمع» للكلام عن مؤلفه صديقي الحميم ووليي الكريم المرشد الكبير فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن سالم البيحـانى لأن كلامى عنه يعتبر كلاماً عن نفسى فما عرفنى خصومه وأنصاره إلا صديقاً له منـذ عشرين عاماً تقريباً . فقد جمعتنى وإياه «مكة المكرمة» عام ١٣٤٧هـ وربطت بيننا وعرفت كل واحد بأخيـه حتى اشتركنا معاً فى الحملة على المذهب الوهـابى وأوشك أن يقبض علينا معاً فى نقاش حاد وجدال عنيف دار بيننا وبين أحـــد علماء الوهابية فى الحرم المكي .

ثم استمرت المراسلات من بعد الحج هو فى «عـدن» وأنا فى «اليمن» نتبادل الآراء وينقد كل واحد منا الآخر بشجاعة وصراحـة حتى أن حرية النقـد بيننا كانت من أشد عوامل دوام الصداقة والألفة إذ لا يقر بعضنـا بعضاً على ما ينكره عليه ولا يجامله ولا يتحاشى من نقـده . واعتقد أن الحكمة القائلة : «صديقك من صدقك لا من صدقك» كانت شعارنا جميعاً

وقد شاءت الأقدار أن توثق هذه الصلة الروحية وتزيدهـا قوة على قوة فاجتمعنا فى مصر عـام ١٣٥٧ هـ والتحقنا بالجامعة الأزهرية وعشنا ثلاث سنوات فى مكان واحد وأخذنا الشهادة العالمية فى يوم واحد وعلوم متحدة وكانت إقامتنا فى مصر من أسعد أيامنا وان كنت أنا أغلب من صديقى كثيراً واحتمل كثيراً فانه سامحه الله استغل رفع الحرج عنه من الله ووجـد لنفسه دليلاً فى كتاب الله (ليس على الأعمى حرج) فكنت منكوباً به من هـــذه الناحية فقط على أن له فضلاً كبيراً لا أنساه ويداً بيضاء لا انكرهـا فقد انقذنى من مشاكل كثيرة كان الوضع يقضى أن احلها أنا ولكنه برهن على

أنه أبصر منى ومن أهم هذه المشاكل مكافحته لخصم لدود عنيد أعيا المبصرين أمره وأعجز الحذاق الخلاص منه فاستطاع هو أن يؤلب هيئة الازهر عليه ويثير المشيخة كلها من أجله ويحملها على طرده من الأزهر واخراجه من الرواق . وسيدهش القارئ حين نقص عليه ان الأستاذ البيحانى كان يستقبل الضيوف والزائرين ويرحب بهم ويتولى عمل الشاي بنفسه ويضرم النار ويهيء القهوة ويتولى توزيعها ... وانه ينزل صباح كل يوم من الطابق الأعلى يشترى الصحف اليومية ويقدمها الينا لنقرأها عليه وسيطول الكلام حول هذه الشواهد إلا أن فى هذا اشارة إلى اننا صديقان من زمن بعيد جمع بيننا الجد والهزل والسراء والضراء وأنه لا سبيل الى أن ينكر أحدنا صداقة الآخر مهما كانت الظروف .

وأنا حين أتكلم عن الكتاب وأقدمه للقراء فلست أروج بضاعة صديقي لأستدر له الربح واضاعف قيمة الكتاب فلبست البضاعة بضاعته ولكنها أحاديث الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه عنى الأستاذ البيحانى بجمعها عناية خاصة وشغل لها وقته وتفكيره وأراد أن يثبت للناس أن السنة النبوية قد تكفلت بجميع وسائل السعادة والخير وعلوم الحياة وأنها ليست مقصورة على ناحية من نواحى الدين فقط كما يتوهم من لا علم لهم بتعاليم الاسلام الصحيحة . نعم ان هذه ليست بضاعة الأستاذ البيحانى ولكنها بضاعة الاسلام القويم والدين الصحيح الذى لم تغشه سحب الخرافة والدجل ولم تحجبه حجب الجمود والالحاد .

وليس الفضل للمؤلف إلا بتوفيقه لهذا الاتجاه وحسن الاختيار وانتقاء الأحاديث التى تتصل بإصلاح المجتمع وتمس حياة النـاس مباشرة وتنير لهم السبيل وتطمئنهم على أن فى دينهم من التعاليم ما لو عملوا بهـا لسادوا العالم وورثوا الأرض وحكموا الأمم واسعدوا البشرية وانقذوا الانسانية المعذبة .

ليس الفضل للمؤلف إلا انه كان موفقاً الى حد كبير فى تعليقاته على الأحاديث وكثرة الاستشهاد على ما يؤيدها ويسندها ثم التعرض لما يجرى

اليوم فى الممالك الاسلامية من التعاليم التي لا تتفق مع الدين الاسلامى ومبدئه وفى حملته على الظالمين والمستبدين الذين استخفوا بالشعوب والأمم واحتقروا ارادتها وعبثوا بحقوقها وتلاعبوا بمصيرها كما أنه أصبح متأثراً جداً بالحوادث المؤسفة التي تجرى على أديم الرقعة اليمانية باسم الاسلام خاصة ، «الخطاط» و «التنافيذ» و «الصرائب» . فقد تكلم فى ذلك كلاماً شافياً يجدر بأبناء اليمن أن يدرسوه بعناية ويروا حكم الله فى هذه الأمور .

ولم يترك التعرض للعادات التى تجرى فى عدن وغيرها على خلاف الشرع فى المآتم والأعراس وفى مختلف المناسبات التى تقام فيها الحفلات احياناً خاصة حفلات «الزار» المشئومة المذمومة كما أنه تناول مواضيع مختلفة فيها دروس للمسلمين وتوجيه صحيح كالناحية العسكرية فى الاسلام ، والرياضة وفوائدها ، وعزة الاسلام وقوته ، وتعليم المرأة وتهذيبها ، واعتماد الاسلام على الشباب ، وعنايته بالمساجد ، والأخذ بأسباب القوة ، والتضحية بالمال والنفس ، والرحمة والرأفة بالضعفاء ، والثبات على المبدأ ، ودعوة العلماء الى التفاهم واحلال الوئام محل الخصام ، وحسن المعاملة مع الخالق والمخلوقين وان الدين المعاملة ، وحقوق الرعاة والرعية من الملوك والأمراء والآباء والأزواج والأساتذة والمربين واصحاب الأقلام والصحفيين والخطباء . وذم الذل والخضوع وأنهما ينافيان الاسلام وآدابه وتعاليمه ، والشحاذة والتسول والعطالة والمسكرات والمخدرات ، والتعلق بالأوهام الباطلة ومخالفة القوانين وعدم الوقوف عند الحدود والاعتزاز بالحسب والنسب ... الى غير ذلك .

ويؤسفني أن لا أجد فراغاً استقصى فيه مطالعة الكتاب وأشير الى أبوابه التى جمعت ما لم يسبق مؤلف الى جمعه ولكن القراء سيجدون ما يتسع رغبتهم ويروى ظمأهم ، ويشفي صدورهم ويرضي نفوسهم . . . وإذا كانوا يزدحمون حول البيحانى عند سماع محاضرة أو خطبة أو القاء درس فمن الطبيعي أن يقبلوا على مؤلفه هذا فقد خصص له النفيس من وقته وعنى به

عناية كبرى وأحب أن يقدم هذه الثمار هنيئة شهية الى القراء فى بيوتهم فلا يشق عليهم أن يحضروا لسماعها ويتجشموا المشاق لتلقيها والانصات اليها كما أنه اراد ان يستجم من كثرة الخطب والمحاضرات والتردد على الأندية ورغب أن ينتقده الناس وهم أوسع مجالاً وأكثر حرية وبعداً عن المجاملة وترك لهم فرصة واسعة ليقرأوا أفكاره ويدرسوا آراءه وليتمكنوا من نقده وهو يرحب بنقدهم فان مجال النقد عند القراءة أوسع منه عند السماع .

ولا يفوتنى أن ألفت نظر القراء إلى ناحية هامة تتعلق بصديقي هذا وان كنت سأضايقه بالتعرض لها ولكنها حقيقة يجب أن يعرفها الناس . هذه الناحية هى اختلاف الناس فى البيحانى وانقسام مخاصميه الى معسكرين : فانصار القديم الجامدون وأنصار الجديد المتسرعون كلاهما يحملان عليه ولما كنت من ألصق الناس به وأعرفهم بآرائه وأفكاره فسأكشف الستار عن الحقيقة التي غابت عن كثير من الناس . وهى أن الأستاذ البيحانى برزخ بين القديم والحديث ومصلح مجدد يحذو حذو الأستاذ محمد عبده ويترسم خطاه يعرف هذا كل من اختلط به وسمع دروسه ومحاضراته وخطبه وقد امتاز بسرعة الحفظ والذكاء وقوة الحجة وحضور البديهة وسرعة الخاطر حتى أصبح من أبرز علماء السنة النبوية فى جنوب الجزيرة العربية وأعظم حفاظها وانصارها ومن قرأ كتابه «إصلاح المجتمع» عرف ما يحيط به البيحانى من أسرار الشريعة ومراميها وأهدافها . مد الله فى عمره ونفع به المسلمين والاسلام ؟

عدن — احمد محمد نعمان

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

باسمك اللهم نستعين على أمور الدنيا والدين ، وبك آمنا وعليك توكلنا وإليك المصير ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت وأنت على كل شيء قدير . ولك الحمد الكثير والشكر الدائم على هذه النعمة والمنة ، منة الإشتغال بالكتاب والسنة ، ونسألك اللهم عيشة السعداء وميتة الشهداء ومرافقة الأنبياء فى الجنة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعى إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعلى آله وأصحابه والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أما بعد فإليك أيها المسلم الكريم والعاكف المقيم ، على ملة صاحب الخلق العظيم ، والهادي إلى الصراط المستقيم ، مئة حديث شريف من كلام سيد الخلق على الإطلاق والقائل إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، تدل على الخير وأبوابه ، وترشد إلى الفضل واكتسابه . وكلها من الصحيحين للامامين المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما وموضوعها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والآداب السامية ، والعادات والتقاليد القومية الإسلامية ومحاربة الفساد والرذيلة ، وما أدخله على الإسلام ،أهله الملحدون المتنطعون ، والمقلدون الجامدون والمتدعون ، مما لا يتناسب مع تعاليم الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين . وقد جمعت هذه الأحاديث لنفسي ولمن يحتاج إليها من الأخوان ، ذاكراً بعد كل حديث ما يستفاد منه مما نحن بصدده ملتمساً بذلك رضاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم متقرباً إليه راغباً فى اللحوق بالسلف الصالح الذين كرسوا حياتهم وشغلوا أوقاتهم بخدمة السنة ومتابعة صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام فى الأقوال والأفعال وجعلتها خدمة للمسلمين وقياماً بواجب الوعظ والإرشاد ، مؤملاً من الخطباء والوعاظ أن يستعملوها فى محاضراتهم وأن يجعلوها المحور الذي يدور عليه حـديث مذاكراتهم وعلى الله وحده إعتمادي وإليه وجهتى واستنادي فهو المستعان وعليه التكلان .

(ومـا أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكـم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .)

الحديث الاول

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال :

﴿سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لـكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .﴾ (رواه البخاري ومسلم)

جـاء رجل إلى المدينة المنورة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يظهر الخير والرغبة فيما أعده الله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، ويبطن التزوج بإمرأة مهاجرة يقال لها أم قيس قد خطبها إلى نفسها فأبت حتى يهاجر فأطلع الله نبيه على سر الرجل ومـا يخفيه فى نفسه ، فذكـر الحديث عتاباً لمهاجر أم قيس وإخباراً لسائر أمته إن الله

لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، وإنه تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه . وفى الكتاب العزيز من الآيات الدالة على وجوب الإخلاص فيما يتقرب به العبد إلى ربه شيء كثير كقوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . وقوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) . وفى الحديث الشريف : (إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) . وأول من يقضى عليه يوم القيامة رجل قتل شهيداً فيعرفه ربه نعمه عليه حتى يعرفها ، ثم يقول له ما صنعت فيها فيقول جاهدت فيك ولك ومن أجلك حتى قتلت فى سبيلك فيقال له كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء وقد قيل فيسحب على وجهه إلى النار . ورجل تعلم وعلم وقرأ القرآن يقول له ربه ما صنعت فيما آتيتك فيقول تعلمت لك العلم وعلمته وقرأت من أجلك القرآن فيقال له كذبت إنما تعلمت ليقال عالم وقرأت ليقال قارئ وقد قيل فيسحب على وجهه إلى النار . ورجل آتاه الله مالاً فأنفقه هنا وهناك فيسأله ربه عما أعطاه فيقول أنفقته فى سبيلك وصرفته فى وجوه البر والإحسان فيقال له كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال أنك جواد وقد قيل فيسحب على وجهه إلى النار . فيا من يريد الدنيا بالآخرة ويلتمس رضاء الناس بسخط الله عليه ، أين أنت من قول الشاعر :

وكل امرئ يوماً سيعرف سعيه ... إذا حصلت عند الإله الحصائل

فرويداً بنفسك ورفقاً بحالك . ويا حريصاً على ثناء الناس عليه وأن يمدحوه بما لا يستحق تدبر قول ربك تعالى : (ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) . وكن على يقين بأنك مسؤول عما تخفيه ومحاسب على ما تكتمه وتبديه وللآخرة خير لك من الأولى ، والذي عند الله

أقرب مما في يديك والذي تريد من غيره بعيد عنك ومتعذر عليك ولا تخدعن نفسك بإصلاح عملك الظاهر مع فساد قلبك بحب السمعة والرياء ولا تحسبن الله يجهل حقيقة أمرك ومكنون سرك . (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) . وزينة المرء علمه وزينة العلم العمل وكل عمل لا يقبله الله ولا ينتفع به صاحبه ولا يؤدى به المأمور به إلا مع الإخلاص وأن تريد به الله وحده . وسر النجاح وبلوغ الغاية التي يسمى إليها النبي والعالم والملك والزعيم وغيرهم هو الإخلاص وسواء كان عملك خيراً أو شراً وكنت فيه مصيباً أو مخطئاً وهو للدين أو الوطن دفعاً أو رفعاً والغرض سيئ أو شريف فإنه لا بد معه من الإخلاص الذى يجعلك تجود بنفسك ومالك من أجله وما يقتل في المعركة وينفق ما لديه ويصوم النهار ويقوم الليل ويضحي بكل مصلحة ويحتمل كل مشقة إلا مخلص لمبدئه وعقيدته ودينه الذى يعبد به ربه ومذهبه الذى يسير عليه تديناً أو سياسة . فلينظر كل امرئ إلى عمله ولا يتعب نفسه بفعل ولا ترك إلا متى شعر بأنه مخلص وإلا فإنه فاشل في محاولته وخائب في عمله وجزاؤه ضياع مجهوده وشماتة أعدائه ، ويوم القيامة يظهر سره ويهتك ستره وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء . (أم يحسبون أنا لا نعلم سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

الحديث الثاني

عن جندب بن عبدالله بن أبي سفيان رضي الله عنه ، قال :

﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به ﴾

(رواه البخاري ومسلم)

أضر شيء على العبد أن يعمل عملاً أو يقول قولاً لا يريد به وجه الله جميل ظاهره قبيح باطنه يسر غير ما يعلن ويظهر خلاف ما يبطن يسبح ويهلل ويقرأ القرآن ويخطب ويعلم ويدعو الى الله بلسانه وقلبه غافل وذاهل وبغير الله مشغول وعلى سواه معول ومتكل وحسبه من الخير ثناء الجاهلين عليه واستمالة قلوبهم اليه إذا قرأ جود وإذا وعظ بكى وإذا خطب أو درس لم يلحن وجاء بالعجب العجاب ولو أخلص فى قوله لكان الزعيم المطاع والمصلح الحكيم والمرشد العظيم ، واذا رأيته يصلي ظننته اسرافيل وان أبصرته يتصدق حسبته ميكائيل وان لقيته صائماً معتكفاً لم تشك فى انه جبريل ولكنه الخادع المنافق والكذاب المكار المزور يقول بفيه ما ليس فى قلبه ويرائي الناس بما يعمله لربه وفيه يقول الله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) . وبهذا الحديث يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الرياء والسمعة وان يعمل المسلم عملاً يبتغي به الشهرة وثناء الناس عليه لأنه لا يصنع الخير حباً فيه ولا يترك الشر كراهة له بل ربما إذا خلا بنفسه ارتكب العظائم واقترف الجرائم وقصر فى الواجبات والمندوبات ومن أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى . وقال عليه الصلاة والسلام يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل : أبي يغترون أم علي يجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيرانا ، ولا يصاب بالرياء إلا الذين يعملون الخير بظواهرهم وهم بالله وآياته يستهزئون ، وقد سبق أن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم . وحيث قال تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) واراد بذلك ما كان خالياً عن الرياء والسمعة فقد احبط عمل المرائين وتوعدهم بالعذاب الشديد فى الآية نفسها . (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) وكل عمل

فيه رياء معدود من السيئات وإن كان صالحاً فى ظاهره وما يلبث صاحبه أن يظهر سره ويتضح أمره فيحيق به مكره وعلى الاخلاص وعدمه يترتب حسن الخاتمة وسوؤها . كما جاء فى الحديث الشريف : (ان احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) وكان مع المسلمين يوم احد رجل يقاتل حتى أعجب به وقيل فيه خيراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار واستغرب الناس ذلك وقام أحدهم ينظر أعماله وما يصنع يومئذ حتى إذا أثخنته الجراح أخذ سيفه فانتحر به وقتل نفسه وقيل له فى ذلك فقال انه كان يقاتل حمية وعصبية وأبى الله عليه إلا أن يموت على نيته وصدق فيه حديث من لا ينطق عن الهوى . وقال رجل يا رسول الله أحدنا يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله . ويدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المؤمنين والذين يتتبعون عثرات الناس ويتكشفون عوراتهم من اجل أن يفضحوهم وإذا سمعوا منهم الكلمة طاروا بها فى الآفاق وملأوا بها القلوب والآذان لا لشيء سوى الانكار على قائلها والتسميع به والله لا يحب كل أفاك أثيم . وفى كتب الصوفية والترغيب والترهيب من ذم الرياء وأهله ما فيه موعظة للمتقين وذكرى للذاكرين . وأخوف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف على امته الرياء وهو الشرك الاصغر (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

الحديث الثالث

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال :

﴿ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب . ﴾

(رواه البخارى ومسلم)

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء من المطعومات أحلالاً هى أم حرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال ما أحله الله فى كتابه والحرام ما حرمه فى كتابه الحديث . رواه الترمذى وغيره عن سلمان الفارسى . قال العلماء ومثله حديث النعمان بن بشير ان الحلال بين (الخ) . وفيه الحث على ترك المتشابهات من الأمور فى المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها وان المتورع الكامل الايمان يترك ما يشك فى حكمه خشية أن يقع فيما نهى الله عنه . وفى حديث الحسن بن علي رضى الله عنهما عن جده صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) . وباتقاء الشبهات تقع براءة المسلم فى دينه وعرضه فلا يلام على شىء فعله ولا يعاتب على شىء تركه وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة فى الطريق فلم يمنعه من أكلها الا خشية أن تكون من الصدقة التى حرمها الله على محمد وعلى آل محمد

وهذا الحدبث من قواعد الدين وأسسه التى يقوم عليها وقد أطال

شراحه الكلام عليه لكثرة معانيه وجمعه بين الفوائد المتفرقة والأحكام التى لا تحصل من كلام قليل الا اذا كان من منطوق من أتاه الله جوامع الكلم وأقسم عليه تعالى بأنه لا ينطق عن الهوى ، فقد يأخذ منه الفقيه مسائله ويرجع اليه الأصولي فى قواعده ويصدر عنه المتصوف فى قوله وفعله .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وليس الورع أن تترك ما نص الكتاب أو السنة الصحيحة على حله كأكل اللحم والبر والسمن والعسل ولبس الثياب الجميلة غير الحرير وتدعي أن ذلك زهد فى الدنيا ومنع لنفسك من شهواتها فانما هى من زينة الله التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق التى أباحها للمؤمنين بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) واذ كانت الأعضاء تابعة للقلب فيما يريد وما لا يريد نبه صلى الله عليه وسلم على أنه المضغة التى يترتب عليها صلاح الجسد وفساده . وأعظم ما يصلح به القلب وتنشط به الأعضاء فى طاعة الله هو العلم الذى تقع به معرفة الله بصفاته ومراقبته فى كل حال والخوف منه ورجاؤه والرغبة فيما عنده والرهبة مما لديه والاعتماد فى المهمات كلها عليه ويترتب عليه الاعتقاد الصحيح والتصديق بجزاء الناس على أعمالهم ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً . وأعظم ما يفسد به القلب هو الجهل الذى يقع به الاعتقاد الفاسد والجرأة على الله بانتهاك محارمه وفعل معاصيه كالعجب والكبر والحسد والرياء وسوء الظن بالله وبعباد الله واحتقار النعمة والاستخفاف بأوامر الله ، وهو محل الايمان والكفر والطاعة والمخالفة ومقر العقل الذى يعرف به الحسن والقبيح والضار والنافع (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ، الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) .

الحديث الرابع

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال :

﴿ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العلياء خير من اليد السفلى ، قال حكيم فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً . ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل فقال يا معشر المسلمين اشهدكم على حكيم انى أعرض عليه حقه الذي قسم الله له فى هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفي رضى الله عنه ﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

(ومعنى لا ارزأ لا آخذ من أحد شيئاً) .

عليك من الله صلاته وسلامه يا أحسن الناس خلقاً واهداهم الى الخير طرقاً فأنت الذى لا ترد سائل ولا تخيب مؤمل ولا تمسك المال حباً فيه وحرصاً عليه ، ولا تنفقه الا فى وجوه البر والاحسان كما يأمرك الله تتألف به القلوب وتستميل به الأهواء ، وان المئات من الابل والألوف من الغنم والعدد الكثير من الدراهم والدنانير تدفعه الى الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس من الأعراب ، والى ابى سفيان وصفوان بن

أمية وحكيم بن حزام من قريش لأعظم عامل فى هـدايتهم وأكبر سبب فى اسلامهم فقد علموا منك انك تعطى عطاء من لا يخشى الفاقـة ، وانك لم تجعل الدنيا الا مطية توصل الى الآخرة . ولو قلت لحـكيم لا وقـد سألك المرة بعد المرة أو منعته العطاء لوجد فى نفسه شيئاً عليك ولظن بك الظنون ولـكنك فى أدبك المفرد وتعليمك السامي وأسلوبك الحـكيم تدفع اليـه الـكثير وتذم له المال واشراف النفس اليه ، فيصبح قانعاً بعد الطمع وزاهداً فى الدنيا بعد التفانى فى حبها . وأي كلمة أبلغ فى ذم المسألة والتعرض لما فى أيدى الناس من قولك صلى الله عليك (اليد العليا خير من اليد السفلى) ولله در القائل :

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس ... بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

فما ينبغي لذى همة علية ونفس زكية بعد هذا أن يبسط كفه الى أحـد من النـاس ، ولـكن غفلت أمتك عن آدابك وأعرضت عن تعاليمـك التى لو تمسكوا بها لجاءتهم الدنيا مرغمة وسيق اليهم الخير من كل مكان . واني لأنصح العائشين بالجاه والمعتمدين على مالهم من الحيثية بفضل العلم أو النسب أن يكتبوا هذا الحديث على صفحات قلوبهم لتقرأه نفوسهم كلـما تطلعت الى أخذ المـال من غير حله وكلـما طمعت فى الحصول عليه بسؤال النـــاس واستجدائهم ، وأن يحفظوا معه حديث الرجل الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال ازهـد فى الدنيـا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك النـاس . والاعتماد على الله ثم على النفس من أفضل صفات المؤمنين حتى قال بعضهم :

الموت أسهل عندى ... بين الضنا والأسنة
والخيل تجرى سراعاً ... مقطعـات الأعنـة
من أن يكون لشخص ... علي فضل ومنـة

ولـكثرة ما ورد النهى عن سؤال الناس والتعويل عليهم كان بعض الصحابة

يسقط سوطه وهو راكب فينزل ويأخذه كراهة أن يستعين بأحد فيما لا حاجة للتعاون فيه .

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل والتماس المال واكتسابه مع معرفة حق الله فيه وجعله وسيلة بتقرب بها الى الله خير من الانقطاع للعبادة وملازمة المساجد والمدارس للصلاة وطلب العلم مع التقصير فى طلب العيش الذى هو فريصة على المسلم بعد الفريضة وكل من الافراط والتفريط مذموم والله تعالى يقول : (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) .

الحديث الخامس

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه :

﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فان صدقا البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحاً ويمحقا بركة بيعهما واليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب .﴾ (رواه البخاري ومسلم)

جعل الله للناس مخرجاً وفرجاً من كل صيق وحرج يقعون فيه . فمن ذلك أن أحد المتبايعين قد يندم على ما أخذ أو أعطى ويرى أنه غبن فيما فعل ، فكان الخيار فى المجلس لكل منهما حتى يتفرقا ، فإذا نظر أحدهما فى الثمن أو المثمن أخذه أو تركه غير نادم ولا ملوم . وتوسعت الشريعة الإسلامية

فى إقالة النادم وحفظ الحقوق ، فجعلت خيار المجلس وخيار الشرط والرد بالعيب ولو بعد حين للمتبايعين . وبعد هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أقال مسلماً بيعته أقال الله عثرته) . وربما كان الناس يترافعون إليه صلى الله عليه وسلم فى كثير من هذه القضايا ، وأكثر ما يتعاملون به البيع والشراء ، فجعل لهم الخيار بأنواعه الثلاثة قطعاً للنزاع وحسماً لمادة الإختلاف . وفى الحديث الأمر بحسن المعاملة وإخلاص كل من المتعاملين للآخر ، وبالصدق تحصل البركة وتتم ثقة المسلم بأخيه ، والمرء مستور بعدم التجربة وهي محك الرجال ومفاتيح أسرارهم . وكم من تقي فى ظاهره متباعد عن الصغائر ومحقرات الأمور ونفسه فاجرة لا تتورع من إهراق دم المسلم وأكل ماله وهتك عرضه متى كان وراء ذلك درهم أو دينار يؤمل الحصول عليه ويتوهم أنه صائر إليه :

قوم هم شر خلق الله قاطبة — وأخبث الناس في الدنيا وفي الدين
هم في الظواهر زهاد أولو ورع — وفي البواطن أخوان الشياطين
يحرمون الذي حل الإله لهم — ويستبيحون أموال المساكين
يا بئس ما فعلوا يا بئس ما تركوا — وهم يعدون فينا بالملايين

وباتخاذ المكر والخديعة والغش فى الأخذ والعطاء وسيلة للرزق تمحق البركات وتذهب فائدة السعي فى طلبه . وربما أستفاد أحد المتبايعين ربحاً محسوساً فكان سبباً فى ذهاب رأس المال وأرباحه . ومن أمثال العوام : (الحرام يذهب الحلال والحرام) ومن الناس من يدير أعماله كلها على الأيمان صادقاً وكاذباً فلا تسمع منه إلا قوله لا والله وبلى والله يخدع بها المؤمن الصادق فيها والمصدق بها والمؤمن غر كريم . وهذا الحلاف المهين قد يكسب الكثير والقليل من المال بيمينه الغموس فيشمله قول الله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) .

الحديث السادس

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ﴾ (رواه البخاري ومسلم)

الحديث السابع

وعنه رضي الله عنه قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغض في الله ، وأن توقــد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً . ﴾ (رواه البخاري ومسلم)

هذان حديثان عظيمان جديران بالحفظ وفهم معناهما لما يشتملان عليه من شعب الإيمان الذى يزيد وينقص فى قلوب أهله بحسب أعمالهم زيادة ونقصاناً . وفى الأول الحث على أن تحب لأخيك المسلم من الخير ما تحب لنفسك ومثله أن تكره له الشر كما تكره لنفسك . وإذا كنت ذا مال وبنين أو صحة فى جسمك وسلامة فى عقلك وعلو فى منزلتك أحببت لأخوانك المؤمنين أن ينالوا من الخير مثل الذى نلته وأن يكونوا على حالة من السعادة العاجلة أو الآجلة مثل الذى أنت عليها وزيادة . وليس بواجب عليك أن تحب زوال النعمة عن نفسك إلى أحيك ، بل الواجب الذى هو من كمال الإيمان محبتك له أن يعطيه الله حيراً لا تنافسه فيه ولا تحسده عليه وقد قال صلى الله عليه

وسلم : إتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، واحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً . وفى الثاني الأمر بمحبة الله التي تدعو المتصف بها إلى طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وأن تعبده تعالى وحده لا ترغب إلا فيما عنده ولا ترهب إلا مما لديه . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، تصلح ما بينك وبينه وإن فسد ما بينك وبين غيره .

فليتك تحلو والحيـــاة مريرة وليتك ترضى والأنـام غضاب

إذا كان مـا بيني وبينك عامر فبيني وبين العالمين حراب

ولا يجوز لأحد إدعاء محبة الله مع السقوط فى الذنوب والغرق فى الآثام وأن يبطن من الشر غير الذى يظهر من الخير ، فهو إذا رآه الناس جعلهم يتوهمون أنه من الملائكة ، وإذا خلا بنفسه بارز الله بالمعاصي وجاهره بترك الواجبات لا يعرف معنى الاحسان ولا قول الله جل ذكره (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) . وقد أمر الله بالاحسان فى كل شيء من الطاعات وبترك المعاصي فى السر والعلن والظاهر والباطن وذلك حقيقة التقوى ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ، ويكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، ويرزقه من حث لا يحتسب ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ، (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا) . وأصدق شاهد وأوضح برهان على محبته تعالى أن لا تكون لك حركة ولا سكون إلا وفق تشريعه وطبق مراده .

وفيه أيضاً الأمر بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو المرشد الأعظم والهادي من الضلالة والمخلص المنقذ من الكفر والغواية . وقد أوجب الله حبه واحترامه وتعظيمه وقرن ذلك بما يحب له تعالى ، فقال . (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) وأمر بطاعته وقبول حكمه ، فقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال أيضاً : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما

قضيت ويسلموا تسليما) . ودليل محبته صلى الله عليه وسلم متابعة دينه وسلوك سبيله التي كان يدعو إليها على بصيرة (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) لا كثرة مدحه والثناء عليه وقراءة المولد وإنشاء القصائد فيه فقط فإنه غني عن ذلك وحسبه من الثناء ثناء الله عليه (وان لك لأجراً غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم) . أما إذا اقترن القول بالفعل تفانياً فى حبه عليه الصلاة والسلام فذلك تمام الايمان المأمور به فى هذا الحديث ، والحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الايمان وأقوى روابطه بين أهله وذويه ، فصادق الايمان يحب أخاه لدينه وأمانته ونشاطه فى العبادة وقيامه بالواجب عليه لله ولبلاده ومواطنيه وأنه قريب من الخير بعيد من الشر ، ويكره الفاسق والمنافق لكذبه وخيانته وارتكابه المعاصى وما يسخط الله تعالى . ولا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر موالاة الذين يكفرون بآيات الله ولا يجتنبون كبائر الاثم والفواحش زاعماً أن ذلك من حسن الأخلاق وسلامة الذوق وطيب المجاملة مستدلاً بقول الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) فهذا كلام حق أريد به الباطل ، والموالاة التي هي الحب والرضاء مغايرة للبر والاحسان إلى من يخالفك فى الدين ويباينك فى العقيدة فربما كان برك به وإقساطك اليه سبباً فى هدايته واغتباطه بدينك الحق . أما رضاك بما يصنع وسكوتك على قبيح فعله وفاحش قوله فخروج على قول العزيز الحكيم (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم) (الآية) . وجاء فى كتاب الله مدح المهاجرين الذين نغضوا قومهم فى الله والثناء على الأنصار الذين شاركوا أخوانهم القادمين عليهم والنازلين بهم فى أموالهم وبيوتهم حباً فى الله وإرضاء له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وما ذاك إلا لأنهم وجدوا طعم الايمان وتلذذوا بحلاوته وحسبك من ذلك أن أبا عبيدة ابن الجراح يقتل أباه فى الله ويقتل مصعب

ابن عمير أخاه كذلك وأن سعد بن الربيع الأنصاري يشاطر أخاه عبدالرحمن بن عوف ماله ويسكنه المكان الأعلى من بيته ويقول له اختر إحدى زوجتي هاتين أنزل لك عنها فيأبى عبدالرحمن ويقول بارك الله لك فى أهلك ومالك دلونى على السوق . وحكاية السبعة الذين جرحوا فى سبيل الله وقد بلغ منهم العطش نهايته فيأتيهم الساقي بالماء القليل ويؤثر كل منهم صاحبه بالشرب أولاً حتى ماتوا ولم يطعموا الماء كلهم حكاية مشهورة (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهكذا يكون الحب فى الله والبغض فى الله وان لنا بهؤلاء لأسوة حسنة والله المستعان . وكل من خالطت قلبه بشاشة الايمان فانه يكره الكفر كما يكره النار بل أشد غير أن من الناس من يعطي الدنية فى دينه وتفتنه المظاهر أو يخاف من شيء يصيبه أو يعجز عن تحمل ما نزل به فيظهر غير الذى يبطن ويوافق بلسانه على أشياء ينكرها قلبه ولا يقرها ايمانه وذلك من حب العاجلة وضعف العزيمة وقلة الصبر والمداهنة التى يراد بها السلامة من الفتنة أو استمالة قلب المجاهر بالمعصية المتظاهر بالكفر والفسوق والعصيان وقد يقول أحد أنا لا أحب الشر ولا أرضى لأحد بالكفر ولكننى أعجز عن ازالة المنكر ولا أستطيع أن أجهر بما أعتقد من الحق فأنا أنافق لأوافق ولو تكلمت بالصدق ونطقت بالحق لعوديت وأوذيت ويا لها من حجة ما أبردها ويا له من دفاع ما أضعفه وتعساً له من جبان رعديد ما أسخفه وهبه كان معذوراً فى السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فما عذره عند الله والناس فى موافقته على الكفر وأعمال المشركين وما حجته عند الله يوم يسأله عن الجهاد فى سبيله والدفاع عن دينه وربما يقول المفتون المداهن ان الله لم يتوعد بالعذاب الشديد من أكره بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان ولكن متى كان مكرهاً وكيف حملوه على مجاملتهم والرضى بصنيعهم وهو حر فى دينه وليس بمحتاج الى التقية التى أذن الله فيها بقوله تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله

فى شىء الا أن تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) .

الحديث الثامن

عن أبى أيوب الأنصاري رضى الله عنه :

﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .﴾ (رواه البخارى ومسلم)

عياذاً بك اللهم علام الغيوب ومصرف القلوب من الهجر والقطيعة والجفاء والحقد والعداوة والتباغض والشحناء ومن فتنة الشيطان بالتحريش بين المؤمنين واغراء العداوة بينهم لأتفه الأسباب ومحقرات الأمور ، وهم الذين طهر الله قلوبهم بالايمان ونزع من صدورهم حظ الشيطان بأدب السنة والقرآن ، فشرع لهم السلام والمصافحة عند اللقاء ، وأمرهم باظهار التوادد والتحابب بينهم ليطمئن كل الى اخيه ويفضى اليه سره ويطلعه على خفى أمره ويرى فيه خير نصير ومعين على الحق وتكاليف الحياه ومتاعب دنياه .
وفى الحديث الشريف : (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا فهل أدلكم على شىء ان فعلتموه تحاببتم افشاء السلام بينكم) ولحرمة المسلم على المسلم وحق كل على أخيه نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الهجر والجفاء واعراض بعضهم عن بعض ، ووقت لجوار ذلك عند حاجة تدعو اليه ثلاث ليال فقط ، الا اذا كان من تهجره فاسقاً أو مبتدعاً واقتضى الهجر اصلاح دينه بتوبته ورجوعه عما كان عليه أو التحذير منه والتنفير عنه وجعله عند الناس كالمجذوم ومن به مرض معدى ليبتعدوا عنه وليتقوا

شره .

ـ وما تسلم الجرباء بقرب سليمة اليها ولكن السليمة تجرب

وحين تخلف كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهم قادرون على الخروج معه والجهاد فى سبيل الله هجرهم بعد ما رجع الى المدينة نحو خمسين ليلة الى أن تاب الله عليهم وأظهر للناس ندمهم على ما فات وتقصيرهم فيما أوجب الله عليهم وكان ذلك بعد ما ضاقت عليهم الارض بما رحبت وتركهم القريب والبعيد من المسلمين حتى أهلهم وزوجاتهم وتلك سنة نبوية اريد بها التنفير عن المسيئين وهجر الأمة للمجرمين حتى يكفوا عن جرائمهم ويتوبوا الى الله عن آثامهم .

ولا بأس بما يقصده الرجل من تأديب زوجته بالهجر فوق ثلاث إذا كان ذلك نافعاً علماً أو ظناً بعد وعظها وتذكيرها بما عليها لزوجها من الطاعة الشرعية .

وثبت فى الحديث أن الله لا ينظر إلى مشاحن وأن أعمال العباد تعرض عليه فى كل إثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً إلا إمرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا . وقال صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار . ويؤسفنا والله ما نراه اليوم ومنذ أزمنة بعيدة بين علماء الدين وحملة الشريعة من الهجر والتنافر وهم يعلمون إثم ذلك وما يجره على الأتباع من الويل والشرور ، فقد جعلوا تلاميذهم ومن يأتم بهم فرقاً وأحزاباً وصيروهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً ويحكم هذا بكفر هذا ويضلل الجاهل منهم العالم ولا ينظر إليه إلا شزرا لا لشيء سوى طغيان المادة على أنفسهم والحسد الذى نأكل قلوبهم ويحملهم على الحط من قدر فلان ونسبة كل عيب اليه وهم يعلمون طهره وجلالة قدره . وإلى الله نشكو ما تعانيه هذه البلاد من قول الشاعر :

أي شيء نراه داءاً عضالاً مثل ما في البلاد من أحزاب

نحن ما بين شافعي دعي وجهول معاند وهابي

يزعم الكل أنه في طريق ٍ سار فيها الرسول بالأصحاب
فرقوا الدين ثم جاءوا بشيء ليس في سنة ولا في كتاب

فالله نسأل أن يجمع الشمل ويوحد الكلمة ويصلح ذات بين المسلمين جميعاً رؤساء ومرؤوسين وعلماء ومتعلمين آمين . (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

الحديث التاسع

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة﴾

(رواه البخاري ومسلم)

الحديث العاشر

عنه رضى الله عنه قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر﴾

(رواه البخارى ومسلم)

دماء المسلمين وأعراضهم عند الله مكرمة محترمة لا يحل سفكها وانتهاكها إلا بحق أذن الشارع فيه من حد أو قصاص وقد بين الحدشان أمر دم المسلم

وعرضه وأن الإعتداء على ذلك يعد فسوقاً وكفراً ما لم يكن المؤمن متلبساً بشيء من القبائح أو ساعياً فى الأرض بالفساد فيحل بل يجب تأديبه وإيقافه عند حده بالقتل تارة وبالحبس والتعزير والتغريم تارة أخرى . وفى الحديث التاسع بيان المواضع التى تبيح قتله وإهراق دمه وهي أن يكون زانياً محصناً قد وطأ فى عقد صحيح فيرجم بالحجارة حتى يموت سواء كان ذلك بإقراره المعتبر شرعاً أو بإثبات أربعة شهود من المسلمين عدول يقولون أنهم قد رأوه على جريمته وشاهدوا خنجره فى فريسته يصرحون ولا يكنون بما شاهدوه منه وإذ ذاك يقتل ولا يمهل فيكون عبرة لغيره وتستقيم أخلاق الأمة وتحفظ كرامتها :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولو أقيمت حدود الله وحيل بين الظلمة وبين تعديها لما رجع المسلمون القهقرى وساروا إلى وراء وسقطوا فى الحضيض واستحقوا من الله مقته وتغيير ما أنعم به عليهم وهو لا يغير نعمة أنعم بها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وفى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) . ويقول الذين لم يعرفوا الإسلام وسر تشريعه أن فى إقامة الحدود بالقتل والقطع والجلد غلظة وقسوة ووحشية لا تليق بحضارة اليوم ولا تقرها مدنية القرن العشرين وهم الذين يقتلون الأبرياء ويستعبدون الضعفاء وينسفون بمخترعاتهم الجهنمية المدن العظيمة والعواصم الكبيرة وفيها من البشر مئات الألوف بل الملايين لا ذنب لهم ولا مبرر لصنيع الظلمة بهم غير الهمجية التي يسمونها مدنية ، والوحشية التي قتلت فى أصحابها الفضيلة والإنسانية :

سموك يا عصر الظلام سفاهــة عصر الضياء وانت شر الاعصر
وتقدمت فيـك الحضارة حسبما قالوا فيـــا وحشية المتحضر
وتنورت فيـك العقول وانمـا يقع الخراب بزلـة المتنور
والعلم قـد يأتى بكل بليـة ويسير نحو الموت بالمستبصر
والواقع الصحيح أنها لا تحفظ الدماء والأموال والأعراض وتصلح البلاد ويسود فيها الأمن والاطمئنــان إلا باقامة الحدود وقطع الأكف الأثيمــة وسد أفواه الذين لا يعرفون ما يدخلون فيها ولا ما يخرجون منها وأى ذنب هو أعظم عندالله بعد الشرك به تعالى من قتل النفس التى حرم الله بغير حق لما فيه من ايلام المقتول واثكال أهله وترميل نسائه وايتام اطفاله واضاعة حقوقه وقطع اعماله بقطع حياته . ولذلك شرع الله القصاص وأمر به فى كتابه العزيز فقال جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من اخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولـكم فى القصاص حيـاة يا أولى الألباب لعلـكم تتقون) . ومن فارق الجماعة وشق عصى الطاعة بترك دينـه والخروج على امامــه الصحيحة بيعته المفروضة طاعته فهو أيضاً حلال الدم لازالة الفتنــة وقطع دابر الفساد بانتشار الفوضاء واحداث القـلاقل والاضطرابات التى لا تسبب إلا التفرق واختلاف الـكلمة كما وقع ذلك عند زوال الدول الاسلامية وقيام دول أخرى على انقاضها فى الحجـاز والعراق والشام واليمن ومصر والأندلس والمغربين الاقصى والأدنى وغيرها من الأقطار التي تعاقبت عليها الدول وعبثت بها الأغراض والأهواء فكانوا كما قيل :
(وتفرقوا شيعاً فكـل قبيـلة فيهـا أمير المؤمنين ومنبر)
ولا يحل قتل من ترك دينه إلا إذا جحد مجمعاً على وجوبه أو تحريمه . وقد افرط المسلمون فى تكفير بعضهم بعضاً وسفك دمائهم واستباحة أعراضهم حتى لا ترى جماعة فى مجلس واحد إلا وفيهم الرافضى والناصبي والاشعرى

والمعتزلي والسني والبدعي وكلهم يتباغضون ويتنـازعون بصدور موغورة وأنفس مغرورة وألسنة ألفت السباب والشتائم والحال ان أكثر أصول مذاهبهم وأمهـات كتبهم لا تكفر أحداً من اهل القبـلة فمتى يعودون الى كتـابهم العزيز وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ومتى يفهمون قوله تعـالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

الحديث الحادي عشر

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

﴿لا يشر أحـدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى لعـل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار﴾ (رواه البخاري ومسلم)

يحتمل الحديث النهى عن اشارة المسلم الى أخيه بسلاحه جاداً أو مازحاً اذ الانسان عرضة للشيطان إلا من عصمه الله فقد يحمله الغضب لأقل شيء على قتل اخيه المؤمن أو جرحه فيندم وقد سبق السيف العـذل ويقول بعد ذلك يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ، ويا أسفـا على ما صنعت بأخى لـكلمة سمعتها منه أو لشيء بلغني عنه أو لحق ضئيل تعدى عليـه وأضاعه وكان يسعني العفو عنه واحتمال أذاه ومسامحته أو انتظاره ، ولكنها نزغات الشيطان وتحكمه في لتسلطه علي وعـدم الامتثال لأوامر الله القائل (وامـا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعـذ بالله انه هو السميع العليم) ولا تحرم الاشارة بالسلاح إلا إذا قصد بها الشر أو المزاح المـذموم ولو كان السلاح سكيناً أو عصا إلا الصائل المتعدى على النفس أو المـال أو العرض فيخوف بأى شيء يردعه عن صياله وتعديه وان نفع تخويفه فـذاك وإلا فيقتل أو يضرب (فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتـدى عليكم واتقوا الله

واعلموا ان لله مع المتقين) وما نهيه صلى الله عليه وسلم عن المزاح بالسلاح إلا خوفاً من الشيطان على اهل الايمان فانه ينصب الحبائل لأحدهم ليوقعه فيما يجره الى النار ويدفعه الى سخط الله ، فسداً للذريعة نهينا عن المزاح الذي قد تكون عاقبته وخيمة ويفضى الى ترويع المسلم وربما أدى الى قتله وسفك دمه . وكم نعرف من الحوادث التي وقعت من هذا النوع ، وما أكثر ضحايا المزاح المذموم . وقد ورد فى النهي عنه من الآثار والأخبار وحكم الشعر والنثر ما لا يحصى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (المزاح استدراج من الشيطان ، واختلاس من الهوى) . وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه) . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله (أمنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور) . وقال بعض الحكماء لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح .

وإياك إياك المزاح فانه يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورث بعد العز صاحبه ذلا

نعم كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقا ، وكان يداعب أصحابه أحياناً بما يذهب وحشتهم ويهدئ من روع الذين كانوا يخافونه خوف الضعفاء من الملوك الجبابرة . وقد قال لرجل رآه ترتعد فرائصه خوفاً منه ، هون على نفسك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد . وقال لامرأة عجوز سألته المرافقة فى الجنة ان الجنة لا يدخلها عجوز ، فحزنت لذلك وبكت حتى قال لها أوما تقرئين قول الله سبحانه وتعالى (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عرباً أترابا) وما القصد بمزاحه صلى الله عليه وسلم إلا أن يقرب أصحابه اليه ويستميل قلوبهم فيحفظوا عنه ما يقول ويفهموا منه ما يريد ولكل مقال عنده مقال . وما أحسن الجد فى موضعه وما أجمل المزاح الذى لا تقع به إلا الألفة ولا يحصل به إلا الايناس . وللسلف الصالح أوقات وحالات يضحكون ويمزحون فيها ، ولا عيب فى شيء من ذلك إلا إذا كثر وجاوز الحد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا تكثر الضحك فإن كثره

الضحك تميت القلب) والافراط فى المزاح واللهو واللعب اخلال بالمروءة وغفلة عن ذكر الله . وقد عاتب المؤمنين حين أغرقوا فى ذلك وقست به قلوبهم فقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات . ﴾

(رواه البخاري ومسلم)

الموبقات المهلكات ، وكل واحدة من هذه السبع توقع صاحبها فى الهلكة ، وأعظمها شراً وأكبرها خطراً هو الشرك بالله الذى لا يغفر ابدا ولا يقبل معه من الصالحات شيئا (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وفى السحر جمع بين الكفر والاضرار بالناس لما يتوهم بسببه العامة والدهماء من قدرة الساحر على ما يريد واستطاعته أن يتصرف فى ملك الله بغير اذنه (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) . وقد يتأثر الضعيف بهذه التخيلات فيمرض أو يموت متى قيل له أن فلاناً قد سحرك أو خبأ لك الرزع فهو كما قيل :

الوهم امتن أسباب الحياه له آثارد فى سرور الناس والألم

ومن السحر ما يعرف اليوم بالزار والرزع وأعمال المشعوذين وتغريرهم بالنساء وضعفاء الاحلام . وتقدم الكلام على ما فى النهي عن قتل النفس التى حرم الله بغير حق وحرمة دم المسلم لا تنتهك إلا باحدى الثلاث الخصال المتقدمة فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه . ولليتامى على الناس تربيتهم والعناية بشأنهم حتى جعل القرآن كفالتهم وإنفاق المال عليهم من أركان البر وأسسه التى يقوم عليها . فما بالك بإثم من يأكل أموالهم ويستحل منها ما حرم الله عليه بقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) ، وقال تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده) . وليس من ذلك فعل الأصلح له وتنمية ماله بالبيع والشراء وسائر التصرفات فيه بما يعود عليه من الربح وبقاء رأس المال ، قال تعالى : (يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح) . وقد جعل الإسلام لأموال اليتامى نظاماً خاصاً وأذن للقائمين عليهم أن يأكلوا بالمعروف غير مبذرين ولا مسرفين بشرط أن يكون القائم فقيراً محتاجاً إلى ما يأكله ، فقال تعالى فى الآية الخاصة بهم : (ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) . وأكل الربا وتعاطيه من أكبر الذنوب عند الله وقد توعد صاحبه وآذنه بالحرب إن هو أصر عليه ولم يتب منه ، فقال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ء فإن لم تفعلوا فائذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده إذا علموا ذلك ملعونون يوم القيامة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . وما ظهر الربا والزنا بقرية إلا وظهر بأهلها الفقر والأمراض المعدية وظلم السلطان ، وبه تذهب الأموال وتمحق البركات وإن كانت فائدته محسوسة لأول ما يكون ، ومنه كثير من معاملات اليوم الفاسدة ، ولكن أكثر المسلمين قد أصبحوا الآن ويا للأسف لا يبالون بأي طريق جاء منها المال وتكونت منها الثروة ولو

بمخالفة النص الصريح وما يعافه الذوق السليم ، فالحرام عندهم ما تعذر أخذه والمقوت فى نظرهم من عجز عن الاكتساب حتى يغنى وقصر فى جمع المال من حله وغير حله . وما جعل الفرار من الزحف من موبقات الذنوب إلا لما فيه من الجبن والعجز ، وهذان خلقان سيئان مذمومان قد استعاذ بالله منهما رسوله صلى الله عليه وسلم القائل اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن ، والبخل ، والهرم ، والقسوة ، والغفلة ، والفسوق ، والشقاق ، والنفاق ، والسمعة ، والرياء ، وأعوذ بك من الصمم ، والبكم ، والجنون ، والجذام ، والبرص ، وسيئ الاسقام . ولا يجوز للمسلم المؤمن بقضاء الله وقدره المصدق بقوله تعالى (فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) ان يفر من معركة نتيجتها له على كل حال فاما الفتح والغنيمة واما الأجر والشهادة ولله در خالد بن الوليد رضى الله عنه حيث يقول وهو على فراش الموت (لقد حضرت زهاء مئة زحف فى الجاهلية والاسلام وما فى جسمى موضع شبر إلا وفيه طعنة برمح أو رشقة بسهم ، واليوم أموت حتف أنفى فلا نامت أعين الجبناء) وما جعل الله لمنته وغضبه على أحد كما جعلهما على القاذف ومن يرمي المحصنات الغافلات بغير ما فيهن وينسب إليهن الزناء وكبائر الاثم والفواحش . وحد القاذف إذا عجز عن إثبات أربعة شهود عدول يصدقونه فيما يقول يشهد كل واحد منهم بالله لقد رأى ذكر فلان فى فرج فلانة يزنى بها أن يجلد ثمانين جلدة ، وكذا الشهود لو نقص شرط من شروط شهادتهم ، ومن أسوإ الذنوب وأكبر العيوب ماتبكي له الفضيلة وتكاد تموت له الانسانية فى هذه البلاد من سب البنات والامهات والاخوات الحرائر الطاهرات الموصوفات بقول الشاعر :

حصان رزان ما تزن بريبة ويصبحن غرثى من لحوم الغوافل

ورميهن بالفواحش ماظهر منها ومابطن بمرأى ومسمع من أزواجهن وأقاربهن ورجال الدين وعلماء الوعظ والارشاد لا يبدون ولا يعيدون ولاينكرون ذلك من صغير ولا كبير ولا يعيبونه على ذكر ولا أنثى إلا بقلوبهم وفى نفوسهم

وهذا ليس بكافٍ فى إزالة المنكر ومناوأة أهله ، وإنك لتخجل من سماع هذه الألفاظ البذيئة تصدر من رجل كبير السن رفيع المكانة ، أو امرأة عجوز هى جدة الأسرة أو أمها والقائمة على تربية البنين والبنات ، فما ظنك بناشئة تعيش بين رجل فاحش متفحش ، وامرأة جاهلة بذيئة ألا يكون الأمر على حد ما قيل :

إذا غلط الابن فى فعله فعند أبيه أساس الغلط

وقلت مرة لبعض أصدقائى كيف تسب خادمك بهذا الكلام وأنت أنت فى جلالة قدرك وعظيم طهرك فضحك وقال : داو الأجساد بما تعتاد . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ونعوذ بوجهه الكريم من وعيد قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين)

الحديث الثالث عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله إجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

كرم الله واسع وفضله عظيم والآخرة للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر سبعة من الناس بالإستظلال فى ظل العرش يوم القيامة والشمس تلفح جلود الآخرين ويلجمهم العرق ولا يدرون ما الله صانع بهم عند الحساب ولا أين يساقون بعد ذلك أإلى الجنة أم إلى النار ، وأولئك السبعة هم الإمام العادل الذى لا يحكم إلا بالحق ولا يظلم أحداً لأحد ولو كان من أعز الخلق عليه وأحبهم اليه ، يرى القوي ضعيفاً حتى يأخذ منه الحق لغيره والضعيف قوياً حتى يأخذ حقه من ظالمه كائناً من كان ، لا يفرق بين قريب وبعيد وسيد ومسود فى معاملتهم بالحسنى والرفق بهم والإحسان اليهم يعتبر رعيته كأبنائه فيما لهم من العطف والحنان والتربية الصالحة فيعلم جاهلهم ويواسي فقيرهم ويربي صغيرهم ويعالج مريضهم ويكرم حاضرهم ويحفظ غائبهم فى فى أهله وماله ممتثلاً قول الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) . وما من إمام عادل فى رعيته يعيش إلا محبباً فيهم ومكرماً عندهم يسمعون له ويطيعون ويخلصون له فيما يقولون ويفعلون يعدونه نعمة من الله سيقت اليهم ويرون أنفسهم سعداء بحكمه وبقاء دولته عليهم وعدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة لما فيه من حفظ الحقوق ودفع للعقوق ونصرة المظلوم والتفريج عن المهموم والمغموم ، ومن ولي أمر عشرة فما فوقهم جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه حتى يطلقه عدله أو يوبقه جوره . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا) ، كما قال أيضاً : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة) . وترك الظلم مع القدرة عليه من الإمام وعماله ، وولاة الأمر من أصعب شيء على النفوس النزاعة إلى

الأذى وحب الظلم والإيذاء إلا من عصمه الله بالعقل والدين فإنه يكون على النقيض من ذلك ولا يريد بالناس إلا الخير فى كل حال . ومن الظلم اتخاذ الأئمة والولاة حجاباً أشراراً لا يمكنون الناس من الدخول على ولاتهم ولا يرفعون حاجاتهم اليهم . وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة) . وأشد ما لا يطاق اليوم من ظلم الملوك والسلاطين استئثارهم بالخير وجمع المال من الرعية الأغنياء والفقراء لإنفاقه فى شهواتهم وملذاتهم ومصالحهم الشخصية مع اهمال أمر البلاد وترك اصلاحها بنشر العلم وتقديم الصناعة وتوسيع التجارة والعناية بالصحة والزراعة وتوفير أسباب الراحة التي يقضى بها الزمان وتحكم بها الظروف الحاضرة والعادات المتبعة ولن يظل الله يوم القيامة بظل عرشه اماماً مستبداً أو ملكاً جباراً أو أميراً جائراً يتسلط بجبروته على المسلمين فيذل من أعزه الله أو يعز من أذله الله ولو أنصف الناس من أنفسهم فعدل الحكام واحتملت الرعية بعض الأذى وصبروا على البلاء لاستراحوا جميعاً وصلحت لهم الدنيا والآخرة (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) .

ثانياً اذا نشأ الشاب القوى الغني المالك أمر نفسه فى طاعة الله واستعمل جسمه وروحه وماله وما أنعم الله به عليه فى مرضاته فقد استحق من الله خير الجزاء وكان محبباً فى أهله وقومه ومواطنيه لأنه يريد الخير ويفعله وان عجز عنه دعا اليه ورغب فيه وأثنى على فاعليه وان عرضت له المعصية وزينها له الشيطان لم يمنعه منها الا دينه وخوف الله وما جبل عليه من طاعة الله والإشتغال بعبادته وهو الذى يستطيع الجهاد فى سبيل الله وكسب المال من حله وبر والديه وتربية أبنائه وصغار أخوته وخدمة بلاده ونفع أمته فهو الجندى فى الميدان والتاجر فى السوق والفلاح فى المزرعة والطبيب فى المستشفى

والعامل فى المصنع والعضو الصحيح فى الجمعيات والأندية اذا دعي الى الخير لبي واذا رأى الشر أو سمع به أزاله وحارب أهله وان فقد النصير ابتعد عنه وانكره بقلبه ولسانه . وما ظهر الدين وعرف الناس شرائع النبيين الا بفضل الشباب الصالحين الذين استجابوا لله ولرسوله وقالوا (ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) فهم النقباء والحواريون والانصار والمهاجرون وهم العلماء والمعلمون والشعراء المبدعون والخطباء المصقعون والتاريخ أصدق شاهد بفضل الشبان الناشئين فى طاعة الله والله تعالى يقول فىأصحاب الكهف (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ويقول أيضاً (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين) وعبادة الله على الشيخ الكبير ومن تنتابه الأمراض سهلة ميسرة فى الغالب لكنها على الشاب الصحيح صعبة ثقيلة لطول أمله واستبعاده الموت فقلما تجد الشاب القوي مقبلاً على طاعة الله وحسن عبادته وقديماً قيل :

ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فهنيئاً لشاب تقي تعلق قلبه بالمساجد ومجالس الخير وعمل الصالحات واغتنم شبابه قبل هرمه وصحته قبل سقمه وغناه قبل فقره وفراغه قبل شغله وحياته قبل موته .

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

ومن علم ان الشباب ضيف لا يعود وفرصة اذا مرت لا رجوع لها شغله بطاعة الله واستعان به على الصالح لدينه ودنياه ومن تعود شيئاً فى صغره فهو قادراً عليه فى كبره ومن اتبع نفسه هواها وقاده الشيطان بزمام الشباب الى الذنوب والمهالك ندم حين يشيخ ولات ساعة مندم وحق له التمثل بقول الشاعر :

نسم الشيب بوجه الفتى يوجب سح الدمع من جفنه

وكيف لا يبكي على نفسه   من ضحك الشيب على ذقنه

وأكرم الناس نفساً وانداهم كفاً وأطيبهم قلباً وأرقهم عاطفة وأصدقهم عزماً هو الشاب المؤمن التقى الذي يجل الكبير ويحترمه ويحسن الى الصغير ويرحمه لا تسمعه الا مهنئاً أو معزياً أو مشجعاً أو مسلياً أو مسلماً ولا تراه الا هاشاً باشاً طلق الوجه مبتسماً يحليه ايمانه بمكارم الاخلاق ويبعده دينه عن طبس الصغر واصرار الكبر وجدير بشاب هذا شأنه أن يظله الله بظل عرشه وان يكون آمناً اذا فزع الناس اجمعون .

ثالثاً اذا تعلق قلب المرء بالمساجد وعمارتها بذكر الله فيها وكثرة التردد اليها للصلاة والاعتكاف ومعرفة أحوال المصلين كان من أهل قوله تعالى (في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) . والمؤمنون بالله واليوم الآخر اذا اعطوا المساجد ما تستحق من العناية بها وعمروها وتعلقت بها قلوبهم فانما ذلك لفضلها وعظيم شأنها عند الله والمسلمين الذين ما كانت لهم من معاهد ولا مدارس ولا اندية الا المساجد ، وفيها يقومون واقفين بين يدى الله مذعنين له بالعبودية كل يوم خمس مرات ، وقد الصق الشريف منهم كتفه بالضعيف واحتك جسمه بجسمه قياماً وركوعاً وساجدين لا يقدم أحد على أحد ولا يستأثر مسلم على آخر بمكان أو نظام يخصه الا العلماء واولو الأحلام والنهى فيقدمون لمراقبة الامام والأخذ عنه ولما يقع قبل الصلاة أو بعدها من مبادلة الرأى والشورى التي جعلها الله صفة للمؤمنين فقال تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) وقد كان للمساجد عند اهلها من التقدير ما نشاهد آثاره اليوم باقية فينا فكم اكثروا منها وزينوها وحبسوا عليها من الأوقاف العظيمة ما يقوم بشأن الأئمة والمؤذنين وفرشها وسرجها ومطاهرها ومجامرها ومكاتبها

ومقاصيرها المعدة للمعلمين والمتعلمين . ولكنهم اليوم اهملوها وتركوها وظنوا أنها لا تبنى الا للضعفاء والمرضى والزمنى والشيوخ والعميان ومن لا حاجة له بالدنيا ناسين أن آباءهم الأولين وسلفهم الصالحين ما كانوا يبايعون الأئمة إلا فيها ولا يخرجون الجيوش الفاتحين إلا منها ولا يطلبون العلم إلا بين جدرانها فكانوا إذا حزبهم الأمر أجتمعوا له فى المسجد وتشاوروا فيه وللعلماء المجالس العامرة بالملوك والوزراء والأمراء والكتاب والخطباء والشعراء وكل ذلك فى المسجد الذى يدرس فيه القرآن وتفسيره والسنة المطهرة واللغة العربية وأصول الدين والفقه وفروعه والمنطق وعلم البحث والنظر والتاريخ والفلك والحساب ومنظوم الأدب ومنثوره . وأين كان الحسن البصري وواصل بن عطاء وأبو حنيفة ومالك بن أنس والخليل بن احمد والفيلسوف الكندي ونظراؤهم يتصلون بالناس ويلقون عليهم الدروس فى الوعظ والإرشاد والتوحيد والأحكام إلا فى المسجد فلورجع لبيوت الله ما كانت عليه من إقامة الشعائر واجتماع المسلمين فيها لتعلقت بها قلوب كثير من الذين أعرضوا عنها واستخفوا بشأنها ولا يظن أحد أن تعلق القلب بالمساجد لإقامة الصلاة فحسب ولكنه لذلك ولما ذكر ، والله تعالى يقول : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

رابعاً تقدم أن الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان وبه تقع الألفة ويحصل الإتحاد المأمور به فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويشعر المجرم بكراهة الناس له وبغضهم لما هو عليه من معصية الله فيقلع ويتوب . وحبك للخير وأهله دليل على طيب نفسك وطهر قلبك وإنك عند الله بمنزلة عالية إذ تحب لأجله البعيد والأجنبي الذى لا تربطك به إلا أواصر الدين وأخوة الإيمان فتسر له فى النعماء وتحزن عليه فى البأساء وتتولاه لايمانه من دون آبائك وأبنائك وأخوانك وسائر أقربائك فتؤثره على نفسك أو تحب له من الخير ما تحب لنفسك ومن أجل ربك تبغض العاصى

وتصارحه العداوة وتنكر عليه فعله بيدك ولسانك وقلبك وتناوئه ولو كان من ألصق الناس بك وأقربهم إليك (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) ، والمتحابون فى الله على منابر من نور يوم القيامة يجتمعون فى الدنيا على الأمر يحبه الله ويرضاه فتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله في من عنده وهم الذين تدوم محبتهم وتنقى مودة بعضهم لبعض أحياء وأمواتاً لخلوصها من الإثم والأغراض السيئة (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) . ويستحب للمسلم إذا رأى من أخيه ما يسره أن يمدحه ويثنى عليه بما يستحق ليشجعه على الخير ويرغبه فى الازدياد منه وإذا أحببت أحداً فقل له انى أحبك لله وبرهن على صدق ما تقول بحسن معاملتك له والاحسان اليه حتى يصدقك ويكافئك بمثل ما تصنع معه . وفى الحديث الشريف (ابدأ المودة لمن وادك فانها أثبت) (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) .

خامساً لا يكون المؤمن صادقاً فى إيمانه ثابت العقيدة عالماً بأن الله معه حيث كان حتى يخافه سراً وعلناً وظاهراً وباطناً ، وحتى يعبده فى نفسه وخلوته كما يعبده فى الملأ وحيث يراه الناس ، فيترك الحرام وهو قادر عليه ومشتاق اليه تهيأت له أسباب المعصية ونفسه تواقة وجسمه صحيح وجيبه ملآن ولا رقيب ولا واشى غير الله الذى لا تخفى عليه خافية ، تتعرض له ذات المنصب الرفيع والبيت الواسع والوجه الجميل والثوب الأنيق فتدعوه إلى نفسها وتهم به ويهم بها فيترك هذا كله ويقول كما يقول يوسف الصديق لربه تعالى (ألا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) . فيأتيه برهان الله وتحفظه الملائكة من عبث الشياطين وجماح النفس الأمارة بالسوء فيقول : (انى أخاف الله رب العالمين) . وبذلك ينتصر على النفس والهوى والشيطان الرجيم ويكسب هذه المعركة ويصدق فيه قول الشاعر :

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته عند النزال ونار الحرب تشتعل
لكن من غض طرفاً أو ثنى قدماً عن الحرام فذاك الدارع البطل

ولا شيء يصعب من الشر اتقاؤه مثل شر الفرج واللسان وبهما يقع المرء فى الامتحان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من يضمن لي ما بين لحييه وفخذيه أضمن له الجنة) (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) .

سادساً جعل الله فى المال حقاً معلوماً للسائل والمحروم ورغب فى الصدقة وحث عليها وأمر بها فى غير ما آية من القرآن وقال فى صاحب البر والاحسان (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) وانفاق المال فى سبيل الله والتصدق به على المستحقين من أفضل ما يتقرب به العبد الى ربه سراً كان ذلك أو جهراً فان اراد المصدق فتح أبواب الخير للغير وتشجيع المشاريع العظيمة أعلن بصدقته وأبداها فيقتدى به الناس ويعملون مثله وان أراد اخفاء عمله والبعد عن الرياء والسمعة وعدم المنة على الفقير والمسكين أسر صدقته وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وجاء قوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بادية عليهم الحاجة وظاهرة عليهم المسكنة فجمع الناس وطلب منهم الصدقة فوضع أحد الأنصار بين يديه صلى الله عليه وسلم مالاً كثيراً وتبعه الناس فقال (من سن فى الاسلام سنة حسنة كان له اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء) والله تعالى يقول : (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) .

سابعاً كل عين يوم القيامة باكية إلا عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وأصدق البكاء ما كان فى الخفية اذا ذكر المرء تقصيره فى طاعة الله وارتكابه لشيء من معصية

الله ، وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يبكي فى المسجد فقال ما أحسن هذا لو كان فى البيت . وبعض الناس يتخذ البكاء حيلة للدجل والخديعة وليس فى قلبه ذرة من ايمان ، واذا سمع الموعظة رأيته مضطرب الجسم باكى العين كذباً وزوراً لسان مقاله تحوقل وتسترجع ولسان حاله تقول صليت لك تقرب ، وهو كما قيل :

انى على ما أراكم لا أحذركم معرة اللص والأكراد والفسقة
لكن أحذركم من ينبرى لكم فى مه ض الزهد لكن همه السرقة
صلاته الرمح والتسبيح أسهمه وصومه سيفه والمصحف الدرقة

ومن الناس من لا يلين قلبه ولا تبكى عينه ولا يتأثر بشىء ولو وعظه لقمان أو تليت عليه التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، يطرب لأصوات المظلومين وأنات المنكوبين ويعبث بالاشلاء ويرقص على جثث القتلى ، قد نزع الله من قلبه الرحمة وجرده من الخوف والرجاء فهو لا يطمع إلا فى الدنيا واكتسابها ولا يأمن إلا من الآخرة وعذابها فالله يرزقنا خشيته ويوقفنا بين رجاء رحمته والخوف من عذابه ونسأله تعالى أن يجعلنا من الذين يقول فيهم (وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) .

الحديث الرابع عشر

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم :

﴿قال خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن﴾ (رواه البخاري ومسلم)

المراد بالقرن الجيل من الناس وقديطلق على مئة سنة وأهل العصر الأول هم أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقهم به لتمسكهم بشريعته ومكارم أخلاقهم التى كانت تصونهم عن الرذائل وتجنبهم النقائص والدنايا فصفاتهم شريفة وسجاياهم كريمة (أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) إذا علموا فهم السفرة الكرام البررة وإذا حكموا فهم الولاة والقضاة الخيرة تحسبهم فى أعمالهم الكرام الكاتبين وتظنهم فى البأس والنجدة الكواسر فى الجو أو ليوث العرين يجودون لله بالنفس والنفيس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر غيرهيابين ولاوجلين ، كيف لا وقد اختارهم الله لصحبة نبيه وتحمل شرائعه فهم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، فجاهدوا فى الله حق جهاده ونشروا على ربوع العالم رايات الاسلام الخفاقة وما زال ذلك دأبهم وتلك همتهم قوماً بعد آخرين حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، فهم الذين لا خير فيهم ولا ايمان لهم ومنهم يحذر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، تفرقت بهم السبل وضلت بهم الأهواء وتعددت مذاهبهم وتباينت نزعاتهم ومشاربهم وظهر فيهم الخلاف الدينى والسياسي وكان بعضهم عوناً للشياطين والأعداء على بعض لا يدينون الله إلا بآرائهم أو بتقليد مشايخهم وآبائهم قد رغب أكثرهم عن الآخرة وزهد فيما عند الله ، وبحبهم الدنيا عموا وصموا فأهلكتهم الأنانية وحب الذات وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) وصاروا كما قال واعظهم :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وما كادت القرون الثلاثة الخيرية تنقضى حتى ظهرت الفتن واتسع نطاق المحنة فتقاتل الخلفاء والأمراء وتشاتم الفقهاء والعلماء فى الشرق والغرب واستبيحت الأعراض والأموال والدماء فصاروا كما أخبر بهم وحدث عنهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون ويا أرغم الله أنف الذى يشهد ولايستشهد ولاحاجة لأحد بشهادته
بل يتسرع فى الأمر ويسقط فى الزور سقوط الفراش على النار غير متأثر بأمر
الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) وغير مكترث
بالوعيد الشديد فى الكتاب والسنة للذين يشهدون الزور وبيبع أحدهم دينه
بدنيا غيره . وما ذم النبي صلى الله عليه وسلم التسرع فى الشهادة إلا خشية
أن تقع أمته فى الكذب وافتراء البهتان ، أما اذا خفت أن يضيع حق
أخيك وعندك شهادة له فأدها اليه مسارعاً لتدفع عنه الظالم وتعينه على استيفاء
ماله وبذلك تكون من خير الشهود كما يقول صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم
بخير الشهداء الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها . ومن الشر المستطير والاثم
الكبير ما يقع اليوم فى المحاكم الشرعية والقانونية من تلاعب الشهود بدين
الله وعبثهم بحقوق الناس لأقل شيء يأخذونه من المدعى ثم يشهدون له بما
شاء وكيفما أراد والحكام يعرفون كثيراً من أولئك الفسقة فلا يزجرونهم
ولا يعاقبونهم بما يستحقون بعد ظهور كذبهم وافترائهم ليكونوا عبرة لغيرهم
وليتوبوا الى الله من شهادة الزور التى هى عند الله من أكبر الكبائر وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر فذكر
الشرك وعقوق الوالدين ثم جلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور ومازال
يكررها حتى قالوا ليته سكت . والذين لا يوفون بالنذر هم ضعفاء العزائم
والبخلاء بأموالهم لا يوفون بالنذر ولا يخافون يوماً كان شره مستطيرا ،
ولا يؤمنون بقوله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه
وما للظالمين من أنصار) واذا نذر الانسان شيئاً تبرراً أو لجاجا ولم يوف به
كان ذلك من تساهله بالدين واستخفافه بفرائض الله وهو الدليل على بخله بالمنذور
وقد ألزم به نفسه ولذلك جاء النهي عن النذر وقيل فيه انه لا يأتى بخير وانما
يستخرج به من البخيل ، والمسيك الضنين هو الذى لا يخرج شيئاً الا اذا
لزمه فكيف بمن لا يؤدى حقوقاً وجبت عليه بتعمده واختياره .

يهون عليه اخراج الثنايا وقطع الأنف أو قلع العيون
ولكن الرغيف أعز شيء عليه ولو قضاء للديون

وطهور السمن اذا كان من أكل الحرام فهو المذموم وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ، ولا سيما اذا أثقل عن الطاعات والتشمير فى الصالحات واذا أغرق الناس فى الترف واشتغلوا بتنمية أجسامهم لم يبالوا بما أكلوا من حرام كان أم من حلال فهمهم الطعام والشراب ودأبهم الاشتغال بالطيبات وملذات العيش غير شاكرين لله أنعمه ولا جادين فى طاعته فهم الذين ضعفت قلوبهم وقويت شهواتهم وتضخمت أجسامهم فأثقلهم السمن عن الخير وأبطأ بهم عن لحوق القافلة والركب الأول .

ومن تكن همته ما يلج فى بطنه قيمته ما يخرج

ومن المأثور ان الله يبغض الحبر السمين اذ كان ينبغى فيه أن تبرئه العبادة وأن يقل لحمه لكثرة الصيام والقيام وعلى كل فالسمن لا يستوجب صاحبه المقت ودخول النار الا اذا كان صاحبه من الذين يؤتى بأحدهم يوم القيامة سميناً طويلاً أكولاً شروباً فلا يساوى عندالله جناح بعوضة (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أعاذنا الله من صفات الأشرار وأصحاب النار آمين .

الحديث الخامس عشر

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :

{ إن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :

ذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

النفاق دخول المرء من باب وخروجه من باب آخر ، وهو فى الشرع وصف لقوم أظهروا الاسلام ليحرزوا به حقوقهم وقلوبهم كافرة . وقد لعن الله المنافقين وذمهم وتوعدهم بأليم العذاب فى الدرك الأسفل من النار وذكر من صفاتهم أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويدعون الايمان بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، دأبهم الغش والمكر والخداع وخلاقهم الفساد فى الأرض بالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور وخلف الوعود ونقض العهود والخيانة فى الأمانة وإغراء العداوة بين المسلمين بخلاء أذلاء سفهاء ظواهرهم جميلة بسمن أبدانهم ونظافة ثيابهم وحلاوة حديثهم وبواطنهم قبيحة بالكبر والحسد والرياء وسائر الأمراض النفسية ، (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) ، وخطرهم على الاسلام عظيم وشرهم لا يؤمن منذ أرغم الله آنافهم بمجيء الحق وزهوق الباطل وهم الذين قضى على مصالحهم الاسلام وأبطل ما كانوا عليه من الذنوب والعيوب ومساوي الأخلاق وتحكم الوثنيين وأهل الكتاب فى

الأتباع والأميين . فكان من اليهود منافقون ومن الأعراب منافقون يكيدون للاسلام وأهله فى خفاء ويعملون للاضرار به والقضاء عليه ما يستطيعون ، (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) ، فحذر منهم القرآن وذكر من خبث أعمالهم فى سورة براءة وغيرها شيئاً كثيراً . وحينما انتشر الدين ودخل الناس فيه أفواجاً من العرب والعجم والأقربين والأبعدين كثر أهل النفاق من اليهود والنصارى والمجوس وسائر الوثنيين ولعبوا فى السياسة دوراً هاماً وكذبوا على الله ورسوله ، واستعان بهم الشيطان على الفتنة والتحريش بين المؤمنين قديماً وحديثاً . وما كثر القتل وتعاقبت الدول فى البلاد الاسلامية إلا بعمل المنافقين ، وما تعددت المذاهب الباطلة والسبل الضالة إلا بما صنعوه من الأحاديث المكذوبة وزينوه من الأهواء والآراء الشيطانية وهم الذين خرجت بهم الأندلس وبلاد الترك وخراسان وغيرها من قبضة المسلمين ، وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم شرهم ويعرف ضررهم ويخاف على أمته من دسائسهم وهم يظهرون المتابعة والتدين كذباً وميناً ، فقد جعل لهم علامات يعرفون بها واخبر عنهم بما يترفع المؤمن الكريم عن الإتصاف والتخلق به . والمنافق الظاهر عليه شيء من علامات النفاق يعلمه الناس فيتقونه ويبتعدون عنه وتحمله معاملتهم له على التوبة وتطهير قلبه من خبائث الغدروالفجور والكذب والخيانة وخلف الوعد وأدران النفاق كلها ، وما عسى أن تفيده صلاته وصيامه وإدعاؤه الاسلام إذا كانت هذه أخلاقه . وقد ثبت فى الحديث الصحيح المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره . وإنك لترى الأموال الكثيرة والتركات العظيمة وقد تبعثرت وتفرقت شذراً مذراً لجمعها من هذه الطرق الملعونة وتكوينها بالغش والخداع والكذب وخلف الوعود ونكث العهود ، ولا يبالي صاحب النفاق بدين ولا عرض ولا كرامة متى تسنى له الحصول على قليل من العرض الفانى . وفى صحيح مسلم (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها

مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل) . وقديماً كانت العرب تستقبح هذه الخصال وتعيبها على المتخلق بها حتى فى أيام جاهليتهم . فهذا أبو سفيان ابن حرب بين يدي هرقل لا يمنعه من الكذب إلا خشية أن يؤثر عليه ويشنّع به . ومرة قال الخليفة هشام ابن عبدالملك لابن شهاب الزهري كذبت فغضب الشيخ وقال أما أكذب والله لو نزل من السماء إن الله قد أباح الكذب ما كذبت . وقد كان عرقوب بن سعيد التميمي مضرب أمثال العرب فى خلفه المواعيد حتى قال كعب بن زهير :

أضحت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

ومدحوا بالوفاء كثيراً وذموا بعدمه كثيراً :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل

وما ذكر السموأل بن عاديا بشيء ما ذكر بوفائه وحفظ أمانته وصبره على ما نزل به من البلاء فى ودائع إمرئ القيس الكندى ، وهو القائل :

إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

وقد وصف الله المنافقين بما فى هذين الحديثين ، فقال تعالى · (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ، وقال أيضاً : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) ، ومدح المؤمنين بقوله جل ذكره : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) .

الحديث السابع عشر

عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

{ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر

والبر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدى إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

الصدق مطابقة الخبر للواقع وهو مطلوب من الانسان فى قوله وعمله واعتقاده ، وصاحبه من الأبرار فى دار النعيم على الأرائك ينظرون وجوههم نطرة وكتابهم فى عليين ، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك مليتنافس المتنافسون ، وعكسه الكذب المقوت صاحبه الموصوف بالفجور والفجار فى جحيم ، وما هم عنها بغائبين ، كتابهم فى سجين وطعامهم من زقوم وشرابهم من الحميم وذلك نزلهم يوم الدين . وأنت إذا تملقت بالشيء ونحلقت به حقاً كان او باطلاً عرفت به وصرت ممدوحاً به أو مذموماً عليه ، وحير ما يمدح به الحر الكريم هو الصدق فى الحديث وتجنب الكذب ودلك مما بسافس فيه المسلم والكافر ويسابق اليه المتدين والملحد لأنه يجعل المرء فى منرلة عطيمة ويرفعه عند الله والناس درجة عالية . ومن صدق فى حديثه مخاطباً ومجيباً وآمراً وناهياً وتالياً وذاكراً ومعطياً وآخذاً كان عند الله والناس صادقاً محبوباً مكرماً موثوقاً به شهادته بر وحكمه عدل ومعاملته نفع ومجالسته بركة . والصادق فى عمله بعيد عن السمعة والرياء لا يريد بعمله وتركه إلا الله عز وجل صلاته وزكاته وصومه وحجه ووصله وهجره وصمته ونطقه وحركته وسكونه لله وحده لا شريك له ، لا يريد باحسانه عساً ولا حديعة ولا يطلب من أحد غير الله جزاءاً ولا شكورا ، يقول الحق ولو كان مرا ولا يبالى مع الصدق بعظمة عظيم ولا يخاف جبروت مخلوق وصنيعه دلك يهديه إلى البر والبر يهدى إلى الجنة ويجعله من الصديقين

فى الدنيا والآخرة ، لا يخالطه أحد الا وثق به وأمنه على نفسه وأهله وماله يرغب الناس فى جواره ومعاشرته ومصاهرته وهو مؤتمن الأحيـاء ووصى الأموات وناظر الأوقاف وحافظ الودائع ومؤدى الحقوق الى ذويها ومن كان هـذا شأنه فواجب علينا أن نصدقه اذا تكلم ولا نعامله إلا بمـا يحب حتى نشجعـه على الفضيلة ولا نضطره إلى الكذب اضطراراً أو نحمـله على صفات المنافقين وهو كاره . والمؤمن المتخلق باخلاق الله والمتأسى برسول الله صلى الله عليـه وسلم لا يكذب ولا يكذب أحـداً ولا يقول إلا خيراً .
ونحن فى زمان غلب على أهـله الكذب وصاروا يهزأون بالصادق ويعاملونه بالأيمان الفـاجرة ويشهدون عليه زوراً ويكلفونه الكذب بعـــد الصدق ويحملونه على الفجور بعد البر ومن لم يتذيب أكلته الذئاب ومن تذيب دخل النار وانك لترى اليوم كثيراً من الكفار وعبدة الأوثان وهم على غاية من الصدق فى الحـديث والمعاملة والثبات على المبدأ حتى توصلوا الى تحقيق أمانيهم وكـانوا موضع الثقة بعكس ما عليه كثير من اخواننا المسلمين .
وكأن الأجانب قد أخذوا من ديننا كل فضيلة وأخذنا من أديانهم كل رذيلة ، بينما يحثنا القرآن والسنة على الصدق ويرغبنـا فى الصبر عليه الاسلام الذى قام على أبرز صفات نبيه العظيم محمد المعروف قبـــل بعثته بالصادق المصدوق والأمين المرتضى ، وأولى الناس به وأحقهم بمتابعته صلى الله عليه وسلم هم علمـاء الدين وورثة النبيين فليتهم يصدقون فيما يقولون ويكتبون من خطب ومقالات فى الوعظ والارشاد ويقفون عند حدود الله فـلا يتعدوها باحلال محرم أو تحريم حلال أو نصرة ظالم أو خذلان مظلوم وليتهم يتركون تلك المجاملات والمـداهنات التي عطلوا بها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر ودخلوا بصنيعهم فى قوله تعالى (فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) .
وأنى لنا بعالم كسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما الذى طاف

مع الخليفة هشام بن عبدالملك ودخل معه الكعبة وقد منع الناس من ذلك وامرهم باخلاء المطاف له وحاول أن يؤدب سالماً فدعاه الى مجلسه وجاء فقعد على فراش الخليفة وخاطبه باسمه مجرداً عن الكنية واللقب وصافحه مصافحة عادية فلامه الناس على ذلك وقال له هشام لم تطوف معي وتقعد على فراشي بغير اذني ولا تحسن المخاطبة والمجالسة فقال له انك قد منعت الناس من بيت يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف أو صلى بهذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار ، وتحجرت بفراشك مكاناً يقول الله فيه (سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ولو علمت ان الناس قد رضوا بخلافتك وأقروك أميراً للمؤمنين ما خاطبتك إلا بذلك فلاطفه هشام وأعجب به وبعث اليه بمال كثير فلم يقبله بل قال ردوه على من اخذتموه منهم . وكم أثبت التاريخ لعلماء الاسلام من الصدق فى القول والعمل ، وما تعوده الانسان من شيء وآمن بأنه الحق ظهرت عليه آثاره واتفق عليه قلبه ولسانه فطوبى لمن تعود الصدق وعمل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والحق ان الرجل كما يقول صلى الله عليه وسلم ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وكلما أفرط المرء فى الكذب والأخبار بما لم يقع عرف عند الله وخلقه بأنه كذاب ، فلا يقام له عند الله وزن ولا يأمنه احد على شيء . فان كان عالماً أتهم فى قلمه ولسانه ، أو تاجراً أتهم فى مكياله وميزانه ، أو صانعاً أتهم فى قوته واتقانه ، أو طبيباً أتهم فى آلته ومعرفته ، أو محامياً أتهم فى امانته وقدرته . فالكاذب يجنى على نفسه قبل أن يجني على احد ولا سيما اذا تحرى الكذب حتى يكتب كذاباً فى السماء وكذاباً فى الأرض . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . ولبئس ما يأتى به الكذب وما يفضى بصاحبه اليه من اللعن والطرد والفجور الذى يؤدى به الى النار وبئس القرار ، وكله حرام وخبيث ولا يحل منه شيء إلا الكذب فى الحرب والحرب خدعة واصلاح ذات البين وما تتوصل به الى

استيفاء حق مغصوب أو منهوب فلا بأس بالكذب في ذلك وقد كان من ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال في سارة امرأته أنها اخته وحين دعاه قومه الى الاشتراك في عيد الاصنام اعتذر فقال اني سقيم ولا ينبغي الكذب على الأطفال ولا أن تعدهم شيئاً فتخلفهم إياه لئلا يتخلقوا بالرذيلة ولا يقتدوا بأبيهم في الكذب وخلف الوعد وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة تدعو ولدها وتقول له تعال أعطك فقال ما تعطينه قالت أعطيه تمراً قال أما انك لو لم تعطيه شيئاً لكتبت عليك كذبة أو كما قال . وزفت اليه السيدة عائشة رضي الله عنها وقدم للنساء لبناً فقال بعضهن لا نريده وعلم صلى الله عليه وسلم منهن أنهن جائعات فقال لا تجمعن على أنفسكن كذباً وجوعاً . ومن تساهل بالقليل من الكذب سهل عليه كثيره وليس بين الانسان والشر الا الخطوة الأولى والانحدار يسير هين ولكن الصعود صعب شديد وأصعبه الصدق في الأمر كله وأحسن من قال :

عليك بالصدق ولو أنه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وارضى العبيد

ولنعم ما يأتي به الصدق من الشرف والفضل وكمال الانسانية وحسن السمعة وانه ليهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والله تعالى يقول : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) .

الحديث الثامن عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

{قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية

خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ، وتجدون خيار الناس فى هذا الشان أشدهم له كراهة وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

شرف الأصل وطيب المنبت وكرامة المحتد تأبى على المرء إلا التخلق بالمكارم والاتصاف بمعالى الامور اقتداء بآبائه وتأسياً بأشراف قومه ، ولو اراد شراً أو ارتكاب نكراً لأبت عليه أصوله وعاتبه ضميره وقال له الناس ما قالوا لمريم البتول حين اتهموها (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) . والذهب لا يكون رصاصاً والفضة لا تتحول صفراً ولا نحاساً ، والمعتز بحسبه وكريم نسبه لا يفعل إلا ما يشكر عليه ولا يقول إلا ما يصدق فيه شعاره قول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ودثاره قول الآخر :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقد تحدثه نفسه بشيء من الجبن والبخل والكسل والتهور والخمول القاتل والشهرة الكاذبة فيتذكر كرم أهله وشجاعتهم ونشاطهم وإناءتهم وظهورهم بكل مكرمة وقصورهم عن كل مذمة فيثنيه ذلك عن قصده المذموم ويرده عن غرضه السيئ متذكراً قول الله جل وعلا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عمله من شيء كل أمرئ بما كسب رهين) أما الذى خبث اصله ونبت جذره فى الاوحال والأقذار فلا يثمر إلا قبحاً ولا ينتج إلا خبثاً يفعل ما يشاء من سفاسف الأمور ومخازيها وليس له زاجر من دين ولا حياء يتذكر لؤم أبيه وبني امه فتهون عليه الرذيلة ولا يترفع قاتله الله عن ضعة ولا نقيصة لأنه تعود الذنوب ودرج بين العيوب وتخلق بكل مكروه ونشأ منذ فتح عينيه ومد يده وحرك رجله على ما كان أهله

وذووه يعيشون عليه ويعرفون به من خسة طبع ودناءة نفس (والبلد الطيب يخرج نبـاته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) والشيء من معدنه لا يستغرب ، ولذلك نجد أحب الناس للدين وأصدقهم ايماناً وأثبتهم عقيدة وأطهرهم ساحة وأنزههم قولاً وفعلاً هم الذين سمعوا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنوا وصـدقوا وقالوا اشهدوا بأنا مسلمون . لم تشق عليهم التكاليف ولا أتعبتهم الواجبات والمندوبات ولا نفرت طباعهم كلا ولا ضاقت صدورهم عما جاء به الاسلام من آداب سامية وأخلاق فاضلة وبمـا نهوا عنه من الملذات واتباع الشهوات وترك ما ألفوه من العادات التي لا يعلمون حكم الله فيها وما اشتملت عليـه من اللوم وسوء العاقبـة أما الذين لا يستطيعون الكف عن رغباتهم ولا يقدرون على مفارقة الممقوت من عاداتهم فيكرهون الدين وما جاء به ولا يطيقون معاشرة المتدينين لترفعهم عما يحب هؤلاء الذين ضعفت عزائمهم وتحكمت فيهم الشياطين وأبت عليهم العناصر التي خلقوا منهـا والحمئة لا تعود مسكاً والروث لا يكون بخوراً طيبـاً والانسان الذى طاب معدنه وزكى أصله قد يكون خارجاً من أبوين خسيسين كما يخرج عكسه من والدين كريمين اعتباراً بطينته التي كون منها ، وموافقة لما أراد الله به من الخير أو الشر وسبحان الذى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . ولا ينبغى لأحـد التعويل على نسبه وما فضل الله به آباؤه على غيرهم من العالمين ، فإنه من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وما هلك اليهود إلا بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار من عباده ونحن أولاد الأنبياء وذرية الصالحين . فاعتمدوا على ذلك واغتروا به وظنوا أنهم ناجون من عذاب الله مع فعل معصيته وترك طاعته بشفاعة آبائهم من النبيين والمرسلين حتى قال لهم الله سبحانه وتعالى (واتقوا يومـاً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) .
وخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته من الاغترار بالانساب واكتفاء البنين بصالح أعمال آبائهم فقال يا فاطمة بنت محمد اعملى لنفسك فانى لا اغنى

عنك من الله شيئاً وذلك بعد قوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) والحر الكريم لا يعتمد إلا على نفسه ولا يفتخر إلا بعمله والخب اللئيم أو الفاجر الأثيم يفتخر بالعظيم الرميم ويقول كان أبي وفعل جدى فهو عظامي لا عصامي وفيه يقول الشاعر :

بلينا بأقوال الذين اذا رأو فعال كرام الناس قالوا لنا سلف
وآباؤنا كانوا ملوكاً على الورى وكانوا رجال العز والمجد والشرف
نعم انهم كانوا ملوكاً وسادة ولكننا يا صاح من أقبح الخلف
رضينا بفخر السالفين وما لنا من الفخر شيء يا لذلك من أسف

والثابت على مبدئه المتمسك بتقاليد قومه لا يجيب كل ناعق ولا يلتفت الى كل داعي حتى يعلم ما يدعى اليه ويتبين السبيل التي يدل عليها ويرشد اليها فاذا ظهر له الحق آمن به واتبعه وأشرب قلبه حب الدين وما جاءت به النبيون والمرسلون ، فدافع عنه وصبر على ما يلقاه فى سبيله ملتزماً لتعاليمه شاباً وشيخاً صحيحاً ومريضاً مسافراً ومقيماً حتى يكون أشد الناس تمسكاً بما كان أشدهم عداوة له وفى الحديث الشريف اشد امتى على الدجال بنو تميم ، وذلك انهم دخلوا فى الدين بعد عناء ومشقة فهم لا يخرجون منه بسهولة ولا يصدقون من يصرفهم أو يصدهم عنه ، وشر الناس منزلة وأقبحهم صفة وأكثرهم نفاقاً ذو الوجهين وذو اللسانين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ويتكلم بما يسرك ويذكرك غائباً بكل عيب ومكروه دأبه الغيبة وشأنه النميمة وصناعته التزلف الى كل بما يرضيه يفسد ذات بين المسلمين وينشر بينهم العداوة والبغضاء وينقل السوء من فلان الى فلان بقصد الافتتان ، يسرك منظره ويسوءك مخبره لا تثق به فيما يأتي ولا تصدقه فيما يذر .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وإذا جلس معك حسبته صديقاً صدوقاً خلاً وافياً وإذا غاب عنك فرى عرضك فري الأديم ، وقال فيك قول إبن أبى فى عائشة فهو أخطر ما

يكون على المجتمع وأضر من سارت به القدمان فيما رفع أو وضع ، وقيل لابن عمر رضي الله عنهما : (إنا ندخل على السلاطين فنتكلم معهم بشيء وإذا خرجنا من عندهم قلنا شيئاً آخر ، فقال كنا نعد ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النفاق) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ذو الوجهين يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار) . ولو طردنا الذين لا يجلسون معنا إلا بمدح فلان وذم فلان لكان ذلك أسلم ولحفظ الأخوة والمودة بين المؤمنين أبقى . والله تعالى يقول : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) .

الحديث التاسع عشر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث العشرون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إن كان

ظالماً كيف أنصره ، قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

مرتع الظلم وخيم وعاقبته سيئة وجزاء صاحبه النار وخراب الدار ولو بنى جبل على جبل لدك الباغي منهما وما حرم الله شيئاً كالظلم ولا توعد أحداً بمثل ما توعـــد به أهل قوله تعالي : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا بغاثوا بمـاء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) ، وأحبثه الشرك بالله وأن تجعل لله نداً وهو خلقك أو تدعو من دونه أحداً لا يملك لك نفعاً ولا ضراً كما قال لقمان عليه السلام : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وأخذ حقوق الناس والإستيلاء عليها تعدياً وظلماً من الذنوب التى لا تغفر والـكبائر التى لا تكفرها الصلاة والصدقة بل ولا التوبة والإستغفار حتى ترد إلى ذويها أو ينسامح الظالم من مظلومه . وقد نزه الله نفسه من الظلم وما ربك بظلام للعبيد ، فقال تعالى من حدث قدسي : (يـا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) . وطرقه كثيرة ووسائله جمة وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، والغصب والسرقة والإختلاس والربا وتطفيف المـكيال والميزان والتغرير بالعميل وحيانة الوديع والأجير والجعيل والمقارض والشريك والوكيل من الظلم الذى مقت الله أهله وقال فيهم ألا لعنة الله على الظالمين . ولـكنه درجات متفاوتة والجزاء على كل شيء بحسبه وقـــد يستبطئ الظالم عقوبة الله له فتمادى فى غيــه ويستمر فى ظلمه وجوره (ولو يعجل الله للناس الشر إستعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فـنذر الذين لا يرجون لقـاءنا فى طغيانهم يعمهون) ، ولـكنه عز وجل يملي للظالم ويمهله عساه يتوب ولعله يرجع عن طغيانه فإذا أصر على مخالفته وأبى إلا إعتداءه على الضعفاء والمساكين مستخفاً بهم أو مغروراً بالإمهال أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وضربه بسياط نقمته وجعل فيــه عبرة للناظرين وموعظة للمتقين

وعذاب الله أليم وبطشه شديد وهو القائل تعالى : (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) . ولو أعتبرنا بأخبار القرون الماضية وما يقصه القرآن علينا من أنباء المتقدمين وما حل بهم لكان فى ذلك ما يوقف الظالم عند حده ويخفف من طمعه ويخوفه من العلو والفساد فى الأرض (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) . ودعوة المظلوم ترفع على الغمام وليس بينها وبين الله حجاب . فلا تظن أيها الظالم القوي أن الله لا ينتقم منك لهؤلاء المساكين الذين يصبحون ساخطين عليك ويبيتون يدعون عليك والله يعلم ما كان منك وما يكون منهم وما الله بغافل عما تعملون .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى نصرة المظلوم حتى يأخذ بحقه والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن جنايته حفظ نظام المجتمع وحماية الضعفاء من جبروت الأقوياء والإنسان ميال إلى الشر بطبعه ومجبول عليه لو لا ما هذبت الشرائع والقوانين من طبعه وخففت من حدته ولهذا أمرنا بنهيه عن العدوان وكفه عن المظالم لئلا تضيع الحقوق وتنتشر الفوضاء ورحم الله إمرءاً أنصف من نفسه فأخذ ماله وأدى ما عليه وأراح القضاة والحكام من جنايته وشكايته وفوض الأمر إلى من يفصل بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختصمون وتمثل بما قيل :

ستعلم فى الحساب إذا التقينا غداً عند المليك من الظلوم
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

وقال أبو بكر رضي الله عنه حين بويع له بالخلافة وهو على المنبر : (أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم وإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدفت فقوموني ، الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه . والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن

شاء الله) . ولو عمل الناس بهذين الحديثين لما رأيت ملكاً جائراً ولا أميراً ظالماً ولا عميلاً خائناً ولا سارقاً مخيفاً ، ولا غاصباً أثيماً ولا نشالاً محتالاً ولما امتلأت السجون بالمجرمين وضجت المحاكم بالمتخاصمين ، ولما خاف بريء على نفسه وماله وأتهم جليسه ونديعـــه وظن به الظنون ، ولو قوم الناس أمراءهم لما أعوجوا ولو طلبوا منهم الأخذ على يد الظالم ونصرة المظلوم وفعلوا ذلك لما ضجوا ولا عجوا ولـكنا نسمع ونرى كل يوم من حوادث الإرهـاب بالقتل والقتال ونهب الأموال ومنكرات الإغتيال فى أمهـات المدن وعواصم البلدان ما يدعو إلى الخوف والقلق وما يزعج الآمنين فى بيوتهم ومتـاجرهم ومصانعهم وعلى مكانبهم ونحن فى عصر الحضارة والمدنية والتمتع بكامل الحرية كما يزعمون . وأعظم من ذا وذاك جور الدول والشعوب بعضها على بعض فلا عهود محترمة ولا قوانين مرعية ولا سلطة نافذة لمصلح ولا متدين وعلام هـذا كله ولأي شيء يخفر الذمام ويحل الحرب محل السلام لا لشيء سوى حب الإستئثار واحتقار الضعيف والتوسع فى الإستعمار (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) وفى النـاس من إذا استرعى أو ولي على شيء أساء وظلم وأكل الحقوق واستخف بالحرم فأهرق الدماء وتحكم فى الرقاب وفرض طاعته فيما يشاء واتبع هواه وكان أمره فرطا لا يبالي بدين ولا قرابة ولا يعبأ بمسؤولية ولا رقابة تذكره الله وما أنعم به عليه وتخوفه البغي وزوال النعمة ، فيقول كما قال قارون : (إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) . ومـا تزول الدول وتسقط العروش وتعزل الملوك وتحدث الثورات فى الأمم التمدينة والشعوب المتعلمة إلا نتيجة العسف والجور وإحتقار الضعفاء وإسناد الأمور إلى غير أهلها .

ولا يقيم على ذل يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

وأين ذهبت بيوت المال وما أخذه المسلمون من غنيمة وفيء وجزية وزكاة وفدية وخراج إلا فى مصالح الظلمة وشهوات الفساق ونفقات الحروب الأهلية الطاحنة وتسكين أصحاب الثورة الداخلية ومخالفة القرآن الآمر بالعدل والإحسان وإعطاء كل ذي حق حقه والناهي عن الظلم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل والإدلاء بها إلى الحكام (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وسوء تربية البنين من الظلم المؤاخذ عليه صاحبه فى الدنيا والآخرة .

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

والجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ومن ظلم ظلم ومن أساء ندم ، ورحم الله القائل :

والظلم من شيم النفوس وإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن أخذ بحقه فليس بظالم ومن رد عن نفسه فغير باغي ومن أخذ فوق ماله فهو من الآثمين ، وويل للذين يعيثون فى الأرض فساداً بحيل الشريعة وعلى حساب الدين (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

الحديث الحادي والعشرون .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

ليس الدين محض صلاة وصيام وتلاوة وتسابيح وحج وصدقة وغير ذلك من عبادة بدنية أو مالية فحسب ولكنه طاعة الله فيما أمر ونهى وترك

الذنوب واجتناب المعصية أحب الى الله من عبادة الطائفين والعاكفين والركع السجود . وقد علمت ما جاء فى الظلم من الوعيد الشديد وان حقوق الناس عند الله فى ديوان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . واذا علمت أن الدين فعل وترك وعمل وكف وتأملت نصوص الكتاب والسنة وجدت الأوامر محض تعبد وتقرب الى الله الغنى عما سواه الفقير اليه كل ما عداه مع أنها لا تخلو من مصلحة دنيوية عاجلة ولأجر الآخرة أكبر وثوابها أعظم وأكثر . أما النواهى فانها لم تشرع إلا ليسود الأمن ويحفظ النظام وتحمى الفضيلة وتصح الاجسام والعقول وتصان الحقوق والأموال عن الانتهاك والتبذير ، فيتغلب الصادق فى دينه على نفسه الأمارة بالسوء ويحول بينها وبين الزنا واللواط وتعاطى المسكرات والمخدرات والغيبة والنميمة والكذب والسب والشتم واللعن وشهادة الزور والخيانة فى الامانة والربا والسرقة والغصب والنهب وقطع الطريق وخداع العميل فى المعدود والمذروع والموزون والمكيل ، وبذلك تسعد الأفراد والجماعات والأمم . وبعلم غير المسلم أن الشريعة المحمدية والديانة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وبها يدين لله كل عاقل لما اشتملت عليه من عبادة الله الكريم المتفضل على خلقه بما أسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة ولأنها ذات قوانين تسع الناس أجمعين ولا تتعارض مع المدنية الفاضلة ولا تمنع من الحضارة الحقة ولا تجعل لأحد سيطرة ولا نفوذ على أحد إلا بمقتضى القانون الذى به تباح الدماء وتنتقل العروض والممتلكات والمنافع من انسان إلى آخر ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (الحديث) فلا يتم اسلام مدعى ولا يكمل ايمان مهاجر إلى الله إلا بكف الأذى عن الناس وترك ما حرم الله . ولا شك ان المرء قد يعتدى على غيره بعينه وأذنه ورجله وفرجه ولكن أكثر ما يكون الأذى باليد التى هى آلة الفعل وباللسان الذى هو آلة القول (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا) واعلم انه لا يستفاد من قول

الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث من سلم المسلمون اباحة أموال الكفار وأعراضهم بغير قيـــد ولا شرط فالأمر غير ما يظنه بعض شراح الحـديث ومن له غرض سيء من تـأويله بغير معناه وتفسيره بغير مراده فالله تعالى قد حكم انه لا يدخل أهل الجنة الجنة حتى يقتص لأهل النار منهم ولا يدخل أهل النار النار حتى يقتص لأهل الجنة منهم . فـلا تخن من ائتمنك ولو كان خائنـاً ولا تعامل بالشر من لا يعاملك به واجعـل نصب عينيك ثقة الناس من المسلمين والمشركين بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه كان لا يعاملهم إلا بالصدق والأمانة ولا يسيء الى أحد متابع ولا مخالف إلا إذا تعدى عليه أو وقف فى سبيل دعوته فنابذه وحاربه فانه يقابل الشر بمثله وقد لا يؤاخـذ عليه لقول ربه تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) ولكن الأحوال تختلف ولـكل حال شأن .

والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعاً وان تلقه بالشر ينحسم

وانزل الله يوم فتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلهـا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعمـا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا) وذلك حينما أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة وطلبه منه العباس ليجمع لنفسه بين السقاية وحجابة البيت . قال الامام الشوكانى فى تفسير هـذه الآية (ان رد الأمانة واجب الى اهلهـا بغير تفرقـة ولا تخصيص وممن قال بعموم هـذا الخطاب البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وابى بن كعب واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير وأجمعوا على ان الأمانات مردودة الى أربابها الأبرار منهم والفجـار اهـ) .

فاحفظ يا أخى رحمك الله يدك ولسانك وسائر جوارحك عن أذية الناس ولا تبع دينك بعرض من الدنيا قليل واقنع بمـا قسم الله لك ولا تبغ الفساد فى الارض ولا تـكن جباراً سفاكاً أفاكاً فانما بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين عما أعده الله للطائعين والعاصين من نعيم مقيم أو عذاب أليم . وإذا قدرت على الشر فتركته لله واستطعت أن تجمع المال من الحرام والحلال ولم تعدل

عينيك الى ما نهاك الله عنه كنت مؤمناً بالله حقاً وممتثلاً قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

الحديث الثاني والعشرون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

تكون الاخوة فى النسب والدين والصفات والمبادئ والوطنية والمعاملة وأوثقها رابطة وأحكمها عقداً وأثبتهـا مودة الأخوة فى الدين التى لا تنفصم عراها ولا تغيرها الاحداث والطوارئ ولا تختص بقوم دون آخرين ولا بزمان دون زمان ، وصحبة فى الله تدوم فى غيره لا تدوم . (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ويقول أهل النار وهم يختصمون فيها (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار) وأهل الجنة يكونون اخواناً على سرر متقابلين واذا كان للاخوة حقها فى كل شيء فحقها فى الدين فوق كل شيء . وللمسلم على أخيه المسلم أن لا يظلمه لنفسه ولا لغيره وشر الناس من ظلم الناس للناس . ولا يسلمه لمكروه يحل به أو مصيبة تنزل به ولكنه يعينه ويقف معه مؤازراً ومناصرا ، يعزه إذا ذل ويكرمه اذا حل ويشيعه اذا ولى ، وينصره اذا ظلم ، ويواسيه اذا أعدم واذا أحسن شكره ، وان أساء عذره

ان أخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمــــله ليجمعك
وهذا هو الصادق فى اخوته والمخلص فى مودته وهو المسلم المعــدود عضواً صحيحاً من جسم امته ولو صحت الأعضاء كلها لبلغنا الغـاية وادركنا النهاية ولو تساند الاخوان فى المبادئ لهان كل عسير وتم كل مراد وفى المثل مـا تعاونت عليــه الرجال خف ومن ضعف نصيره وقل ظهيره وخـذله اخوانه واسلمه للنائبات خلانه وأعوانه يبس عوده وذهب ممدوده ومحدوده وعضه الدهر بنـابه وكذلك اليوم حال المسلمين وقـد ذهبت منهم العزة والنخوة وضعفت بينهم الموالاة والأخوة فلا تقوم لأحدهم قائمة اذا كبا أو عثر ، ولا يجد من يأخذ بيده ويجبره اذا انكسر ، بل ربما تركوه عمداً وقصروا فى الواجب نحوه قصداً . فالمسلم الأبي يصلح نفسه ويطالبهـا بحقوق المسلمين عليه معتمداً فى أموره كلها على الله وحده غير معول على سواه ولا متـكـل على صديق ولا صاحب .

صن النفس واحملها على ما يزينها	تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترين النـاس إلا تجملاً	نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد	عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قل مـاله	ويفنى غني المـــال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون	إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذ استغنيت عن أخذ ماله	وعنــد احتمال الفقر عنك بخيل
وما أكثر الأخوان حين تعدهم	ولـكنهم في النائبـات قليل

ووحدتنا العربية وجامعتنا الاسلامية لا تتحقق إلا إذا صدقت أخوتنا الدينية والنسبية ولا يعترف لنا بوجود إلا إذا اتحدت كلمتنا وزال الظلم عنا وتعاونت على الخير ملوكنا وزعماؤنا فلا يسلم أحد منهم أخاه لعدو ولا حادثة ولا يتغافل عنه إذا حلت به الـكارثة ، وبأيدي المخلصين تحل المتاكل وتبنى الفضائل والفواضل وما ضيع فينا الحق واستضعف الخلق واتسع الخرق وفات السبق إلا وقد أسلم شرقينا الغربي وأهمل الأعجمي منا العربي واستهان بنا الأعداء

على أخواننا ,وأكلنا السحت من ثمن أوطاننا :

إذا خانك الأدنى الذى أنت حزبه فواعجباً إن سالمتك الأباعد

وهل أفلت الإمام يحيى حميد الدين والملك عبدالعزيز ابن السعود مثلاً من مخالب الشقاء وبراثن الإختلاف إلا بفضل أولئك المصلحين العاملين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ونحن لو عملنا بهذا لتعلم الجاهل وظهر الخامل وغني الفقير وجبر الكسير ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن قضى حاجة المسلم فى الدنيا قضى الله حاجته يوم القيامة . وكان ابن عباس رضي الله عنهما معتكفاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل يستعين به على حاجة له فخرج معه وقال سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم يقول من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من إعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً إبتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين ، وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل قضاء الحوائج على يديه وفى الناس موفقون لا يدخلون فى شيء إلا أصلحوه وإذا تناولوه أتقنوه وإذا شفعوا شفعوا وإذا سعوا فى حاجة قضوها :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

وأولئك هم الميسرون لما خلقوا له وبفضل مساعيهم وحسن نياتهم تقضى الحوائج بلا عناء ومن استعان بهم بعد الله تعالى وجد عندهم الفرج بعد الشدة والمخرج الواسع بعد الضيق ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة كما يقول صلى الله عليه وسلم . وليس شيء أسهل من كشف الكروب ودفع الخطوب إذا ألمت على المؤمن الذى لا يرى نفسه وماله وعلمه وجاهه وعرضه ورأيه إلا وقفاً على أخوانه يعينهم فيما

استطاع ويصبرهم على ماكان ويؤمن خائفهم ويساعد ضعيفهم ويحمل ثقلهم ويجدون عنده المعدوم ولا يضجر منهم ولا يسأمهم ولا يملهم :

هو العون بعد الله فى رفع نازل وكشف كروب أو قضاء حوائج
تكاد ترى فيه المروة والندى له حسنات دونها رمل عالج

ومثل هذا الحديث فى الاحتفاظ بحقوق المسلمين وكف الشر عنهم قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى هاهنا وأشار صلى الله عليه وسلم الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخواناً ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك) . وما أجل هذه الآداب وما أنبل هذه التعاليم تعاليم من أنزل عليه فى الكتاب المنير : (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

الحديث الثالث والعشرون

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :

(أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض وإتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي ، ورد السلام ، ونصرة المظلوم ، وإبرار المقسم . ونهانا عن سبع

عن خاتم الذهب أو قال حلقة الذهب ، وعن لبس الحرير والديباج والسندس والمياثر والقسي وآنية الفضة﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

عيادة المريض زيارته ، وتشميت العاطس الدعاء له بالرحمة اذا حمد الله ، وابرار المقسم مساعدة الحالف على الوفاء بيمينه ، والمياثر فرش حمر لينة يفترشها العجم ومن لا خلاق له ، والقسي بكسر القاف وفتحها ثياب كانت تنسج بمصر وفيها ما لا يحل لبسه .

لقد أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام بكل خير وأرشد الناس الى أبوابه . ونهى عن الشر كله وحذر منه أبلغ تحذير الا أنه في هذا الحديث قد جمع خصالاً من الخير فأمر بها وخصالاً من الشر فنهى عنها في حديث واحد وذلك من أدب المعاشرة وحسن المرافقة وجميل الصحبة وتمام الرجولة والبعد عن التشبه بالنساء في الملابس والحلي فأمر أولاً بعيادة المريض وقد كان يعود بنفسه المرضى من المسلمين والمنافقين وأهل الذمة لما في ذلك من ايناس المريض وازالة الوحشة عنه وتخفيف آلامه وتسلية أهله وأقاربه ، واذا طمع الزائر في برء المريض صبره وبشره واحضر له الطبيب وما يحتاج اليه من العلاج وساعده على قضاء حوائجه التي يعجز عن الوصول اليها سواء كانت داخل البيت أو خارجه ويتلطف معه في الحديث ولا ينقل عنه ما يسوؤه ولا يذكر له ما يحزنه أو يزيده وجعاً الى وجعه واذا حضرت الصلاة أمره بها وعاونه على الوضوء وما لا بد منه لها ، وان يئس الزائر من المريض أو خاف عليه ذكره بالله ورغبه فيما عند الله وحسن ظنه بالله وقال له من حب لقاء الله حب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . والتوبة مقبولة من العبد ما لم تبلغ روحه الحلقوم ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا اله إلا الله دخل الجنة ، ويكثر من التهليل ويلقنه المحتضر في رفق ولين ويستحب له الأمر بالوصية وطلبها من المريض وتحسين شأنها عنده فهي لا تقطع الأجل

ولا تخيف المؤمن وإنما تحفظ بها الحقوق وتقضى بها الديون ويتوصل بها الورثة المستحقون الى تركة موروثهم المرحوم ويعلم المريض أن الله قد تصدق عليه بثلث ماله يتقرب به اليــه فى مرضه بالوصية للفقراء والمساكين وجهات الخير كالمساجد والمدارس والملاجئ والمستشفيات وأنهــا لا تصح لوارث وأنه لا يجوز للموصي إخفــاء شيء من ماله أو التصرف فيه بمــا يقصد به الحرمان ولا يحل له السكوت عما عليه لغيره من دين أو وديعة ، فحق الله مبني على المسامحــة يغفر منه ما يشاء ويعذب منه على ما يشاء وحق الآدميين مبني على المشاحة ولا بد من قضائه فى الدنيا أو الآخرة ويستحب لعــائد المريض أن لا يطيل عنده الجلوس فيؤذيه ولا يذكر عنده صديقاً بما يكره له ولا عــدواً بما يحب له ولا يغتاب أحــد بين يديه ولا يذكر أهله وأولاده إلا بكل خير ترفقاً به وخشية عليه . وإذا كان فقيراً قدمت اليه الصدقة أو الهدية يستعين بها على حاله وينفق منها على زوجه وعياله وان رآه خائفاً على كبار أولاده من التفريط واضاعة المال وعلى الصغار من اليتم وعدم العناية بهم والتقصير فى تربيتهم طمأنه وأمنه ووعده بما يرضيه فى ماله وبنيه وقال له كل الأمر الى الله فإنه أرحم بعباده من أنفسهم وعليه رزقهم وتدبير شؤونهم ، والله تعــالى يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) .

ثانياً اتباع الجنائز وتشييعها وفى ذلك كثرة المستغفرين لها والمصلين عليها وهو من حق المسلم على المسلم وكلما تعدد الشفعاء كان قبول الشفاعــة أرجى . وفى الحديث الشريف (ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيــه) . وفى التشييع أيضاً جبر خواطر أهل الميت وتعزيتهم فى ميتهم وتصبيرهم على ما نزل بهم وبه تقع الرغبة فيما عند الله والرهبة مما لديه وأنه ليزهد فى الدنيا ويخفف من الحرص عليها والتفاني فى جمعها وتحصيلها ويستحب التخشع والبكاء والندم على مــا فات والاستعداد للآخرة ممــا هو آت ، فى ذلة واستكانة لا ضجيج ولا صخب ولا أصوات

مزعجة ، وما يفعل من التهليل والنشيد بين يدي الجنازة ومعها بدعة مذمومة ومخالفة لما كان عليه السلف الأول . وقد سمع ابن عمر رجلاً من المشيعين يقول أستغفروا للميت يغفر الله لكم فأنكر عليه وقال له أسكت لا غفر الله لك ما بهذا أمرنا ولا هكذا كنا نفعل . وقد انتشر فى كثير من البلدان أشياء كثيرة من الأقوال والأفعال مع تشييع الجنائز ما أنزل الله بها من سلطان ومن شيع جنازة أستحب له السير معها الى أن يصلي عليها ثم تدفن ويخلص فى الدعاء لها والترحم عليها . ومن القبيح الذى لا يجوز السكوت عليه أن بعض المشيعين يصلون بغير وضوء وبثيابهم النجسة وأنهم يضحكون ويتغامزون ويتكلمون بما لا يليق فى موقف الرهبة من غيبة ونميمة وذكر مساوي المتوفي والخوض فيما لا يعنيهم من تركته وشؤون أهله فيرجع أكثرهم مأزوراً غير مأجور ، وإذا دخلوا المقابر لم يسلموا على أهلها ولم يحترموها بما يجب لها شرعاً فيقعدون عليها ويفعلون ما لا يحل عندها وإذا دفنوا ميتهم انقلبوا الى اقامة المآتم واطعام المعزين خلاف السنة القاضية بإطعام أهل الميت الذين أتاهم ما يشغلهم . وللنساء فى بيوت الموت عوائد سيئة غير عوائد الرجال من الندب والنياحة ولطم الوجوه ونشر الشعور وشق الجيوب وشيء يسمى عندنا الحباق والمطواية يكلف من الأتعاب والنفقات ما لا يطاق ، فمن أراد السنة ونيل الفضل والثواب وأن يكتب له الله من الأجر قيراطاً أو قيراطين مثل الجبلين العظيمين فليشيع الجنازة معتبراً مدكراً ومؤمناً بأنه صائر الى ما صار اليه غيره . وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : (عودوا المرضى واتبعوا الجنائز فإنها تذكركم الآخرة) (ثم أنكم بعد ذلك لميتون ، ثم أنكم يوم القيامة تبعثون) . وفى تشميتك العاطس اذا حمد الله ورد السلام على من بدأك به السبب الأعظم فى التآلف والتآخي وحسن التفاهم ، ودعاؤك لأخيك بالرحمة ينبهه الى طلبها والتعرض لها وفى رد السلام تأمين وحشة المسلم واطمئنان قلبه اليك ورغبته فى منادمتك وإفضائه اليك بما عنده من علم تنتفع به ، أو نصيحة نقدمها اليك ، أو

رأى يعرضه عليك ، أو أمر يشاورك فيه ، وأنت أخوه الذى لا تألو جهداً في مساعدته ومعاونته وقبول نصيحته والاخلاص له فيما تشير عليه به ، فإن أحسن شكرته ، وان أساء عذرته ، وان ابتلي صبرته ، وان احتاج الى مناصرتك ناصرته ، فتواسيه اذا افتقر ، وتسليه اذا ضجر :

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

والعاطس لا يشمت الا مرتين أو ثلاثاً ثم يقال له بعد ذلك شفاك الله فإنه مزكوم ، وقد يسأم من كثرة ذلك ، ومن الأدب أن يخفض صوته بمطاسه ويصرف وجهه عن جليسه ، ويضع على فمه وأنفه منديلاً أو نحوه لئلا يزعج الحاضرين بصوته أو يصيب أبدانهم وثيابهم بشيء من ريقه ومخاطه ، وفى ذلك من الاساءة منتهاها ، والمتثائب يخفض صوته ويكظم ما استطاع ، ولا يفغر فاه بدون وضع شيء عليه أو يطيل القعود مع الناس متى شعر من نفسه بملل أو كسل أو نوم أو ثقل ، فإنهم يكرهون ذلك ويضيقون بصاحبه ذرعاً ومن دخل على أحد سلم عليه فى أدب واحترام ، ولا يصافح أهل المجلس اذا كثروا وازدحم بهم المكان فقد يتأذون به لما فيه من تخطيهم والمرور بين أيديهم ، ولا ينبغي لأهل الإيمان سوء العشرة واستخفاف بعضهم بشأن بعض كما يقع من تعبيس الذين لا خلاق لهم فى وجه من دخل عليهم واعراضهم عنه والتمتمة برد السلام عليه ، والله تعالى يقول : (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا) .

خامساً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة من دعاه ولو يهودياً أو مشركاً ويقول لو دعيت الى كراع أو ذراع لأجبت . ويستحب افطار الصائم المتنفل لتناول طعام أخيه المسلم اذا دعاه ، لكن هنا شيئاً تجب ملاحظته وهو أن الدعوة لا تجب اجابتها الا اذا لم يكن معها ما يخالف الشريعة أو يخل بالمروة والانسانية كما نراه اليوم فى حفلات الأعراس والولائم من الآلات والملاهي وتلك القصائد التى لا يجوز استماعها ولا السكوت عليها أضف الى ذلك اختلاط الرجال بالنساء وحضور المخنثين ومن لا حياء ولا

ايمان له من الذين لا يحترمون عظيماً ولا يجلون كريماً ، وربما قدمت الخمرة فى تلك الحفلات واعتدى على الفضيلة علناً ولا نكير ولا معارض . ويا بئس ما يكون فى هذه الحفلات من شر المفاخرة والمباهاة ، فإنك لترى الموائد وقد مدت على طول المكان وعرضه ، وفيها من المطعومات والمشروبات أنواع متعددة وأصناف متباينة ، فلا يحضرها الا الأغنياء ولا يتسنى للفقير منها لقمة خبز أو جرعة ماء ، فبئس الطعام طعام الولائم يدعى اليها الأغنياء ويرد عنه الفقراء :

وغدا القوت في يد الناس كاليا   قوت حتى نوى الفقير الصياما
يقطع اليوم طاوياً ولديه   دون ريح القتار ريح الخزاما
ويخال الرغيف في البعد بدراً   ويظن اللحوم صيداً حراما
ان أصاب الرغيف من بعد كد   صاح من لي بأن أصيب الإداما

وليس من اجابة الدعوة حضور المخادر والسمرات التي يقصد منها جمع النقود ونهب ما فى جيوب الناس باسم المساعدة على الزواج وقد يكون الامر غير صحيح . ولعن الله ولائم الزار وما يقع فيها من المحرمات والجنايات على الفضيلة والأخلاق والدين والآداب . ولا أحب أن أذكر الآن كل ما يقع فى هذه الحفلات والولائم مما يعود على البلاد وأبنائها بكل شر مستطير ، ولست أريد الإطالة ولا أحب أكثر من أن يعرف الناس رأيي حول هذه العادات والتقاليد المذمومة وحكم الله فيها . الا أنه لا يفوتنى أن أنبه أخوانى الى ما تفعله النساء من المنكرات والمفاخرات فى بيوت الولائم بالملابس المختلفة والحلي والمصاغات الثقيلة وتغيير ذلك فى اليوم الواحد أكثر من مرتين وثلاث وما تسرف فيه المرأة الغنية وتتكلف به المرأة الفقيرة زوجها البائس المسكين ولا تسأل عن رفع أصواتهن بالخلاعة والفحش والبذاءة ، وكثرة ما يقع بينهن من الشتم والسباب والغيبة والنميمة وعيب بعضهن على بعض وانتقاد كل منهن على أختها فى تنظيم هندامها وتصفيف شعرها وسلامة ذوقها ودقة ملاحظتها . وقد يكون المراد من الأمر باجابة الداعي تلبية أخيك والالتفات اليه اذ

ناداك لما يحصل بالاعراض عنه والتغافل عن اجابته من الاساءة واعتقـاده أنك لا تكترث به ولا تعبأ بإقباله عليك .

سادساً وتقدم الـكلام على نصرة المظلوم .

سابعـاً وقد يصاب بعض الناس بشيء من الحماقة والتسرع فيما يستطيع وما لا يستطيع فيحلف على كل شيء ويكلف نفسه بالأيمـان ما لا يطيق ، فـإن كان مؤمناً أنفق ماله فى الـكفارات وندم على ما صار منه ، وان كان فاجراً حنث كل يوم فى يمينــه واستخف بقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) ولهذا أمرنا بابرار المقسم وألا نكلفه من الأمر شططا فيقع فى المغرم أو المأثم ، والمؤمن عون لأخيه فى كل حال . وقـد يتهاون اليوم كثير من الناس بالأيمـان فيحلفون بالله كاذبين متعمدين أو صادقين وليسوا الى ذلك بمحتاجين . وشر الناس من قال فى كل شيء لا والله وبلى والله . ومن حلف على شيء ورأى غيره خيراً منه فعل الذى هو خير وكفر عن يمينه كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قضية الأسعريين الذين جاءوا اليه يستحملونه . ثم اليمين المعتبرة لا تكون الا بالله عز وجل ، ويحرم الحلف بغيره كائناً من كان صدقاً أو كذباً لقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) . وقد يكون ذلك شركاً اذا قصد به تعظيم المخلوق لحديث (من حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله فقد أشرك) . وهـــذا الحالف لا ببر قسمه وليس علينـــا أن نوفيه بيمين أو نذر عقده بغـير الله أو جعله لغير الله . وكفارة اليمين الشرعية عتق رقبة مؤمنة أو اطعام عشرة مساكين من غالب قوت البلد ، وهو عند الشافعية لـكل مسكين مد نبوى كامل سواء شبع به المسكين أو لم يشبع ، ومثل اطعام المساكين كسوتهم بمـا يسمى فى العرف ثوباً ، ومن عجز عن كل ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام ، وجمعهن أفضل من التفريق كما يقول تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولـكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمـان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون

أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) وما نهينا عن الأشياء المذكورة فى هذا الحديث إلا لنتحقق بكل معاني الرجولة ونتصف بكمال المروءة ، إذ العادة أنه لا يبالغ فى الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه وأثاثه إلى درجة الإفراط إلا مترف لين وإن شئت فقل متخنث متأنث والرجل خشن بطبعه وكل ما تلين خفت رجولته ونقصت ذكورته وعجز عن الكفاح وماخلق له فى معترك الحياة ، فلا ينبغي له أن يلبس الذهب والحرير اللذين حللا للنساء وحرما على الرجال ، وإنما يلبس الحرير من لا خلاق له فى الآخرة ومن لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه . ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً وفى يده خاتم ذهب فنزعه وطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به فقال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء فى إستعمال آنية الذهب والفضة نهي شديد عن القائل صلى الله عليه وسلم لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة . والقائل أيضاً الذي يشرب فى آنية الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم وقد كثر الترف واستخف المسلمون بالمحرمات ففاضت المنازل بآنية الفضة والذهب وأسرف النساء فى الحلي إسرافاً يؤدي إلى سوء الحال وضياع المال وإرهاق الرجال . ورجل العمل لا يشغل وقته بما أصيب به شباب اليوم الذين لا يخرجون إلى أعمالهم إلا بعد أن يقضي أحدهم ساعة فلكية تحت المرآة وبعد أن يبرز من نفسه شخصاً آخر ينتقده أو يثني عليه ، وفيهم يقال :

يا أيها السيء الذي ... نرجو له الخير المعجل

لا تحسب المجد الأثيل ... بأن تكحل أو ترجل

كلا والتمس من الرجو ... لة أيها السيء المبجل

أن تقتل الأوقات في تقليب وجهك في السجنجل

ولو أخذت الأمة المحمدية بشريعة نبيها وتعاليم دينها أمراً ونهياً لصلح المجتمع وسعد الأفراد واستقامت الأخلاق ولعاد لهم ما فقدوا ولكنهم أعرضوا عن خطاب الله لهم بقوله تبارك وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) .

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث الخامس والعشرون

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾ (رواه البخاري ومسلم)

لقد من الله على المؤمنين إذ جعلهم أمة واحدة فيما يقولون وما يفعلون وما يأتون وما يذرون فمعبودهم واحد وعبادتهم واحده ، وألف بين قلوبهم ونزع منها العداوة وحمية الجاهلية وأنبت لهم الأخوة فى الإيمان ولا فرق بين صغير وكبير ومتقدم وأخير وذكر وأنثى وحر ومولى ، فقال تعالى :

(فإن تابوا وأقاموا الصلاة فأخوانكم فى الدين) ، وقال أيضاً : (ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان) . وأول ما بدأ به النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ بعثه الله فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته البينة النافعة ويزكيهم من الأدناس والخبائث الضارة ويعلمهم الكتاب والحكمة وأرسله رحمة للعالمين أجمعين وهدى به الناس كافة إلى الصراط المستقيم أنه دعا صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد والإتحاد فحرر الانسان من عبادة الأوثان وتحكم الرؤساء والأعيان واتجه بأهل الأرض قاطبة إلى بارئ الأرض والسماء وعلم أتباعه أنهم لا يعبدون إلا إلهاً واحداً ولا يدينون إلا بقانون واحد فصلاتهم واحدة وقبلتهم واحدة ومواسم الطاعة واحدة والحج والمساجد تجمعهم والدستور يشملهم والقانون فوق كل أحد والمفاضلة بالتقوى . وعقد بين المهاجرين والأنصار أخوة فى الدين وقضى على ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب واختلاف الكلمة ، وما زال يدعو المسلمين إلى الألفة والإتحاد ، ويأمرهم بذلك مع بيان فائدة الإتفاق وما تقع الأمة فيه من الشر بعد الشقاق والإفتراق وإذ فهموا عنه ما يقول وطبقوا تعاليمه وتمسكوا بدينه ملكوا البلاد وسادوا العباد ودانت لهم الدنيا وسعد بهم الأشقياء وبفضلهم قوي الضعفاء وبعدلهم ضعف الأقوياء وقاتلوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وثبتوا فى الحق كأنهم البنيان المرصوص ، يحترم الصغير منهم الكبير ويطيع المأمور منهم الأمير ويواسي الغني منهم الفقير ويرأف عالمهم بجاهلهم فيعلمه ، وكل يقدر منهم أخاه ويحترمه ويؤثرون على أنفسهم بالطيبات ، ويستخفون بالمكاره فى سبيل أمتهم ولا يبالون بالممات ، ولو سمع أحدهم فى المشرق بحادثة ألمت بأخيه فى المغرب لتألم لها وبذل ما يستطيع من مساعدة ومعاونة حسية ومعنوية وأدبية ومادية لتخليصه وكف الأذى عنه وبذلك عز دينهم وحفظت أوطانهم وصنت أعراضهم وأموالهم وهابهم الأعداء وقوي سلطانهم ودخل الناس فى دينهم أفواجاً ، وبهم ظهر الحق وانتشر العلم وعمت الثقافة وأصبح الناس عالة عليهم فى كل خير ومستجيرين بهم بعد

الله من كل شر وحين ذاك وهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء ، وهم كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وما ذهب عنهم الملك وخرج من أيديهم الأمر وظهر عليهم من خالفهم وناوأهم إلا حين تفرق شملهم وفتن الشيطان بينهم واتبعوا الأهواء والسبل الضالة ولم يعتصموا بحبل الله جميعاً ، وما نصر النبي صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر إلا بجيش قليل لا يتجاوز عدده ثلاثين الفاً بيد أنهم كانوا على قلب رجل واحد يطلبون الحياة والشرف لأهلهم وأوطانهم ويبيعون دماءهم وأرواحهم لله طمعاً فيما عنده وحرصاً من القتيل على حياة أخيه فى الدين والايمان . ولما تواكلوا وتخاذلوا وكانوا أحرص الناس على الحياة وود أحدهم لو يعمر الف سنة حكم عليهم الملك العادل بالذلة والغلبة وغزاهم الكفار فى عقر الدار وما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا ونسوا قول الشاعر :

وما مات منا سيد بحتف أنفه … وما طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا … وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما فى نصابنا … كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم … ولا ينكرون القول حين نقول

والانسان وان كثر ماله وعرض جاهه وكبر عقله واتسعت معلوماته لا يستطيع القيام بأمر نفسه ولا يباشر كل شيء من أعماله بيده ولا يستطيع رعاية كل انسان بعينه ، وانما يساعده الناس على ما يريد ويعاونه غيره على قضاء حوائجه ولن يبلغ أحد قصده وينال اكثر ما يريد من شؤونه إلا إذا تحبب الى الناس ووادهم وألفهم وألفوه وبذل من نفسه لهم مثل ما يريد منهم فان كان ملكاً أصلح ما بينه وبين رعيته، فبنوا له المنازل فى صدورهم ورفعوا عرشه على اكتافهم وقالوا له ما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله :

لك العرشان هذا عرش مصر … وهذا فى القلوب له محل
فألف ذات بينهما برأى … وعزم لا يكل ولا يمل
فعرش لا تحف به قلوب … تحف به الخطوب فيضمحل

وان كان عالماً دعا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل بالتى هي أحسن صابراً على الأذى مجداً فى ارشاده مخلصاً فى تعليمه لا يرى له فضلاً على غيره فيزدريه أو يتكبر عليه . بل يجل أقرانه ويحترم زملاءه ويثني بقلبه ولسانه على الفضلاء ولا يعرف الفضل لأهل الفضل الا ذووه ، وعليه أن يتلطف بالجاهل ويرغبه فى العلم ويذكر له ما أعد الله من الخير للعلماء فى الدنيا والآخرة من علو منزلة وطيب عيش وحياة سعيدة وثواب عظيم .

واذا فعل ذلك وعامل بالاكرام من فوقه ومن دونه ومن فى طبقته صار عزيزاً فى قومه محترماً فى عشيرته صيته شائع وذكره ذائع وعلمه نافع وقوله مسموع وتلاميذه كثيرون مجالسه معمورة وكتبه ومؤلفاته منشورة .

ولو بذل العلماء قصارى جهدهم فى الألفة والاتحاد ووحدوا كلمة الأمة وجمعوهم بعد التفرق لقضوا بحكمتهم البالغة وحجتهم الدامغة على هذه المذاهب والاحزاب فى الدين والسياسة . ومن يستطيع غير العلماء أن يصلح ذات البين ويصدع بالحق ويقول بملء فيه اذا رأى الحق نعم وإذا رأى الباطل كلا ولا فيكون ظهيراً للصواب ونصيراً لأهله ، وفى حكمة ولباقة وخبرة ودراية يصلح الأخطاء ويرد أهلها عنها طوعاً وكرهاً ، وهو وارث النبيين وخليفة المرسلين يجمع الله به القلوب المتنافرة ويؤلف به الأرواح المتناكرة .

وان كان غنياً انفق فى الخير ماله وزكى وتصدق وأعطى الاجير حقه ووفى شريكه نصيبه واستفاد منه عميله وتحبب الى أهله واخوانه وأصهاره وأصحابه وجيرانه بما أعطاه ربه من الخير والقلوب مجبولة على حب من أحسن اليها .

ولو شعر المسلمون بأنهم جسم واحد وبناء واحد لسارعوا فى علاج ما تألم منهم وشعب ما انصدع فيهم ولما كثر عددهم وقل نفعهم فهم اليوم زهاء خمسمائة مليون لا تجمعهم جامعة ولا تربطهم رابطة ولا يعرف أحد منهم عن اخوانه شيئاً ولا يهتم بأمرهم ومن لا يهمه أمر المسلمين فليس منهم ، قد زين لهم الشيطان أعمالهم وتعصبوا لغير الدين وحكم عليهم الاستعمار بالنزاع والشقاق وزين لهم الافتراق وعدم الاتفاق ، وكذلك يفعل الظالم

المستبد بالضعفاء المستسلمين (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين) .
ويوم نزل قول الله جل ذكره (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) تيقن أهل الاسلام من عرب وأعجام أنهم جميعاً من اولاد آدم وحواء وعنصرهم الماء والطين وكما بدأهم الله يعودون لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بتقوى الله . ونادى بذلك يوم الفتح على باب الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان فى نفوسهم من الكبر وجعلهم سواسية كأسنان المشط وابطل الكفاءة فى الزواج بين المسلمين وقال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وقال لأهل بيت من الأنصار (يا بني بياضة زوجوا أبا هند وتزوجوا منه) وهو رجل حجام وفعل ذلك قبل كل أحد فزوج بناته من غير الهاشميين وانكح زينب بنت جحش القرشية من زيد ابن حارثة الكلبي .
وكذلك فعل اصحابه من بعده وسار على طريقتهم التابعون لهم باحسان ، حتى اذا نفخ الشيطان فى معاطس الخلفاء وتحكم فى عقول الجهال والعلماء رجعوا الى وراء واحتقر الأغنياء منهم الفقراء ، وغدا الشرف مقصوراً على الملوك والأمراء والوزراء ، وتوهم الخاصة انهم ابناء الله واحباؤه ، وتصور العامة أنهم لا يدانون أولئك فى حسب ولا شرف فعدت الأمة الاسلامية أنفسها طبقات بعضها فوق بعض ودب اليهم الشر من حيث لا يشعرون ، ودخل عليهم البلاء من حيث لا يدرون. ، وبعد أن كانوا خير أمة أخرجت للناس فى الائتلاف والاتحاد والتحابب والتراحم والتوادد وإذا بهم يقولون سيد وشيخ وقبيلي وضعيف ومسكين وجميل وخادم وحائك وحجام ودباغ وخراز وحداد ونجار وحذاء وبقال . وإذا بالشعوب الاسلامية الموصوفة بقوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) تقول عربى وهندى وفارسي وجاوى وصينى وتركي وحبشى وصومالى وسودانى وبربرى وسواحلى ،

والجنس الواحد أيضاً يقول مثلاً شامي ويمني ومصري ونجدي وحجازي وعراقي وعماني (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وفي بلادنا هذه نشعر ونحس باختلاف في الآراء وتبـــاين في الأغراض والمقـاصد لا يتفقون على شيء ولا ينقاد أحد منهم لغـيره وعـددهم قليل ودينهم واحد ولغتهم واحدة ولكن علماءهم مختلفون وتجـارهم مختلفون وعمالهم مختلفون وإن اجتمعوا لشيء تفرقوا قبل أن يعملوا شيئاً يؤسسون الجمعيات والأندية ويضعون لها القوانين الكفيلة ببقائهـا لو عملوا بهـا ، فسرعان ما تزول وتضمحل وتذهب أعمالهم أدراج الرياح لسوء التصرف وعـدم الثقة وإسناد الأمور الى غير أهلهـا ، ويدخلون المساجد متعبدين وضارعين الى الله في توحيد كلمتهم وتسوية معوجهم ولـكنهم يخرجون وما تعاهد منهم اثنان على شيء ولا تنـازل أحد منهم عن أي حق له ولا عرف لأي انسان فضلاً عليـه ، يسمعون الخطبـاء ويقرأون الجرائد والصحف ويشعرون بسوء حالهم ويفرض عليهم كل يوم قانون جديد فلا ينتفعون ولا يتوجعون ، وكلما خرجوا من مصيبة نزلت بهم أخرى وكلما حاولوا أن يحلوا مشكلة ظهرت لهم مشاكل أخرى لأنهم متفرقون ولأنهم لا يعملون مجتمعين ولا يعرفون معنى التضحية ولا يقدرون المصالح العامة ولا يتناجون بالبر والتقوى وإنما يتناجون بالإثم والعـدوان . فأين المودة يا مسلمون ، وأين الرحمة يا مؤمنون . ألا تنظرون الى غيركم فتعتبروا بمـا هم عليه من الاتحـاد وانهم لا يعملون لأنفسهم شيئاً ولا يقيمون لمصالحهم الشخصية وزناً حتى يقوموا بواجبهم نحو أمتهم وأوطانهم ويقولون قد عمل آباؤنا انـا ونحن نعمل لأبنائنا وليس علينا أن يتم المراد على أيدينا وإنما نفتح الطريق لمن بعدنا ونضع الحجر الأساسي في صرح البنـاء ، وفيهم الفدائيون وبأموالهم يجودون وهم في الحوادث يألمون كما تـألمون وترجون من الله ما لا يرجون (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) ويوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها وما بكم يومئذ من قلة ولـكنكم غثاء كغثاء

السيل فآمنوا بالله واتحدوا وتكاتفوا وتساندوا وكونوا من الذين أيد الله بهم نبيه بقوله تعالى (وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

الحديث السادس والعشرون

عن إبن مسعود رضي الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا حسد إلا في إثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحسد تمني زوال النعمة عن أخيك والمراد به هنا الغبطة وهي أن تحب لنفسك من الخير مثل ما أعطاه الله غيرك . وقد جاء ذم الحسد على لسان كل نبي وحكيم واستعاذ بالله منه كل رشيد وحليم ، وعوذ الله منه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وشنع به أهل الكتاب الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وشنع به على المنافقين الذين يقول فيهم (إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) . وهل أوقع الشيطان فى سخط الله ورجمه بلعنة الله إلا حسده لآدم وتكبره عليه . وما وصف القرآن أحداً بالحسد ما وصف به اليهود قديماً وحديثاً فهم القائلون لطالوت : (أنا يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) . وهم القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ما نزل الله على بشر من شيء) ، وهم الذين عرفوا الحق فجحدوه وحاولوا أن يصدوا الناس عنه إستكباراً فى الأرض واستحبوا العمى على الهدى

وكرهوا ما نزل الله على محمد نخيب آمالهم وأبطل أعمالهم (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) . والحسود لا يسود ولا يبلغ المقصود ، ولله در الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله ، وغم الحاسد لا ينقطع وقلبه لا يستريح ونفسه لا تطمئن وثائرته لا تسكن ، ومصيبته لا يجبر عليها وعمله لا يرضى به أحد ولا يقره عليه إلا خبيث مثله وربه ساخط عليه والناس له مبغضون وعنه متباعدون ومعرضون . والمحسود أما كاره لحاسده وحاقد عليه وأما ساخر به وضاحك عليه وعالم بما يقاسيه ويعانيه من سوء نية وخبث طوية يفعل فى صدره الحسد ما تفعل الخمر برأس شاربها ويغلي به غليان المرجل ولا تراه إلا كئيباً حزيناً معارضاً لقضاء الله وقدره لو استطاع الخير لعمل كثيراً ولفكر فى اللحوق بمحسوده ولو قدر على الشر لسلب النعمة من أخيه وجعله فقيراً بعد الغنى وجاهلاً بعد العلم وذليلاً بعد العز ، ولكن الله يختص برحمته من يشاء ويعجل بعض العقوبة للحاسد فى الدنيا . وأشد ما تكون المنافسة وأكثر ما يكون الحسد بين أهل الصنعة الواحدة والشرف المتماثل والبيوت المتجاورة ، ولكنه لا يعيش إلا فى قلوب خبيثة ولا ينبت إلا فى نفوس ضعيفة وهو فى العلماء أكثر منه فى غيرهم كما يقول مالك بن دينار رحمه الله (شهادة القراء مقبولة فى كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس) . وقال بعض الحكماء بضاعة الشيطان خمسة أصناف وعملاؤه خمسة : وهي الحسد ويشتريه منه العلماء ، والكبر ويشتريه الأراذل ، والجور ويشتريه الأمراء ، والخيانة ويشتريها التجار والصناع ، والكيد ويشتريه النساء وسائر الضعفاء . وإنما يتحاسد العلماء إذا كان علمهم لغير الله وأرادوا به صرف وجوه الناس إليهم وبعضهم يتعلم ثم يترك العمل والاكتساب فيصبح عالة على الناس ويعتقد أنهم متى رأوا غيره خيراً منه تركوه وأعرضوا عنه ، ولذلك فهو يحسد أهل الفضل قاطبة ويكره

العلماء أجمعين ولا يثني إلا على ميت أمن شره أو غائب لا يخاف مكره ، ولو أنهم طلبوا العلم لله وأرادوا به الآخرة وعملوا لدنياهم كسائر الناس لصاروا هم السادة والقادة والمشار إليهم بكل فضيلة ولما وقعوا فى قول الشاعر :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ـت حفاظاً وأهجر الآدابا
فبها صارت الكلاب ترجيـ ـنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

والحقيقة ان العلم وسائر الصناعات لا يكون صاحبها حاسداً إلا إذا كان قاصراً فيها وعالماً بقصوره ولو كمل لم يبال بغيره أدركه أو وقف دونه معتقداً ان الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى . وإذا جل قدر امرئ وبرز فى علمه استعان على المزيد بغيره وأخذ الحكمة حيث وجدها ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه . وعلام يقع الحسد فى شيء تزول عينه وأثره وتذهب فائدته ونفعه . وما كان ينبغى إلا أن تحب لنفسك مالاً تنفقه فى طاعة الله وتستعين به على مرضاة الله تقول به فى الخير هكذا وهكذا وتعمر به المساجد والمدارس والملاجئ وتكفل به الأيتام وتطعم منه البؤساء وتعالج به المرضى وتخرج منه الزكاة وتنال به البر وتكسب به الأجر ، أو تتمنى العلم والحكمة لتعلم به الجهال وتقضى به فى الخصومات ، ولمثل ذلك فليعمل العاملون . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا . وهذا ما نسميه بالغبطة ، وصاحبه محمود مشكور على طيب سريرته وحسن نيته وعزمه على الخير لو قدر عليه . وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة) «الحديث» . وأصرح منه قوله عليه الصلاة والسلام (وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه

الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط فى ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء) . وختاماً نسأل الله العافية والعمل الصالح والنية الصادقة ونعوذ به من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد .

الحديث السابع والعشرون

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه :

﴿قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

العتل الغليظ الجافي ، والجواظ المتكبر المختال أو الجموع المنوع .

يختلف النـــاس بأبدانهم وأرواحهم قوة وضعفاً وبقلوبهم ونفوسهم طهارة وخبثاً ، وقد جعل الله للجنة أهلاً هم المؤمنون الأقوياء الرحماء بينهم الأشداء على الكفار المتواضعون لله فى غير ذلة ولا مهانة ، وللنـار أهلاً هم الكافرون المتكبرون الذين إذا سمعوا داعي الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وإذا عرفوا الحق ولم تكن لهم فيه حاجـة قالوا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، وإذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . وإذا كانت الجنة للضعفاء المستضعفين الذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، فليس المراد كما يتوهم الذين لا علم لهم بأصول الدين وتعاليمه السامية أنه لا يدخلها إلا البله والمجانين وذوو العاهات والمرضى ومن لا يرد عن دينه ونفسه

وأهله وكرامته عدواً ولا يستطيع الحياة إلا مغبوناً أو معتوهاً وإنما المراد من وصفهم بالضعف أنهم لا يتكبرون على أحد مع ما أكرمهم الله به من قوة أبدان وكثرة أموال وعدد أولاد وسعة معلومات وجاه عريض فهم الأنبياء والصديقون والعلماء والصالحون والشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله والأغنياء الذين ينفقون أموالهم إبتغاء وجه الله ، ومع كل فضيلة وشرف وأدب ونبل فهم دائماً يرون أنفسهم مقصرين فى الواجب وساعين الى الكمال ، وحيث قد فضل الله المرسلين بعضهم على بعض فكل مفضول يرى فوقه الفاضل ويجهد فىاللحوق به وبلوغ الدرجات العلى فىالجنة . وكذلك العلماء يقرأون قول الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) ويشعرون بتكاليف العمل والتعليم فلا يتكبرون على عالم يعرف ما يجهلون ويفهم ما لا يفهمون ولا يفخرون على متعلم ذكي يدرك ما خفي عليهم أو بليد له بصبره واجتهاده الأجر مرتين . والعابد يخاف على نفسه العجب والرياء ويحذر سوء الخاتمة ويخاف أن يصيبه الملل والسآمة ، والملك الرشيد والغني المتواضع يعلمان حاجتهما الى الناس وأنه لا غنى بهما عن أحد من الحاشية والخدم والساقة ، وصاحب النفوذ فى بلاد صغيرة وأمة فقيرة جاهلة لا يتكبر على أحد ما وهو يعلم ما منح الله الملوك غيره من بلاد واسعة ورعية أغنياء متعلمين ، ومن كانت له عشرات الألوف من الدراهم والدنانير وعنده ذرة من عقل لا يتكبر أيضاً على الفقراء وهو يعلم أن كثيراً من الرؤساء والأذناب يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . فمن أين يأتي الى هؤلاء شيطان الكبر وكيف يترفعون على عباد الله بما آتاهم الله وما رفع الله شيئاً من هذه الدنيا إلا وضعه وما من كمال إلا وبعده كمال . وقد قيل دعوى الكمال مع الكمال نقصان ، فكيف بها مع النقصان . وأولئك هم الضعفاء بتواضعهم الأقوياء فى حقيقتهم الذين أعدهم الله للجنة وأورثهم الأرض وكتب لهم المجد والخلود (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ، وما ضعفهم ولا مسكنتهم إلا فيما يبدو

للناس وإلا فكيف يكونون أئمة وملوكاً وكيف يجعلهم الله سادة الأرض وعمارها (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) . وقد فهم الجهال والملحدون هذا الحديث غلطاً فاحتقروا الجنة وحسبوا الإسلام دين الخمول والجمود والإستكانة حتى قال شاعرهم :

إذا كان السموأل والمعري ورهطهما جميعاً في السعير
فقد فضلت سكنى النار معهم على سكنى السماء مع الحمير

فمن لنا بافهامهم الحقيقة وإرشادهم الى أن شريعة الاسلام لا تريد من أبنائها الذل والضعف والتسليم لكل عدو وشدة ومعارض ، ولكنها تريدهم أقوياء متضعفين وأبطالاً مدافعين وعظماء متواضعين كلما بلغوا من المجد شأواً طلبوا غيره وسمت أنفسهم الى ما هو أعلى منه ولم يكتفوا بشيء قبضوا عليه بأيديهم أو وطأوه بأقدامهم حتى ينتهوا الى غاية ليس بعدها غاية ويصلوا الى رتبة ليس فوقها رتبة ألا وهي الجنة . ومن كبرت نفسه وعلت همته نافس غيره المعالي ولم يقف عند حد من الخير يدفعه الشوق الى الجنة ويحفزه الإيمان الى النشوء والإرتقاء ويقول له الوازع الديني كما قال الشاعر :

وتدرع الصبر الجميل مجاهداً في الله بالعزم القوي مدججا
وإذا صدقت العزم فأأممنا إلى أوج الكمال ترقياً وتدرجا

أما البغيض الممقوت عند الله وخلقه فهو العتل الجواظ المستكبر الذى لا هم له إلا فيما يجمع ولا قصد له إلا فيما يأكل ويشرب ويتمتع به من الطيبات والخبائث غليظ الطبع سيء الخلق قوي الشكيمة لا ينقاد لحق ولا يصغي لقول مناع للخير معتد أثيم ، تذكره بالله وآياته فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين وتأمره بالمعروف وشكر النعمة بصرفها فيما خلقت لأجله فيصعر لك خده ويوليك ظهره قد أعرض ونأى بجانبه وقال : (إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) . وجدير به أن يكون من أهل النار ومع فرعون وهامان وجنودهما وفى زمرة الذين هداهم الله فاستحبوا العمى

على الهدى والقائلين من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) ، ومن يتكبر إلا من وضعه الله ومن يتعاظم إلا من أذله الله :

يسفل النـاس ويعلو معشر قارفوا الأقراف من كل طرف
ولعمريْ إن تأملنـا همو ما علوا لكن طفوا مثل الجيف

وقـد جاء فى ذم الـكبر والمتكبرين من الآيات والأحاديث شيء كثير كقول الله جل ذكره : (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : (العز إزاري والـكبرياء ردائى فمن نازعني فى واحد منهما فقد عذبته) ، والمتكبر الغنى يفتقر ولا يشعر وإن كان فقيراً أضر بنفسه وكلفهـا ما لا تطيق وكان من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم شيخ زان ، وملك كذاب وعائل مستكبر . وإذا وقع أحـد فى الـكبر بعد ما بينه وبين الناس فلا يستطيع نفعاً ولا يقام له وزناً فلا يتعالج إذا مرض ولا يتعلم إذا جهل ولا يرجع الى الصواب إذا أخطأ ولا يطلب مساعـدة إذا احتاج اليها وله الويل إن كان مع ذلك قليل المال وضعيف الجانب وقصير الباع وعديم التجربة وما يكون المتكبر إلا كذلك لا يتواضع إلا إذا وضعته ولا يعرف نفسه إلا إذا أحتقرته ، ولا يخضع لك ويخطب ودك إلا إذا تعاظمت وتكبرت عليه وقلت له كما قال أفلاطون لجاهل متكبر : وددت إنى مثلك فى ظنك ، وإن أعدائى مثلك فى الحقيقة . وقيل لأحمق متكبر قام ساخطاً على أستاذه مالك فقال : دخلت ولم يحترمنى وجلست فـلم يكرمنى ولم يدر من أنا ، ثم استشهد بقول ابن سنى الملك :

ولو كان ادراك الهـدى بمذلة رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى

وما منع الجبـابرة من قبول الحق ومتابعة النبيين إلا تكبرهم عليهم وقولهم : (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) ، وفيهم يقول سبحانه وتعالى (ذلـكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، أدخلوا

أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) .

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الأجدر الأحق ، والإزدراء الإحتقار . وفى الحديث الأمر بأفضل الآداب وأشرف الأخلاق وصفات أهل الايمان الذين إذا أتتهم نعمة الله شكروه عليها وإذا حلت بهم المصيبة ثبتوا لها وصبروا عليها إذا نظروا الى من دونهم فى المال والولد والصحة والعلم والدين لم يقولوا له كما قال صاحب الكهف : (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا) ، ولا كما قال الذين كفروا للذين آمنوا : (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا) ، ولكنهم يحمدون الله على نعمته وما اختصهم به من الخير والفضل العظيم ، فالمظلوم ينصرونه والضعيف يعينونه والجاهل يعلمونه ، وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، زكاة وفطرة وكفارة وفدية وأضحية وعقيقة ووقف وهبة وهدية وصدقة ، ومع ذلك يصومون ويقومون ويحجون ويتلون كتاب الله حق تلاوته وهم به مؤمنون ، يقولون عند رؤية المريض والمبتلى الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، ومع الفقير يعملون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتخذوا مع الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة) ويقولون عند رؤية المال والبنين ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ومهما تكن من حالة وهم عليها فإنهم لا ينفسون على أحد شيئاً فضل به عليهم من زينة الحياة الدنيا

ولا يحتقرون من دونهم . فالأعرج مثلاً إذا رأى المقعد ، والأعور إذا رأى الأعمى ، والألثغ إذا رأى الأخرس ، ومتوسط الحال إذا رأى الفقير البائس شكروا لله نعمته عليهم ولم يزدروها لقلتها ممتثلين لقوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرةالحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) ، ومن نظر الى من دونه وعرف ما هو عليه لزمته مساعدته ورفعه من الحضيض الى المستوى اللائق به جهد الطاقة وحسب القدرة ولا يقول كما قال الذين كفروا للذين آمنوا : (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين) ، ولا مثل أقوال الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون يحتقرون الناس ويترفعون عن مجالستهم ومحادثتهم تكبراً عليهم وكفراً بالمساواة الاسلاميـة وايمانـاً بنظام الطبقات الأرستقراطية وإنمـا المسلم الذى هـذب الدين أخلاقه وقوم الشرع طبعه المعوج من يجالس الفقراء وينادمهم ويرحم الضعفاء ويواسيهم ويتمنى لغيره العافية والرزق الحسن وإذا دخل المكان لم يأنف الجلوس الى جانب الفقير والكبير والضرير والكسير وفى المساجد والأندية والفنـادق والسيارات وعربات القطار لا يترفع عن جيرانه ولا يتمنع من مرافقة أخوانه ولا يستقذر الآنيـــة التي يأكلون ويشربون فيها وكذلك المائدة والكراسي التى يجلسون عليها الا المريض والقـذر والخبيث الرائحة وسيئ المعاشرة فيبتاعـد عنه ويتجنبه ولا يجاريه ولا يماريه ولا يجحده فضله اذا أحسن ولا يكون مثله اذا أساء وأولئـك الأدباء لا ينظرون الى من فوقهم نظر الحـاسد المتمنى زوال النعمة عنهم أو الساخط لقضـاء الله المتبرم بحكمه وجميل قسمته ولا يكلفون أنفسهم عيشة الأغنياء المترفين فى الطعام والشراب واللباس قانعين بالمقسوم وراضين بالمقدور وهم جادون مجدون فى طلب الرزق واكتساب المعـالي اذا أدركوا مرادهم وقضيت حوائجهم قالوا الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، واذا فاتهم الطلب ولم يبلغوا المقصود ألتفتوا الى من وراءهم فشكروا الله . ونظروا الى من أمامهم فقالوا ذلك فضل الله يؤتيه من

يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقال بعض الحكماء صحبت الأغنياء فلم أجد فيهم أحداً أكثر مني هماً لأني كنت أرى ثياباً أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت ، وقال الشاعر :

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

وقد ينظر الإنسان الى من دونه فى بعض الشؤون فيجده فوقه فى شؤون كثيرة أخرى فرب أشعث أغبر إذا تكلم لم يسمع له وإذا خطب لم ينكح لا يعرف حاضراً ولا يفتقد غائباً وهو الأسد فى شجاعته ، والعباب الخضم فى علمه وسخائه ، والفيلسوف الكبير فى تجاريبه وخبرته ، والصديق فى دينه وأمانته ، لو أقسم على الله لأبره ، يزدريه من لا يعرفه لنحافة جسمه ، ورثاثة ثيابه ، ولو جربوه لقربوه ، ولسودوه ولقبوه ، ولعل بصرك إذا نظرت الى من دونك يقع على مثل هذا فتعلم أن فى الزوايا خبايا وفى البرايا بقايا ومن رضي بما هو عليه أستراح من تعب الهموم والأحزان ونصب الآمال الكاذبة والتمنيات المهلكة :

وما هذه الدنيا بدار اقامة وما هي إلا كالطريق الى الوطن
وإن ترض بالمقسوم عشت منعما وإن لم تكن ترضى به عشت فى حزن

فلا تطمع ولا تهلع ولا تجزع ولا تفكر فيما لا وصول اليه ولا تحتقر من فضلك الله عليه واعلم ان كل شيء بقدر الله وانه العالم بأحوال خلقه يعز ويذل ويرفع ويضع ويعطي ويمنع وهو الذى أغنى وأقنى وهو الذى أضحك وأبكى وأنزل فى المعترضين قرآناً يتلى (وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عباس رضي الله عنهما :

﴿إن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث الثلاثون

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة نمام وفي رواية قتات﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

القتات والنمام بمعنى واحد وقيل النمام الذى يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً فينم عليهم والقتات الذى يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم .

لا يؤمن بنعيم القبر وعذابه إلا الذين يؤمنون بالغيب ويصدقون بالتحول من دار الفناء الى دار البقاء وهو أمر لا يعلم حقيقته إلا الله ولا يعرفه إلا من دخل القبر ونال حظه من الجزاء على عمله الصالح أو الطالح . وقالت إمرأة يهودية لعائشة رضي الله عنها : أعاذك الله من عذاب القبر فعجبت من قولها وسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدق ما قالت اليهودية وأخبر أن الناس يفتنون فى قبورهم مثل أو قريباً من فتنة الدجال . وكان إذا دفن الميت وقف عند قبره واستغفر له وقال للناس استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل . والسؤال الذى يوجه الى الميت بعد دفنه

هو عن ربه ونبيه المبعوث اليه ودينه الذى كان عليه ، والتلقين الذى يكون عند القبر مع نداء الميت باسمه واسم أمـــه أو بياعبدالله وابن أمته روي فيه حـديث عن أبى أمامة الباهلي واختلف الناس فى الإحتجاج والعمل به وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتابى (الصارم القرآنى) والميت ينتفع بالدعـاء والإستغفار له ، ولعل الله ينفعه بتسبيح ما حواليـه من الشجر الأخضر كما غرس النبي صلى الله عليه وسلم الجريدتين على القبرين المعذبين ورجا ربه أن يخفف عنهما ما لم تيبس الجريدتان . وإذا كانت النميمة وعدم التنزه من البول مما يوجب عذاب القبر أولاً ثم العذاب بعد الحشر ويوم القيامة فواجب أن نحـذر منهما وأن نهيب عنهما بالذين لا يعلمون مـا فى ذلك من الضرر الكبير والخطر العظيم على المجتمع وعلى الإنسان نفسه . فالنمـام يفسد ذات البين ويفعل بالناس فعل النار بالهشيم يدخل بين الصديقين فيصيرهما عدوين وينقل الى كل منهما عن أخيه ما يسوؤه ويكدر عليـه . وقـد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من النمام ونسبه الى البهتان والإثم المبين ، فقال ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليـه وسلم : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا) . والحكماء يقولون من نم لك نم عليك وتقدم إن شر الخلق عنـد الله ذو الوجهين وذو اللسانين وأضر ما تكون النميمة بين الملوك وأهل القوة المتكافئة القادر كل منهم على الفتك بصاحبه والإنتقام منه . وهل يكون الظلم بعقوبة الأبرياء ونهب اموال المساكين إلا بالنميمة ووشاية المتزلفين الى الأمراء الظلمة والحكام الفجرة إذا دخلوا عليهم نقلوا اليهم ما يوغر صدورهم ويثير أطماعهم فيقتلون بغير حق ويحبسون لغير جريمة ويصادرون أموال الرعية أو يبسطون أيديهم عليها بحجة أنهم النظار والأوصياء وأنهم أوليـاء من لا ولي له وبحجة أن فلاناً منع الزكاة والواجبات الجمركية وخالف قوانين التصدير والتوريد . وكتب النمام الى الصاحب بن عباد يخبره بمال كثير لأيتام ويغريه به فرد له على ظهر كتابه ، النميمة قبيحة ولو كانت

صحيحة ، والميت رحمه الله ، والحي جبره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فليت الملوك والحكام يتثبتون فيما ينقل اليهم ويمحصون ما تأتى به الجواسيس وتنشره الجرائد الملعونة وما يكتب المفسدون فى الأرض من خبر فلان وفلان وما قال زيد وما فعل عمرو ولا سيما الموظفون بقلم الإستعلامات الذين يضرون ولا ينفعون ولا يصدقون فى حكاية ما يرون ولا ما يسمعون . وفى الحرب ومع الفتنة وعند اضطراب الأمور لا بد للملك الحازم ورجال الدولة كلهم من إتخاذ الجواسيس وبث العيون ليطلعوا على كل شيء وليعرفوا مواطن الضعف من أنفسهم فيقووها وليكونوا على حذر من الأعداء وما يدبرون لهم من الحيل والمكايد . وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواسيس أمناء فطناء وإذا جاءه الخبر تبينه وتثبت من راويه . وكان يقول لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر . وقد علمنا الله عز وجل معاملة النمام وعدم الإصغاء اليه ، فقال تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم) . وقال بعض السلف لا يكون النمام إلا زنيماً وهو المتهم فى نسبه وسعى رجل الى بلال ابن أبى بردة الأشعرى برجل من أهل البصرة ، فقال : انصرف حتى أكشف عنك ، وبعد البحث عنه وجده ابن زنا . ولو لم يكن فى التحذير من عمل النمام إلا قول الله جل ذكره (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) لكان كافياً ومغنياً . والعلماء لا يتباغضون ويختلفون لشيء بعد الحسد إلا النميمة يسعى بها الجهال بينهم وينقل بعض التلاميذ كلام أستاذه مبدلاً ومحرفاً فيسبب لخبثه وبلادته الفتنة الشعواء ويثير عواطف الجهال على شيخه ويفتح لعلماء السوء باب الطعن على أستاذه فيدخلون عليه بكل مصيبة وينسبون اليه كل خطيئه . وقد يدخل النمام بيوت الله للعبادة فيخرج مأزوراً غير مأجور يبدل ما سمع من الخطابة والتدريس بما شاءت له نفسه الخبيثة وأوحى به اليه ابليس .

وما كان أيسر أن يجتمع العلماء وينصف كل من نفسه ولا يصدق من نم له على إخوانه وإذا بلغه شيء يسوؤه سأل عن صحته وأحضر معه النمام يفضحه إن كان كاذباً ويحذر الناس من شره إن كان صادقاً . ومن الخبثاء من يسمع غلطاً أو يرى خطأً فلا يستطيع اصلاحه أو لا يريد بأخيه إلا الشماتة فإذا حضر المجالس وغشي الأندية قال : ما أحسن ما صنعت يا فلان وما أجمل ما تفوهت به يوم كذا من خطبة ألقاها أو مسألة أملاها فيمترف المسكين بخبر النمام ويصدقه فى الإستحسان ويظن أنه أصاب كبد الصواب ، وحاز من مستمعيه كل اعجاب ، فإذا أعترف بما كان وصدق ما قيل ثار عليه الناس ثورة رجل واحد وخرج النمـام ضاحكاً يقول كما قال ابليس يوم بدر لـكفار قريش : (فلمـا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب) . ومن النميمة ايغـار صدور الآباء والأساتذة بمـا ينقل بعض الأبناء والتلاميذ عن بعض فيصبح الولد البـار والتلميذ الصالح بغيضين ممقوتين وهما يستحقان من الوالد والمعلم الشكر والتقدير .

أما النميمة فى البيوت الـكبيرة وبين العـائلات الكثيرة فحدث عن الابتلاء بها ولا حرج . ولئن كانت الضرة معذورة بالنميمة على ضرتها وإثارة عواطف الزوج عليهـا فما عذركن أيتها الأمهات والأخوات فى اضرام نار الفتنة وإشعالها فى البيوت العامرة بالأبنـاء والاخوان . ويا لهول ما تنم به الخالة زوجة الأب على أبناء ضرتهـا وما تنقل من أخبارهم الى الوالد الجاهل المخدوع ، واذا صدقت فى شيء واحد فانها كالكهان تضيف الى كلمة الصدق تسماً وتسعين كذبة ، وكلامها مسموع وخبرها مقبول وروايتها صحيحة عند زوجها الذى لا يخالف لها أمراً ولا يخيب لها أملاً ولا يرد لها شفاعة .

أما الذـــى لا يتنزه من البول ولا يتقى النجاسة فى بدنه وثوبه فانه كذلك نجس الباطن خبيث العقيدة مخالف لقول الله جل ذكره (وثيـابك فطهر والرجز فاهجر) سول قائماً فيرش رجليه ويمسح بوله بازاره هو والحمار

اخوان يهزأ به الشيطان ويخرج عن حدود الدين والآداب ويتشبه بقوم لا حظ لهم من الآخرة ولا حياء ولا مروءة . واذا لم تستحِ فاصنع ما شئت . وفاعل هـذا ليس من أهل الصلاة غالباً وإن صلى فحدث وحامل نجاسة وجدير به أن يعذبه الله فى قبره وأن يحشر مع أصحاب الكبائر الذين لا يجتنبون كبائر الاثم ولا الفواحش والمحرومين من بشارة الله لعبـاده بقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلـكم مدخلاً كريما) . والذى يبول فى مجتمعات الناس وطرقهم العامة مضر بنفسه ومتعرض لسبهم ولعنهم ايـاه مستقذر عندهم قبيح عمله ، وهو متسبب فى انتشار الأمراض وتلويث الأماكن التى يمر بها ويجلس فيها النـاس وتقع عليها أبصارهم ، ومثله الذى يبصق ويتمخط حيث كان وكيفما اتفق له وربما تفل بين يدي واقف أو مار فـأصاب بدنه أو ثوبه ورماه بجراثيم ريقـه المسموم ، والأدب والذوق السليم يقضى عليـه بتنحية فصلاته وستر ما يبرز منه . وقد جعل البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها . ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بصاقاً أو نخامة فى قبلة المسجد فغضب وأخذ حصاة وحك بهـا النخامة وقال اذا قام أحدكم الى الصلاة فانمـا يناجى ربه فلا يبصقن بين يديه ولا عن يمينه ولـكن عن يساره أو تحت قدمه أو يفعل بثوبه هـكذا فبصق فيه ودلك بعضه ببعض . وما أقذر الذى يبصق فى يديه ثم يدلك احداهما بالأخرى فيصافح النـــاس بعد ذلك ويمس الطعام والشراب قبل غسلهما .

ولا يحرم البول قائماً الا اذا خيفت النجاسة أو وقع بذلك كشف العورة والناس ينظرون اليه . وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم بال قائمـاً من جرح بعقبه كان يشق عليه الجلوس معه ، وبال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائماً وقال انه أقوى للظهر وأجمع للدبر وأنقى للمثانة . وللضرورة أحكام ، ومخالفة العادة أمر قبيح . وليس من التنزه ما يفعله الموسوسون من التنحنح ونتر الذكر والمشي والقفز والتعلق بحبل يتخذه لنفسه فى الخلاء . ومن

فتح للشيطان باباً على نفسه دخل منه عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استنجى بالمــاء رش على ازاره بالمــاء اتقاء للوسوسة وتبــاعداً عن الأوهام ، وقال يأتى أحدكم الشيطان فى صلاته فينفخ فى مقعدته فيخيل اليه انه أحدث ولم يحدث فاذا وجد ذلك فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحــاً . والشريعة الاسلامية لا تشدد على أهلها ولا تريد بهم العسر فى شيء أبداً ، ولذلك يكتفى فى ازالة البول والغائط عن القبل والدبر بالماء أو الحجارة الطاهرة المنقية ، ولــكنه بالماء أفضل لأنه يزيل الأثر والعين . وقد مدح الله فاعليه بقوله تعــالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . ويكره البول فى الأماكن الصلبــة التى يعود منها الرشاش وكذلك فى مهب الرياح وفى الثقوب والصدوع التى ربمــا كان فيها حيوان تؤذيه أو يؤذيك . ومن التنزه أن يستعد الانسان بآلة التطهير قبل دخول الخلاء وأن لا يمس ذكره بيمينه ولا يستجمر بأقل من ثلاث أحجار . وجاء فى كتب السنة من آداب قضاء الحاجة شيء كثير كقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث ، واذا خرج غفرانك الحمد لله وفى رواية الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافانى ، وقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملاعن الثلاثة البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل ، وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم الغائط فليستتر ، والله تعالى يقول (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلــكم تشكرون) .

الحديث الحادي والثلاثون

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال :

﴿ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر

والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بدا له الأمر المهم فى الدين وأراد المحافظة عليه والعناية به أخذ من الصحابة البيعة عليه فجعل السمع والطاعة منهم ثمناً للجنة التى وعد الله عباده الأتقياء والمؤمنين بما جاءت به الأنبياء . وقد كان يبايع الناس أفراداً وجماعات على أشياء حسبما يقتضيه الحال وتدعو اليه الحاجة . وللأنصار بيعات كثيرة ومنها البيعة فى هذا الحديث على أربع خصال وهي السمع والطاعة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وخلفائهم فيما يحب الفتى ويكره مما أمر به أو نهي عنه لا فرق عنده بين حالتي العسر واليسر بل هو عبد لله وطائع لأميره فى غير معصية الله قائداً وجندياً وحاكماً ومحكوماً عليه ، ان كان له الحق أخذه بالحسنى وان كان عليه أسرع فى أدائه موسراً وطلب الانتظار معسرا مصدقاً بقول الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) . وما هذه الدار الدنيا بالتى تدوم نعمتها ويستمر خيرها ولكنها مجمع الآفات ومستودع المصائب لا يركن اليها الا مغرور ولا ينخدع بها الا مفتون . أما المؤمنون فقد اتخذوها مطية الى الآخرة عالمين بسرعة زوالها وتقلب أحوالها فإن أتتهم السراء شكروا الله عليها واستعانوا بها على مرضاته وإن أصابتهم الضراء صبروا عليها وسألوه العافية . وقد أثنى عليهم الله بقولهم سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . وجزى الله أنصار محمد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء ورضى عنهم فهم الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ولا ينازعون الأمر أهله ولا يطلبون ما ليس لهم بل قد وجدوا فى أنفسهم شيئاً من قسمة غنائم حنين ودفع الأموال

الكثيرة الى قريش ورؤساء الأعراب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضون أن ينقلب الناس بالشاء والبعير وتنقلبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فبكوا وقالوا بلى قد رضينا . وكذلك كانوا مع الخلفاء الراشدين بقلوبهم وسيوفهم يرضون بالقليل صابرين ، ويأخذون أو يردون الكثير شاكرين . وهذه الخصلة الثانية من الأربع وكانوا لا ينازعون الامام فى شيء إلا ما أنكرته قلوبهم وكان الدليل عندهم فيه قطعياً فانهم لمسالمون ومتباعدون عن الفتنة وإثارة الخلاف بين الأئمة والأمة إلا ما رأوه مخالفاً لكتاب الله تعالى وخارجاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيناً لا شكاً وعلماً لا ظناً وعندهم من الله فيه برهان فانهم ينكرونه ولا يقرونه ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم ولا يخشون إلا الله ، يأمرون بالمعروف ويسارعون اليه وينهون عن المنكر ولا يقربونه ولا يرهبون ملكاً لسلطانه ولا يغضون أبصارهم عن فاسق مجاهر لعظم شأنه . اذا ما رأوا المنكر غيروه بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم طمعاً فى الاتصاف بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وخوفاً من قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وترك المشاغبة وإثارة الفتنة مع الصراحة فى الحق هما الخصلتان الثالثة والرابعة . فليتنا نتخلق بهذه المكارم ولا نداهن العصاة والفاسقين ولا نجامل الرؤساء والأعيان فيما يفعلون من الباطل أو يذرون من الحق . وفى الحديث الشريف (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) . وما أحسن ما وصف الله به عباده المؤمنين بقوله تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

الحديث الثاني والثلاثون

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أيضاً :

﴿ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فأوخذ به فى الدنيا فهو كفارة وطهور ومن ستره الله فذلك إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

وهذه بيعة أخرى يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس على أمور ستة يتركونها بأن لهم الجنة ورضواناً من الله أكبر ان هم اجتنبوها وان فعلوا شيئاً منها علناً فعليهم الحد المقرر شرعاً ومن ستره الله فذلك الى الله عز وجل عفواً أو مؤاخذة كما يقول تعالى (ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير) إلا الشرك به تعالى فانه ذنب لا يغفر وجريمة لا يكفرها الحد ولا القتل ولا ينجو صاحبها من سخط الله وغضبه عليه إلا بالاسلام وتوحيده تعالى . وهذه البيعة المباركة والصفقة الرابحة لم تكن خاصة بالرجال المؤمنين بل أمر القرآن محمداً عليه الصلاة والسلام أن يأخذها على النساء المؤمنات فقال تعالى (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) والشرك بالله نوعان أصغر وهو الرياء وتقدم الكلام عليه

فى الحديث الثاني ، وأكبر وهو اتخاذ آلهة من دونه ترجى بفعل الطاعة أو تخاف بترك المعصية وما من إله إلا الله الواحد القهار (الذي له ما فى السماوات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم) بيده ملكوت كل شىء واليه يرجع الأمر كله واذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . لا يعبد إلا إياه ولا يستعان إلا به ولا يرجى إلا إياه ولا يخاف إلا منه . قضاؤه نافذ وقدره كائن لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى ولا ينفع ذا الجد منه الجد . فمن عبد غيره أو اتكل على سواه تبرأ منه ووكله الى نفسه وشريكه وهو أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معه فيه غيره تركه وشركه وانما يتقبل الله من المتقين . ومن دعا غير الله أو ناداه فى مهماته أو طلب منه ما لا يقدر عليه إلا صاحب القدرة المطلقة فقد أشرك .
وكذلك من ركع أو سجد أو ذبح أو نذر أو حلق لغير الله أو حلف بأى مخلوق ولو نبياً او ملكاً (فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله نداً قل ما شاء الله وحده . وقال صلى الله عليه وسلم (لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من غير منار الأرض ولعن الله من آوى محدثاً) .
وقال أيضاً من حلف بغير الله فقد عظمه ومن عظم غير الله فقد أشرك .
وقال ايضاً لقوم أتوه يستغيثون به من فلان منافق أنه لا يستغاث الا بالله .
وليس من الشرك أن تطلب من أحد مساعدته فيما يقدر عليه من أخذ حق أو دفع باطل أو علاج مريض أو اصلاح فاسد أو غير ذلك مما تستحب فيه المعاونة وتقع فيه المساعدة والمسلم الصادق فى اسلامه لا يشرك بالله ، والحمد لله ، فيما يعلم أنه لا يكون الا لله بيد أنه يقع فى المحذور وهو لا يشعر ويضل عن الجادة وهو لا يدرى ولذلك علمنا أن نقول اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه واستغفرك لما أعلم . وقد مرض المتكبرون

والظلمة الجبارون على الضعفاء أن يرهبوهم أو يرغبوا فيما عندهم حتى سجدوا بين أيديهم وقبلوا أكفهم الأثيمة وأقدامهم الساعية بهم فى سخط الله .

ولم أر قط أسمج من يمين   تسود نفسها قطعت يمينا

واصبح هؤلاء المستعبدون يتقربون الى اسيادهم بما يرضيهم طمعاً فى أموالهم أو اتقـــاء لشرهم فمدحوهم بالقصائد الرنانة وتزلفوا اليهم بمثل قول الفاجر لسلطانه :

ما شئت لا ما شاءت الاقـدار   فاحكم فأنت المالك القهـار

ولو اعتصم العبد بالله وعلم أنه لا يضره ولا ينفعه سواه لأغناه وكفاه وحال بينه وبين من يخشاه . (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) . وعلام تخضع أيها المؤمن أو تتذلل لمخلوق مثلك يحتاج الى ما تحتاج اليه وانت الكريم على الله الأعز عليه من أن يضيمك أو يردك خائباً وانت متجه اليه ومعول على فضله وكرمه ، وهو القائل تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعـاني فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعـلهم يرشدون) والسرقة هى أخـذ المال خفية من حرز مثله ، وحـدها قطع يد السارق اليمنى من مفصل الكف فان عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب فان عاد قطعت يده اليسرى فان عاد قطعت رجله اليمنى كذلك فان عاد حبس أو عزر أو قتل صبراً على خلاف بين العلمـاء فى ذلك . قال الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) . وكان السارق فى الشرائع القديمة معـاقباً بعقوبات مختلفة فقوم يضربونه ويغرمونه ما أخذ ومثله معه . وقدم يسترقونه سنة كاملة كما حكى ذلك المفسرون عند قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم) . ويذكر ان الاسكندر صلب سارقاً فقال السارق انما أخذت المال كارهاً فقال له وكذلك تصلب كارهاً . وهذه الصفة مذمومة فى الناس أجمعين ولا

يتخلق بها إلا ممقوت عندالله وخلقه وهي من العادات السيئة إذا فعلها المرء مرة تشوق اليها أخرى . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده) والمراد أنه إذا أخذ القليل ابتداء أخذ بعده النصاب الذى تقطع فيه يده . وقد انكر المعرى قطع يد السارق وفتح للملاحدة وأعداء الاسلام باباً لتفنيد الشريعة وتمطيل الحدود فقال :

يد بخمس مئين عسجداً وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار

فرد عليه جماعة من أهل العلم شعراً ونثراً وقال بعضهم :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانه فافهم حكمة البارى

وهل ملئت السجون وكثر الاجرام وخاف الناس على بيوتهم وأموالهم إلا من انتشار السرقة وعدم المؤاخذة عليها بما يوقف الظالم عند حده ويثنيه عن الفساد فى الأرض وازعاج الناس فى اسواقهم ومساكنهم وهذه الحجاز التى كان لا يأمن الحاج فيها على نفسه ولا ماله من السراق وقطاع الطريق تتمتع اليوم بأمن لا يوجد له نظير فى أية بلاد أخرى . والعرب قبل الاسلام كانوا يعيبون السرقة ويذمون عليها ويفضل أحدهم الموت جوعاً على أن يتهم بسرقة ما إلا الذين لا حياء ولا شرف لهم ولا يبالون بما قيل فيهم ومن أجلهم كانت البيعة تؤخذ على الجميع ان لا يسرقوا وان وقع من شرفائهم شيء من ذلك بولغ فى اخفائه وكتمانه ابقاء عليه واحتفاظاً بمكانته العالية فى قومه وبلاده . حتى حاولت قريش اسقاط الحد عن فاطمة المخزومية السارقة وتشفع فيها اسامة بن زيد فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطع يدها واعلام الناس بسواسية الاسلام وكف المجرمين عن اجرامهم . وفى الناس من يأخذ الأموال ويعبث بالحقوق بحيلة شرعية كما يقول أو ضريبة وضعت لها السياسة وأهواء الطامعين اسماً خاصاً وحاجة تخول لهم النهب والسرقة .

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلماً منظما

ومر يوماً عمرو بن عبيد المعتزلي بسارق تقطع يده والناس وقوف ينظرون

اليه فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر . وقال الشاعر الزبيرى يرثى أحد العلماء العاملين :

نزهت كفك من سحت قد انغمست
فيه الأكف الاثيمات المشاهير

يرون قطع يمين اللص جائمة
وحظ أيديهم لثم وتوقير

ذنب الفقير له شتم ومنقصة
وذنبهم فيه تهليل وتكبير

لا يؤخذون بما غلوا وما اختلسوا
كأنما العلم للاجرام تبرير

فآه على مسلم قادر على العمل والاكتساب عالم بإثم السرقة وشناعة امرها يمد يده الى قليل من المال يلام عليه فى الدنيا ويعاقب عليه عاجلاً وآجلاً وهو الذى يحمل براءة المؤمنين من العيوب والدنايا ويضرب المثل الأعلى لغيره بنزاهة أهل الاسلام عن مساوي الأخلاق . (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) . والفاحشة الكبرى والسيئة العظمى هى والعياذ بالله الزنا الذى حذر عنه القرآن وخوفت منه السنة وترفعت عنه نفوس الأحرار ومالت اليه ورغبت فيه نفوس الاشرار من الخبيثات والخبيثين وأعداء الفضيلة والدين . وهو محرم فى جميع الشرائع ومذموم فى عامة القوانين لا يفعله إلا من تجرد عن المروءة والحياء ولا يقع فيه إلا أشد الناس فجوراً من الرجال والنساء . وقد جعل الله لمرتكبيه حداً ليس فوقه حد وذلك أن المكلف البكر الذى لم يطأ فى نكاح صحيح اذا زنى جلد مائة جلدة وغرب عن بلاده حولاً كاملاً والمحصن يرجم بالحجارة حتى يموت لما يترتب على هذه الجريمة من اختلاط الأنساب وتوريث الأجانب وانتهاك الأعراض وفقر الأغنياء وانتشار الأمراض . وما ظهر الزنا والربا فى قوم إلا وظهر فيهم الفقر والمرض وظلم السلطان . وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (ايما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو

ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين)
والزنا كله خبيث ولا يفعله إلا خبيث ، وحسبك أيها المؤمن دليلاً على حرمته
وشدة النهي عنه قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) .
وانه تعالى قد اشترط لقبول الاسلام كف أهله عن الزنا كما فى هذا الحديث .
وفى قوله تعالى (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات) «الآية» وأمر بالحد عليه فى
ملأ من الناس يشهدون عذاب الله فى الزاني والتنكيل به حتى لا يقربوه بعد
ذلك ولا تحدثهم به أنفسهم ولا ينظرون إلى صاحبه إلا بعين المقت والاحتقار
والازدراء حتى يتوب ويطهره الجلد قال تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وأكبره عندالله
حرماً وأشده اثماً واكثره عذاباً يوم القيامة أن يزنى الرجل بحليلة جاره أو
امرأة مغيبة لما فيه من اعتداء على حق الجار وخيانة له وللغائب الذى أمنك
على أهله ووثق بك فى ماله وبيته وزوجته وبنيه . وقد يحصل القرب بين
المتجاورين ويقع الاتصال والاختلاط الشريف فما يلبث عدو الله وعدو نفسه
أن يزج بدينه وكرامته فى الشر والفساد ويعبث بكرامة غيره وأحق الناس
عليه وألصقهم به فيثب على امرأته ويسلبها العفاف والشرف ويفضى بها
وبدارها الى الخراب وسوء المستقبل بالطلاق والفراق وكراهة الناس لما
وتمزيق عرض زوجها وغيرته التي تقتله حيناً وتحمله على الانتقام حيناً آخر .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما تقولون فى الزنا قالوا حرام
حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره . والله
تبارك وتعالى لا يحرم شيئاً ولا يمنع من شيء إلا لما فيه من ضرر وما يترتب
عليه من بلاء فالانسان إذا زنى وتعلق قلبه بالزنا بدد ثروته ومحق ماله وجنى
على شرفه وأصبح أسير شهوته وطوع ارادة الشيطان ، تتحكم فيه
الوموسات وينصرف عن زوجته الطاهرة الى امرأة بغية خبيثة لا ترد عن

نفسها كف لامس ولا تبالى بمن أتاها قد جمعت من الأمراض المعدية والآفات المهلكة أشدها فتكاً وأسرعها هلكة . وهل يصاب بالسيلان والزهرى وما فى معناهما إلا الزناة ومن لا يبالى بنطفته أين يضعها وكيف يخرجها . وقد ينقل الرجل من المرأة مرضاً قاتلاً وبالعكس فيذهب به الى امرأة أخرى أو تذهب هى به الى رجل آخر فينتشر البلاء ويتكاثر الأذى ويصاب البريء وينساله الشر وهو منه بعيد وله مجانب . وقد يخرج أولاد الزناة عمياً ومصابين بالبرص والجذام . وعلى صور الفروج وما ينتابها من الأمراض فى المتحف الصحي بمصر العزيزة ، قد كتبت هذه الآية الكريمة (ولا تقربوا الزنا) الى آخرها . ومن النتائج السيئة لفاحشة الزنا أن يقع فيه بعض الرجال فتحمل منه المرأة ثم يتزوجها بعد ذلك فينسب اليه الولد ويأخذ من التركة ما لا حق له فيه . وما يقع الخصام بين الزوجين غالباً إلا إذا اتهم احدهما الآخر بشيء من هذا . وقد تساهل الناس بأمر الزنا وظهر فيهم ظهوراً يستوجب غضب الله وان يعمهم بعذاب من عنده وتفحشت المرأة وجهرت بالسوء وتعرضت للفتنة ودعت الى نفسها سراً وجهراً وذهبت من الرجال غيرتهم وزالت منهم الرجولة ومعنويات الانسانية فداثوا وقادوا وغضوا على الشوك أبصارهم . وجاءت المدنية الغربية والحرية الملونة فقضت على العادات الكريمة والتقاليد المحترمة وزعزعت من نفوس الضعفاء دينهم وايمانهم ومنحتهم السلطات الحكومية رخص البغاء وحالت بينهم وبين من ينكره عليهم من قريب وبعيد فبارزوا الله بالمعاصي وحاربوه بالذنوب والمعصية دليل الخسر وبريد الكفر وويل لهم من قوله تعالى (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) ومثل الزنا بل أشد منه اللواط الذى عذب الله عليه امة بأسرها واستأصلهم به حين قال لهم نبيهم (انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت

من الصادقين) فلعن الله من عمل عمل قوم لوط وركب المرد والغلمان وسبب الفساد ودعا اليه وأنفق ماله فيه . وقد بالغ الاسلام فى انكار هذا العمل وتوعد عليه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) ، وخاف على أمته أن يظهر فيهم اللواط فقال : (إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط) . واختلف العلماء فى حد اللائط ، فقيل يقتل بالسيف ، وقيل يرجم كالزانى ، وقيل يرمى به من أعلى مكان فى المدينة ثم يتبع بالحجارة . وأحرق اللوطي أبو بكر الصديق وعلي ابن أبى طالب وعبدالله بن الزبير وهشام بن عبدالملك .
وأي معصية يعافها الذوق وتنفر منها الطباع السليمة مثل اللوطية التى لا تفعلها الحمير ولا ترضى بها الكلاب ولا الخنازير . فداؤها عضال والمصاب بها عضو مسموم فى جسم الأمة يجب قطعه قبل أن يسري منه الداء الى غيره ، وهي نتيجة الترف والتمادي فى الشهوات ، فقليلاً ما تكون فى الفقراء وسكان البوادي ، وكثيراً ما تكون فى الأغنياء وأبناء الملوك وقصور الأمراء وبيوت الأعيان (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) . وما كان النبي عليه الصلاة والسلام يأخذ البيعة على ترك الزنا إلا لكثرته وانتشاره فى نساء فقيرات جاهلات ، ورجال ينفقون أموالهم فى سبيل ملذاتهم والإستكثار من الأولاد شرعيين وغير شرعيين . فكانت أساليب الفاحشة أيام الجاهلية متعددة وطرقها متباينة ، فكان يفتخر بها رجال ويستلحقون منها الأولاد الذين لا تعرف آباؤهم . وكان منهم من يستتر بها ويكره أن ينسب اليه ولد من الزنا .
فربما اشترك الزانيان فى قتل الولد خشية الفضيحة وعجزاً عن الإنفاق عليه .
ومن العرب من كان يقتل ولده ويدفن إبنته حية خشية الإملاق وصوناً لعرضه أن تلوثه البنت الزانية ، فنهاهم الله عن ذلك وبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على تركه (ولا تقتلوا أولادكم خشيه إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيرا) (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) . وغالباً تقتل الزانية

ولدها فتجمع على نفسها مصيبتين وتحارب الله بمعصيتين الزنا وقتل النفس التى حرم الله بغير حق ، وربما وضعته على الطريق حياً وتركته لمشيئة الله يموت أو يحيي وليست بسائلة عنه ولا متحننة عليه ، ولو لا الملاجئ وعناية الحكومات باللقطاء لضاقت بهم البيوت وامتلأت بهم الأسواق والطرقات ، لا سيما فى أوروبا وأمريكا وحيث تكثر البغايا ويقل الرجال بالقتل والأسفار البعيدة . وقد بلغ إحصاء المواليد فى انجلترا ألف مولود أسبوعياً غير شرعيين بنسبة واحد فى الإثنى عشر ، وهم فى بلاد الدانيمارك والسويد بنسبة واحد فى العشرة وواحد فى السبعة . وحملت إمرأة من السفاح واعترفت بذلك وهي عضو فى البرلمان الدانيماركي . فيا لها من مدنية لا تبقي على فضيلة ولا تكف عن رذيلة (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وكان محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة من النساء حين فتح مكة على هذه الأمور ، فقالت له هند بنت عتبة حين قال لها : ولا تزنين ، أو تزني الحرة ، قال : ولا تقتلن أولادكن ، قالت : لقد ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً . وأكرم بها من حرة أبية تستنكر الزنا من الحرائر وتراه من شأن الإماء والولائد اللاتى يعشن بفروجهن ويشربن من ألبان ثديهن :

وما يستوي المرآن هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

والمعروف إذا أسدي اليك شكرت عليه وقابلته بالثناء على صاحبه ولا شيء فى المعروف كهداية الأنبياء وإرشادهم الخلق الى الله فحق على كل أمة أن لا تعصي نبيها فى معروف وما تأمر رسل الله إلا بمعروف ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . والأنبياء معصومون من المعصية ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أخبرهم بوجوب طاعته فيما شرع الله وأمر به عباده إجمالاً وتفصيلاً وجعل ذلك لسائر الخلفاء والأمراء ، فقال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا) . وأمر رجلاً على سرية ، فقال الأمير لبعضهم وقد أوقد نارا : أدخلوا فيها إن كنتم طائعين ، فتماسكوا ليفعلوا ثم ذكروا أنهم لم يسلموا إلا

فراراً من النـار فكيف يلقون بأنفسهم فيها فأحجموا عن ذلك وأعفـاهم الأمير الذى كان يريد تجربتهم فى طاعتهم له . ولما بلغ الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وكذلك الله تعالى يقول فى طاعة الوالدين (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفـا) . فهنيئاً لمن تمت بيعته وطوبى لمن ابتعد عن الذنوب أو وقع فى شىء منها فطهر نفسه بصدق التوبة نادماً على ما فات عازماً على أن لا يعود مستغفراً معتذراً (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) .

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقـة ، وتعين الرجل فى دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة ، ودل الطريق صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

السلامى واحد السلاميات وهو المفصل من الجسم الانسانى المشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً والمراد . والله أعلم . أن لله سبحانه وتعالى

على عبده فضلاً كبيراً ونعماً جمة يجب شكره عليها والاعتراف له بها وصرفها فى ما خلقت لأجله (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، والشكر يستوجب المزيد . ومن استعمل فى طاعة الله نفسه وماله وما أعطاه مولاه فقد استحق عليه جل وعلا دوام نعمته وأن لا يحاسبه عليها بل يقول له كما قال لسليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) . وهو القائل فى أبهة ملكه وقوة سلطانه (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غني كريم) . وأعظم النعم وأجلها بعد الاسلام هى نعمة الصحة واستقامة الخلق وحسن التركيب فى جسمك الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، فتبارك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ربك حتى تميزت عن اللايين وملايين الملايين بصورة خاصة ونغمة صوتية خاصة (ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم) فصوت أجش وصوت رخيم ولسان ثقيل وآخر فصيح وبشرة ناعمة بيضاء وبشرة خشنة سوداء ووجه قبيح وآخر جميل وصبيح (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) والذى جعلك ناطقاً بلحم وسامعاً بعظم ومبصراً بشحم وأودع فيك من الآيات ما فيه ذكرى للذاكرين وعظة للمستبصرين جدير بأن لا تفتر عن عبادته ولا تقصر فى طاعته ولا تصرف نعمه عليك فى معصيته ولئن عجزت عن الخير كله فلست بعاجز عن تركك الشر كله ومجانبة أهله وعلى كل عضو منك صدقة تتقرب بها الى الله وتتوسل بها اليه فى دوام عافيته ودفع المصائب والأمراض عنك أيها الضعيف الذى لو تألم ظفرك أو مفصل صغير فى كفك أو قدمك لاختل توازنك وضاقت بك الدنيا .

وما كل أحد بقادر على صدقة مالية يقدمها الى فقير أو مسكين فجعل الله طرق الخير كثيرة وحسب لك الأعمال الصالحة كلها صدقة مقبولة . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى التصدق بما لا مشقة فيه ولا كلفة

على المتقربين به الى الله كما قال للفقراء القائلين يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته فيكون له أجر فيها قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر .

وهذه ستة أشياء يجعلها النبي عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث من الصدقة التى يزكي بها الانسان عن مفاصله ويحمد بها ربه على أداء كل عضو من أعضائه وظيفته ، وهى : أن تعدل بين اثنين متحاكمين أو متخاصمين أو متهاجرين فتنصف المظلوم وتصبره على ما فات من حقه وتأمره بالعفو والمسامحة والتنازل عن بعض ماله لأخيه المسلم فى سبيل الأخوة الدينية واستبقاء للمحبة بين المؤمنين وتكف الظالم عن ظلمه فتخوفه بالله وتذكره أيام الله وتعاقبه إن أصر على ذنبه بما يستحق من حبس أو تعزير أو ضرب أو تخسير . وحبذا لو يكون العدل بين المتخاصمين بصلح لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً فالصلح خير . ولله در القائل :

ان الفضائل كلها لو جمعت رجعت بجملتها الى شيئين

• تعظيم ذات الله جل جلاله والسعي فى اصلاح ذات البين

وللصلح فى كتب الفقه أربعة أبواب معروفة الاحكام والمسائل ، وهى بين الامام ورعيته وبين المسلمين والكفار وبين الزوج وزوجاته أو زوجته الواحدة وبين المتعاملين بالتجارة والمداينة . (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين) . ونحن بحاجة ماسة الى رجال مصلحين لهم خبرة بأحوال الناس ومعاملاتهم ومعرفة بأخذ خواطر المتخاصمين ووعد كل بما يرضيه ليخلصونا

من المشاجرات والمنازعات في المحاكم الشرعية والقانونيــة التي ملئت بقضايا الجنايات والديون والخيانات وكثير من الدعاوى الصادقة والـكاذبة . وانه ليحزننا امتلاء المحاكم والسجون بالمتخاصمين والمجرمين منا ونحن أهل البلاد وأبناؤها وأتباع القــائل صلى الله عليه وسلم كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقـة ، والمنزل عليــه قول الله جل ذكره في عباده المؤمنين (والـكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) . والخصمان المتعاديان قد يدخل بينهما المصلح الحـكيم فيجعلهما صديقين حميمين بما ينقل من طيب الـكلام وحسن الثناء من أحدهما الى الآخر وبذكره لـكل منهما فضيلة الصبر والاحتمال وجميل ما يسمع في حقه من خصمه الذي يجل شأنه ويعترف له بعلو المنزلة وطيب الفعال .

والتعاون من أخلاق الذين يبنون الممالك وينظمون الحكومات ويعمرون البلاد وتسعد بهم الأمة والمجتمع ، والمرء قليل بنفسه كثير بأعوانه والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وخير الناس أنفعهم للناس وسنة الله في عباده احتياج هذا الى هذا وافتقار كل منهم الى غيره وإن اتسع ملـكه وكثر ماله .

والناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولا يقوم بنفسه مستغنياً عن الخلق أجمعين إلا الله القائل في الحديث القدسي (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) .

أما الفقير الى الطعام والشراب واللباس والمسكن والأثاث وما لا بد منه للحياة فمحتاج الى غيره من بناء ونجار وحداد ونساج وخياط ومزارع وخباز وسقاء والى والى ما لا نهاية . ومن كان هذا حاله فعليه أن يعين وله أن يستعين كل بحسب ما يطيق وبقدر ما يستطيع (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) . وأنت إن لم تواس فقيراً أو تكفل يتيماً أو تعود مريضاً أو تنقذ غريقـاً أو تعلم جاهلاً أو تساعد بائساً أو تنظر معسراً فلن يفوتك أن تعين رجلاً في

دابته تمسكها له حتى يركب أو ترفع معه المتاع عليها وهـــذا من التعاون وكذلك إن رددتها وهي شاردة أو أخذت بزمامها وهي جامحة أو ساعدته على سقيها وعلفها . ومثل الدابة سائر المراكيب فى البر والبحر والجو تمر بسفينة وقد نفذ وقودها أو تخرق شراعهـا أو اصطدمت بلغم أو شيء آخر فتنقذ أهلها وتخلصهم من الغرق أو تمدهم بما يحتاجون اليه . وسائق سيارة تلقاه فى الطريق حـائراً لعطب فى سيارته أو حادثة ألمت به فتعينه بمـا أمكن أو تأخذه معك الى حيث يجد حاجته أو ترجع معه لمساعدته . ورجل ضعفت قوته ونفذ زاده وكلت به دابته تردفه معك أو تحمله على دابة أخرى تطوعاً واحتساباً يكون ذلك عند الله لك صدقـة . والـكلمة الطيبة من تلاوة أو ذكر أو أمر بخير أو نهي عن شر تعد لك عند الله صدقـة أيضاً . والأذان والاقامة والتعليم بالتدريس والخطابة وتأليف الـكتب ونشر المقالات النافعة من الـكلم الطيب الذى يحبه الله ويرفعه اليه (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) . والإنسان يتكلم بكلمة لا يلقي لهـا بالاً يدخله الله بها النـار أو الجنة . وردك السائل بالحسنى أحب اليه والى الله من قهره بالعطاء وإذلاله بالصدقـة (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) ، والخروج الى المساجد وتعلق القلب بها والتردد اليها للصلاة بعد الصلاة من تمام الإيمان وصدق اليقين . ومن تطهر في بيته وخرج الى المسجد لا يريد إلا الصلاة كتب الله له بكل قدم يرفعه أو يضعه حسنة كاملة وحط عنه سيئة ورفع له درجـة كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم (وبكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة) . وأراد بنو سلمة من الأنصار أن ينقلوا بيوتهم الى جوار المسجـد حتى أخبرهم صلى الله عليـه وسلم بأجور مشيهم وثواب خطاهم الى المسجد ونزل قول الله تعالى : (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين) ، فتركوا ما أرادوا وقالوا ليت بيوتنا تزداد بعداً عن المسجد حتى تزداد مشياً اليه . وإماطة الأذى عن الطريق صدقة أيضاً بل هو من شعب

الإيمان كما يقول صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وقد يكون الأذى حسياً كالشوك والحجارة وكسر الزجاج وما يرمي به الجهال والسفهاء من قشر الفواكه كالموز والبطيخ الذى ربما زلقت به رجل عاجز أو ضرير فانكسرت أو ضرب بوجهه الأرض . وقد يكون الأذى معنوياً كما سيأتى الكلام عليه إن شاء الله (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) .

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إياكم والجلوس في الطرقات ، فقالوا : يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

للناس أندية ومجالس يجتمعون فيها ويتحدث بعضهم الى بعض ، وما جلس قوم فى مكان لا يذكرون الله فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة . ومن الأماكن التي يحضرها الخاصة والعامة ويختلط الحابل فيها بالنابل الطرقات العامة يسلكها الرجال والنساء ويمر بها الأشراف والسفهاء فيظهر

للعيان منكر وزور من القول والفعل ويترك المعروف ولا يتجاسر على الأمر به الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، ومن أجل ذلك نهينا عن القعود فى الطرقات حسماً لمادة الشر وسداً لأبواب الفساد ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة . وإن أبى أحد إلا القعود فلا حرج عليه إذا عرف حق الطريق وقام به ، وهو كما فى الحديث خمسة أشياء : غض البصر ورد السلام وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد يحرم السير فضلاً عن الجلوس فى بعض الشوارع التى لا يطرقها إلا الأراذل والسفهاء والمتهمون فى أفعالهم وصفاتهم بالسوء وعدم الاحتشام . وأى شيء تنوء به كواهل الشيوخ المتهوسين والشبيبة المتهتكين مثل كف البصر عن الحرمات وأبواب البيوت ونوافذها المفتحة والنساء المارات الغاديات الرائحات فى حوائجهن فانهم ينظرون الى كل ذلك نظر السباع الضارية الى الفريسة . وما العشق والغزل والفتنة والغرام القاتل إلا تبعاً لنظرات خبيثة هن والله سهام مسمومة من سهام ابليس المسددة الى أفئدة الخارجين على قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) . وأول الشعر زمزمة وقبل الصدام يكون الكلام وبعد التشوف يقع التخوف . ورحم الله القائل :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وقد ينظر الرجل الى المرأة نظرة يحول بها قلبها الخبيث عن زوجها الغيور عليها والمحسن اليها ووالد أبنائها وصاحب عذرتها فتبغضه بعد الحب وتكره البقاء معه رغبة فى الوصول الى ذلك الشرير واللحوق به ، فلقد سرقها عن سعادتها الى شقائها وجردها من عفافها وحيائها اذا هي التفتت اليه وصدقت ما كتب بين عينيه من الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة وإن هي أعرضت عنه ولم تبال به تركته يموت حسرات عليها ويحترق جوفه سوقاً اليها حتى يصدق فيه قول الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
أسر مقلتـه ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

وقد يكون عبداً صالحاً ورجلاً تقياً اتبع نفسه هواها وملأ عينه بمناها فذل بعد العز وفسق بعد العفة ونقص بعد الكمال ونسي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محـــالة : فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الـكلام واليـد زناها البطش والرجل زناها الخطى والقـلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه) ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ورب انسان مد له الشيطان حبال الفتنة وصرف وجهه تلقاء امرأة أجنبيـة ، والنساء حبائل الشيطان ، فنسى الدين والتقوى وأصبح ينشد فيه الواعظ قول مسكين الدارمى :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ما ذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيـابه حتى عرضت له بباب المسجد
ردي عليـه صلاته وصيامه لا تفتنيـه بحق دين محمد

والذين لا يغضون أبصارهم عن الحرام يصابون فى الدنيا بالعمى وتمتلىء عيونهم يوم القيامة من نار جهنم ، والنظرة الأولى لك والأخرى عليك .

ومن أراد نكاح امرأة وعزم على ذلك جاز له النظر الى وجهها وكفيها رضيت بذلك أم لا ليعرف جمالهـــا ونعومة بدنها فيخطبهـا راغباً فيها ويتزوجها بعد المشاهدة ، وليس الخبر كالعيان . وما ظهر فى هــذه الأيام من العادات السيئة وتقـاليد الغربيين فى معاشرة الخاطب لمخطوبته وسيره معها واختلائه بها من الأمور التى لا تحل شرعـاً ولا يجوز للمسلم فعلها ، فربما وقع الشيء قبل أوانه وربما زهد فيها أو رغبت عنه بعد ما تعلق قلب أحدهما بصاحبه . وكما يجب كف البصر عن الأجنبيـات وملابسهن من الثياب والحلي فكذلك يجب عليهن أن يدنين عليهن من جلابيبهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، فلا تخرج المرأة من بيتها الا وهى مستترة متنكبة

المجتمعات العامة وقارعة الطريق محتشمة فى مشيها ولباسها بعيدة عن حركات الريبة ومواضع التهمة غير متعطرة ولا متلفتة عاملة بقول ربها (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) «الآية» وقوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) .

ومن الداء العضال ما أصيبت به البلاد الاسلامية التى لا يزال أهلها على جانب من الدين عظيم خروج النساء لزيارة القبور وتبرجهن فى مواسم الزيارة يتعرضن للرجال ويأتين من كل فج عميق يطلبن البركة ويلتمسن نفحات الخير من الأموات . وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم زائرات القبور وقال لطائفة خرجت منهن قبل المقابر ارجعن مأزورات غير مأجورات وذلك فى عصر المروءة وزمان العفة ، أما اليوم فلو رآهن لردهن الى البيوت مضروبات باكيات . وباسم الدين وعلى حساب الاسلام يقع الاختلاط المذموم وتحتك أبدان الرجال بالنساء عند ضرائح الأولياء وأبواب المساجد وما جاء أكثرهم الا للفاحشة وما حضر معظمهم الا للمعصية . فليت شعرى كيف يقع غض البصر فى هذه المجتمعات وعلى سابلة الذاهبين اليها والآيبين منها .

وحيث كان الحديث شجون والشيء بالشيء يذكر أقول قد فرض الله الحجاب على النساء وأمرهن بملازمة البيوت فلا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ولا يخرجن الا لحاجة ، فلا جهاد عليهن الا جهاد لا قتال فيه وهو الحج والعمرة ولا صلاة لهن الا فى قعر بيوتهن أو مؤخرات المساجد ولا يرفعن أصواتهن الا قدر الحاجة . وأيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيتها خرق الله عز وجل عنها ستره . ولا حق لهن فى مزاولة أعمال الرجال الخاصة بهم كالمحاماة والاشتراك فى مجالس الشيوخ والنواب ، وليس لهن العمل الا فى شؤونهن ؛ فانما هن ربات المنازل ومدبرات البيوت ومربيات

البنين وسلوة الأزواج ومعينات المرضى ، وحرام عليهن الاختلاط بالرجال في الأسواق والمصانع والمساجد والمعاهد ودواوين الحكومة . وإن قال أدعياء العلم وكذبة المصلحين بخلاف ذلك فإنما هي الخيانة في أمانة العلم والكذب في التجديد والتضليل بالمرأة المسكينة التي زعموا أنهم يعطونها حقها ويفكونها من أسرها ويساوونها وهي الرقيقة العاطفة واللطيفة الجسم بالرجل الخشن الغليظ الطبع القوى البنية . وأحسن من قال :

مدنيـــة لكنها جوفـاء وحضارة لكنها أفيــاء
مرجت عقول الناس حيث استحسنت من صنعهـا ما استهجن العقلاء
تدعو التهتك والسفور فضيلة ونتـاج ذاك الشر والفحشاء
أوحت إلى الجنس اللطيف بأنه هو والرجال لدى الحقوق سوء
وبأن جبار السماء ورسله هضموا عليه حقوقه وأساءوا
قادت إلى السوق الفتاة وسوقها لم يخفهن عن العيون كساء
والنحر والعضدان والفخذان كل أولاء باد ما عليه غطاء
وبكفها المرآة تصلح شأنها كيف اشتهت ومتى وحيث تشاء
وسط الترام وفي الطريق تهتكاً إن التهتك للفتاة شقاء
جزت غدائرهـا فصارت وفرة لا حبـذا بالوفرة الحسناء
تلهو وترقص في المسارح مثلما ترتج فوق غصونها الورقـاء
يرتج منها كل رجراج كجـد ول زئبق لعبت به نكبـاء
وهناك تعتنق الفتى ويحوطها بذراعـه فتليهما الأهواء
بالإحتكاك وبالتلامس والتهـا مس والشذى تتكهرب الأعضاء
وإذا غشيت المستحم ترى من الجنسين أسراباً حواها المـاء
جنباً إلى جنب تعوم وقد علا ذاك الفضاء الضحك والضوضاء
فكأن ميل الجنس جرد منهما أفما تفر من الذئاب الشـاء
لا وازع يزع الفتاة كمثلما ترع الفتاة صيانة وحيـاء

وإذا الحياء تهتكت أستاره فعلى العفاف من الفتاة عفاء

ومن هذه الأبيات تعرف ما وصل المستهترون بالمرأة اليه من الشر وما زينوه لها من الباطل حتى أصبحت تطلب المساواة فى كل شيء وتتطلع الى ما ليس لها بحق ، فتعطل بذلك نظام الحياة وتبعثرت الأسر ودب الفساد وجرى فى عروق الصغار والكبار من الذكور والإناث جريان الدم فى الشرايين ، وصدق فى بني آدم قول رئيس الشياطين (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال هذا صراط علي مستقيم ، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين) .

فهل لأنصار السفور وأعداء الفضيلة أن يرجعوا عن غيهم ويتركوا المرأة لما خلقت لأجله ويستبقوا على العربيات خاصة والمسلمات عامة شيئاً من الدين وتقاليد أمهاتهن الحرائر وآبائهن الأكرمين . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فليأذن لها ، فقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : والله لو رأى نساء اليوم لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل) . ولا شك أن قد بولغ فى حجابها وهضمت كثيراً من حقوقها وكلفت ما ليس بواجب عليها فمنعوها من القراءة والكتابة وسدوا عليها طرق الحياة وجعلوا بيتها قبرها واتخذوها متاعاً وسلعة ينتفعون بها ولا يعرفون لها حقاً ولا يقيمون لها وزناً وهم يقرأون قول الله جل ذكره (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) . فجاء قوم ينتقمون لها ويخلصونها مما هي فيه فحصل الإفراط والغلو وارتبك المتدين المنصف بين جامد معاند ومتشكك جاحد وخير الأمور أوساطها ، ولا نقول فى المرأة ما قاله البسام ·

ما للنساء وللعما لة والكتابة والخطابة

هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة

ولا نبيح لزوجها وأوليائها التحكم فيها وتهرها بالجهل وإذلالها بالخدمة وأن

يتمتعوا بما لذ وطاب من مأكل ومشرب وملبس وهن يتضورن جوعاً ويتسترن بالجدران من العرى . فذلك شيء لا يجوز وأمر لا يحل وبالضغط يقع الإنفجار وما بني على الظلم فعاقبته الإنهيار (يـا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

والمراد بكف الأذى إماطته وإزالته عن الطريق إن وجـد من غيرك ، وأنت لا تتعرض لأحد بما يكره ولا تذكر أحداً من الناس إلا بخير لا تهزأ بالمـارة ولا تسخر براكب ولا ماشي ولا تشير بيديك ولا عينيك الى رجل ولا إمرأة بسوء ولا تحتقر ضعيفاً ولا تضحك من شيخ أحدب ولا عجوز شوهاء ولا تفعل ما يفعل الأراذل والسفهاء من قول فاحش ونقد لاذع وتهكم مزري ، فهذا طويل عملاق وهذا قصير قزم وهـذا سمين مترجرج عبثت به الراحـة والترف وهـذا نحيف برته الهموم والأحزان وأكل لحمـه ودمه البخل والتقتير على نفسه ، وهـذه إمرأة جميلة وغادة حسناء طوبلة كالرمح خصرها نحيل وخدها أسيل وطرفها كحيل وشعرها طويل وثيابها أنيقة التفصيل فذوقها سليم وصوتها رخيم وهي قمر الزمان وحورية من بنى الإنسان ، وتلك سمينة وقصيرة وقبيحة نكيرة ثوبها رثيث ومنظرها خبيث الى غير ذلك من كلمات يسمعها النساء فى الطريق من الذين لا خلاق لهم ولا رادع من علم ولا مروءة ولا زاجر من عقل ولا كرامة وأولئك من سقط المتاع وأضر شيء على الاجتماع جدير بهم أن يصفعوا بالنعال وتحطم أسنانهم ويساقون الى حيث تأخـذ العدالة بحق الفضيلة منهم وتنزل بهم العقوبـات الصارمة . ونحن لا نتألم إلا من شيء نحس به ونراه ونسمعه ولا نتضرر إلا من الخبثاء المتعرضين على السبل للعفائف الطاهرات الحرائر وهم كثيرون عندنا وبكلامهم وإشاراتهم ونظراتهم نضيق ذرعاً ، ونشكو الى الله ثم الى ولاة الأمور وأنصار الفضيلة ما نعانيه من الأوغاد والأوباش وكل داعر وعاهر وسكير وحشاش . ومن تمام حق الطريق على الذين لا يريدون إلا

الجلوس عليها حفظ اللقطة وإرشاد الضال ورد الباغي وحسن المقابلة وإزالة المنكر ورد السلام على من عرفت ومن لم تعرف وكل ذلك عند الله صدقة كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك . وفى بعض الروايات : وتبسمك فى وجه أخيك صدقة وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس صدقة وهديك الرجل فى أرض الضالة لك صدقة .

ومثل الطريق فيما ذكر الأندية والمبارز ، يجتمع أهلها لأكل القات وشرب الدخان على كذب وغيبة ونميمة وزور وبهتان وذكر ما صنعت فلانة وما فعل فلان ، لا يذكرون الله الا قليلا ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى قد صمت آذانهم باللهو والطرب وكلت أجفانهم من الغمز واللمز وألسنتهم من الشتائم والسب فهم الذين يأتون فى ناديهم المنكر يلعبون القمار ويتركون صلاة المغرب والعصر فهم داخلون فى النهي عن الاجتماع الذى لا يعود على أهله بخير وإياهم يشمل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة) . وكما تقدم فى كف الأذى ما يقع بين الناس فى مجالسهم من السخرياء والمنابزة بالألقاب وذكر كل بما يسوؤه حاضراً وغائباً فى خلقه وأخلاقه . وحين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة والأنصار يضعون للرجل اللقب واللقبين والثلاثة مشعرة بالذم كبطة وقفة وكرز وحمار وما أشبه ذلك ويدعون أصحاب العاهات بعاهاتهم كيا أعمى ويا أعور ويا أعرج ويا أصنع فنزل قول الله جل ذكره مؤدباً للمؤمنين ومفوماً للممدوح منهم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً

منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

الحديث الخامس والثلاثون

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :

﴿إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ، قال : تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

تقدم الكلام فى رد السلام وهو من حق المسلم على أخيه والابتداء به سنة مستحبة ورده واجب على الكفاية ويكون من الصغير على الكبير والقائم على القاعد والراكب على الماشي والقليل على الكثير إلا مصلياً أو تالياً أو خطيباً أو مؤذناً أو فاسقاً أو متلبساً بمكروه أو مشغولاً بما يعوقه عن الرد . ومن بدأك بالسلام فعليك رده إلا أن تكون معذوراً بشيء مما ذكر . وللمرأة الابتداء به وعليها رده ما لم تخف الفتنة أو الوقوع فى محذور فربما جر السلام كلاماً وربما أخذ الكلام الدبا كما فى المثل السائر عندنا . وقديماً كان النساء يدخلن على الرجال فيقرينهم السلام ويردون عليهن . وكان ابن عمر يصافح العجائز ويقف معهن فى الطريق . وصوت المرأة ليس بعورة على الصحيح عند أهل العلم ، فقد كانت السيدة عائشة وغيرها من نساء الصحابة والتابعين فمن بعدهم يتكلمن من وراء الستار ويتحدثن مع الأجانب فى أمور شتى وإنما يحرم ما أخل بالآداب أو خرج عن المروءة كالغناء وأحاديث الفاحشة (لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) .

وكان اليهود إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له السآم عليكم فعلمنا أن نقول إذا سلم علينـا أهل الـكتاب وعليكم ولا نزيد على ذلك شيئاً فحين زال ما كان منهم وأصبح كثير من الـكفار والمشركين يسلمون علينا إذا دخلوا مجالسنا فلا بأس بالرد عليهم بمثل ما يقولون . وإن وجـدنا ما يغني عن السلام من ألفاظ التحية ووقع الاكتفاء به فعلناه وتركنا ما نهينا عنه . وفى اللغة العربية من التحيات وألفاظ المجاملة شيء كثير كصباح الخير ومساء الخير وحياك الله ونهارك سعيد . وتكره الاشارة بالسلام إلا مع التلفظ به والمصلي ونحوه يشير بالرد فقط ويكره التساهل بالسلام والاعراض عمن لو ابتدأوا بالسلام لردوه وترك السلام على الضرير خيانة ، وفى ذلك إحتقار له وتقصير فى حقه والسلام لله ترده على من بدأك به وتقرأه على من عرفت ومن لم تعرف .

ومن أفضل القربات وأعظم الطاعات إطعام الطعام فتشبع الجائع وتسد فاقته وتعطي الفقير ما تيسر معك مما يستعين به على حاله . ومن اطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمـار الجنة ومن سقى مؤمناً على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم ومن كسى مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة . وقد مدح الله المحسنين بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) . وفضل الصدقة عظيم وثوابهـا جزيل ولا سيما إذا وقعت فى يد مستحقها . وليس عليك أن تصدق بما ليس فى وسعك ولا أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه ولكن إذا وجدت شيئاً فانفقه فى سبيل الله ولو قليـلاً . وفى الحديث الشريف (اتقوا النار ولو بشق تمرة) . فربما كان درهمك الذى لا تملك غيره هو أعظم عند الله من مائة الف درهم ينفقها الغني الذى لا يضره إخراجها

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليـل

واذا كنت ذا عيال وزوجة فأهلك قبل كل أحد ، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، وقال أيضاً : خير الصدقـة ما

أبقت غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، تقول امرأتك انفق علي أو طلقنى ويقول مملوكك انفق علي أو بعنى ويقول ولدك الى من تكلنا . والإيثار بالصدقة انما هو على نفسك أما أهلك ومن تلزمك نفقته فلا يحل التصدق بقوتهم الا إن رضوا بذلك وأقروك عليه . وما جعل الله أفضل شىء فى الاسلام إطعام الطعام إلا لحاجة الناس كلهم اليه . والزكاة المالية والبدنية والفدية والكفارات من إطعام الطعام . والأديان كلها ترغب فى الإطعام وتحث عليه وتنهى عن البخل وتذم أهله . ولا يعرف الكريم الا بكثرة صدقته وما ينفق من الخير فى وجوه البر والاحسان . وقد تعبد الله عباده بأشياء بدنية ومالية ، والبدنيات كلها لله والماليات كلها للناس ، وخير الناس أنفعهم للناس (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . وما يفتخر العربى فى جاهلية ولا إسلام بشىء كالسخاء والكرم ، ولهم فى ذلك أخبار تذكر وأشعار تروى ، كقول بعضهم :

دعينى أنهب الأموال حتى أكف الأكرمين عن اللئام

واشتهر بالجود منهم خلق لا يحصون كحاتم بن عبدالله الطائى ومعن بن زائدة الشيبانى وعبدالله بن جعفر بن ابى طالب وعبيدالله بن العباس حتى نسب اليهم السرف وحكم عليهم بالتبذير . وكان الشاعر يقف بباب أحد العظماء الأجواد ويقول فيه القصيدة أو الأبيات القليلة فيجزل له العطاء وينثر عليه المال نثراً ولا تهتز عواطفهم لشىء اهتزازها للثناء عليهم بالجود والسخاء ومما قيل فى معن بن زائدة

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد فى دياره	من المال إلا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللاً	كأنك تمطيه الذى أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو انه	أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

وقد ملأ البرامكة جيوب العلماء وقلوب الشعراء وبطون الفقراء وأفواه المتسولين بالعطاء وتركوا لهم أثراً فى الجود لا يمحى وخلدوا لهم بالإنفاق ذكراً لا ينسى وندبهم الشاعر والناثر وبكى عليهم البدوى والحاضر ونسب اليهم فى ذلك ما لا يؤتي عليه كثرة وعدا ، وقيل فيهم من المدح والثناء ما لا يحد له حداً :

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثني عن والد بعد والد

وفى ولده الفضل قيل :

ألم تر أن الجود من عهد آدم تحدر حتى صار يملكه الفضل
ولو أن أماً مسها جوع طفلها فغذته باسم الفضل لاستطعم الطفل

وبالجملة فالكلام يطول فى جود العرب وما كانوا عليه من المنافسة والمباراة فيه وما شتم أحدهم بشىء كالبخل ولا قيل فيه أسوأ من أنه لا يحسن الجوار ولا يطعم الطعام :

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكا الخنسا إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

والمبعوث متمماً لمكارم الأخلاق محمد عليه الصلاة والسلام جاء يأمر بالإطعام ويضرب للناس فى الكرم المثل الأعلى ويقول (والذى نفسي بيده ما يسرنى أن أحداً تحول لآل محمد ذهباً أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه دينارين إلا دينارين أعدهما للدين إن كان) . وصاحب المال يطلب الربح ولا يرضى بإنفاق ماله إلا فى مقابلة شىء يأخذه ، ومن أجل ذلك رغب الله المؤمنين فى معاملته ووعدهم بالربح العظيم ومضاعفة الأجور للمتصدقين أضعافاً كثيرة ، فقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

يشتمل هذا الحديث على ثلاث خصال من الخير وهي : حسن الضيافة وصلة الأرحام والكف عما لا يحل من القول . وكانت الضيافة واجبة فى صدر الاسلام لقلة المسلمين وضيق عيشهم حتى إذا أغناهم الله ويسر لهم أسباب الرزق والمعيشة نسخ الوجوب وبقيت سنة مستحبة وهى من ملة إبراهيم عليه السلام (وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ، فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون) . ويذكر أنه كان لا يأكل طعامه إلا مع ضيف وإن لم يأته أحد خرج يلتمسه وقد توارث عنه هذه المكرمة بنوه من العرب والإسرائيليين . وقال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجراً لما حكى الله عنهما بقوله تعالى (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) . وهذا لما يعرف موسى من حق الضيافة للطارق على النازل . ولكن العرب كانوا أكثر الناس جوداً وأحسنهم رفادة وأكثرهم ضيافة منذ عرف التاريخ أخبارهم لا فرق بين عدنانى وقحطانى وحجازى ونجدى ويمانى وضربت بهم الأمثال فى ذلك ، وكان أحدهم ينزل به الضيف لا يجد إلا ناقته التى هى ركوبته ومفتاح رزقه وعماد حياته فينحرها لضيفه طيبة بذلك نفسه مفتخراً بما

يقال عنه فى الجود والسخاء ومن لامه فى ذلك عاتبه وأنكر عليه ،

قالت : أما ترحل تبغي الغنى   قلت : فمن للطارق المعتم
قالت : فهل عندك شيء له   قلت : نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة   قد أطعم الضيف ولم أطعم
إن الغنى بالنفس يا هـذه   ليس الغنى بالمال والدرهم

ومن كثر ماله ونشبه وذكر فى الناس فضله وحسبه قيل فيه طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد يعنون من كثرة الطبخ فى بيتـه وتعـاقب الضيوف عليه . ومدح امرؤ القيس قوماً ، فقال فيهم :

يطعمون الناس غباً في السنين المحلات .
في جفان كالجواب وقـدور راسيات

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم الى شرف الدنيا ثواب الآخرة فرغب فى الضيافة وجعلها من تمام الإيمـان (حيث يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ، ويقول أيضاً (من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنـة) ، ويقول أيضاً (لا خير فيمن لا يضيف) .
وحق الضيافـة يوم وليلة أو ثلاثة أيام بلياليهـا لإختلاف الروايات فى ذلك وما زاد فهو صدقة . وليس بكاف أن توسع لضيفك فى المنزل وتطعمه وتسقيه ما لذ وطاب من الطعـام والشراب حتى تهش له وتبش وترحب به وتؤهل وتظهر له من سرورك به مـا تطيب به نفسه ويطمئن به قلبه من طلاقة وجه وحسن حـديث وابتسام ومداعبة فى حشمة واحترام ولا تريه ما يكره من فقرك وسوء حالك وقلة ذات يدك فإنه يضيق بذلك ذرعاً ولا يطيب له المقام عندك ، فإن كان عاقلاً رق لك ورحمك وقدم ما عنده اليك من نقد وزاد فأصبحت ضيفاً عليه بعـد أن كان ضيفاً عليك ، وإن كان جاهلاً شتمك وذمك وخرج من عندك ساخطاً عليك يقول فيك ما لا ينبغي وينسب اليك ما ليس بحق ولا تحتقر ما عندك ولا تبخل بما تيسر ضاناً أنه لا يليق بضيفك الكريم وإنها لا تتم به الضيافة وإنك لا تذكر معه بالجود

فخير لك أن يقال فيك جاد بما لديه من أن يقال فيك أغلق بابه وغيب وجهه من ضيف نزل عليه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمـا من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ، ولا تجعل الضيف فى حرج من أمره فيسكت إذا تكلمت ولا يأكل إلا معك ولا يتحرك إلا بإذنك ، فإن هذه المراعاة تشق عليه ولا تحصل له الراحـة إلا إذا تركت له حريتـه وصورت له أنه فى منزله وبين أهله ، فتكون أنت كما قيل :

منزلنـا رحب لأضيافنا نحن سواء فيـه والطارق
وكل ما فيه حلال له إلا الذي حرم الخالق

وتجعله يستشهد فيك بقول الشاعر :

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم على الدهر إلا وانثنيت معانـا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالنـدى فلم أستطع من بينهم طيرانـا

ولله در من جمع هذه المكارم فى قوله :

إذا المرء وافى منزلاً لك قاصداً قراك وأرمتـه لديك المسالك
فكن باسمـاً في وجهه متهللاً وقل مرحباً أهلاً ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقـدم تداوله زيد وعمر ومـالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

واخرج مع الضيف إذا خرج وادخل معه إذا دخل واحفظ له دابته واقض له حاجته واحمل معه ما يشتريه لنفسه وسر معه حيث أراد وودعه إذا سافر وسهل له الطريق ما أمكن التسهيل سيما إذا كان نازلاً من البحر أو طالعـاً اليه ، وفى هذه الأيام التي يحتاج معها المسافر الى تصحيح الحكومات المحلية على جواز سفره ورخصة أمتعته .

وعلى الضيف أن يكون خفيفاً لطيفاً يباشر أعماله بنفسه ولا يشغل مضيفه عن أعماله ولا يكلفه فوق طاقته ولا يتأفف من طعام قدم اليه ولا

يترفع عن مكان أعد له وأنزل فيه ولا يعيب شيئاً مما يراه أو يسمعه ولا يتجسس أخبار الدار ولا يتحكم فى الحاشية والأطفال والخدم ، ولا يطيل الإقامة حتى يمل أو يحرج صاحب المنزل ولا يقول إلا خيراً ولا يفعل إلا فعل الكرام الذين يشكرون الصنيع ويكافئون على المعروف بخير منه أو مثله ، وما جعل الناس يكرهون الضيافة ويفرون من الغريب ويختفون من الطارق إلا ضيق منازلهم وكثرة النازلين بهم من المسافرين وأهل البادية ، والأسرة كبيرة والدار صغيرة والتهم الباطلة والظنون الآثمة كثيرة . وقد اتخذت الفنادق واللوكندات والسافرخانة لإيواء الغريب ونزول الضيف وابن السبيل فليذهب اليها الذين كانوا لا يجدون إلا بيوت أخوانهم وأصدقائهم فيريحوا ويستريحوا :

ليس ذنباً لأناس أن يكونوا أقرباءك
إن في الفندق مأواك وفي السوق عشاءك

أما البلاد التي لا تزال على العهد الأول والعادات القديمة فللضيف حق على أهلها ولا ينبغي أن يترك فى العرى ويبيت فى الفضاء ولا يجوز لهم أن يقولوا :

وحرمة الشيخ الذي سن القرى وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى

وللغريب حق على كل حال لا يقصر فيه إلا لئيم ولا يتوانى عنه إلا ذميم وقد تقدم إن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . وبعض الذين يغشون المدن فقراء لا يجدون شيئاً ولا يستطيعون المبيت فى الفنادق والقهاوي فهم على كل حال أما ضيوف لهم الكرامة أو أبناء سبيل لهم حق معلوم فى الصدقات والزكاة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) .

وصلة الأرحام حق واجب لكل من يمت اليك بصلة نسب أو قرابة ، وقد تعلقت الرحم بحقو الرحمان ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من

القطيعة . فقال لها : أما يكفيك أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلى ! قال : فذلك لك . ومن لم يصل رحمه ويتعهد بالخير أقاربه فلا خير فيه ولا يستطيع أن يقدم المعروف الى انسان آخر وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض . وأختك وعمتك وبنت أخيك وخالتك ومن فى طبقاتهن من الذكور وأبنائهن وبناتهن من الأرحام الذين أمر الله بصلتهم والاحسان اليهم وما بعث الأنبياء فى أواسط البيوت من أقوامهم إلا لما يقدر الناس من أمر الرحم ويحترمون من القرابة فيكفون عن المرسلين أذاهم ويكونون لهم عوناً على غيرهم (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) وقد أمر الله محمداً عليه وعلى سائر النبيين أفضل الصلاة والسلام بقوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) وخصهم بالبر والاحسان اليهم ، فقال تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) ، وجعل ذلك قرين العدل والاحسان ، فقال تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وقالت السيدة خديجة رضي الله عنها : (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتحمل الكل وتصل الرحم وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) . وكان يقول صلى الله عليه وسلم (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه) .

وما جاء من الآثار والأخبار فى أن أشياء من المعروف يجازى عليه بطول العمر وسعة الرزق فلا إشكال فيه وليس بمعارض لما كتب الله فى سابق علمه من تحديد الأعمار وتقدير الأرزاق فإنه يحمل على البركة وتيسير الأسباب . وقد يعمر الانسان أربعين سنة مثلاً ويترك من الآثار الصالحة شيئاً كثيراً يخلد بها ذكره ويبقى على ممر السنين حمده وشكره . وقد يرزق المرء دراهم معدودة أو عرضاً قليلاً فتكثر أرباحه وتفتح له أبواب الرزق ويأتيه المال من حيث لا يحتسب . وبصلة الأرحام تقوى المودة وتزيد المحبة وتشد عرى القرابة وتزول العداوة والبغضاء ويحن ذو الرحم الى أهله ويجد منهم

الأنصار والأعوان على كل ما يريد . ولا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلة لمن لا يصل أرحامه ولو لم يكن فى الدين أمر بهذا لكان فى الطباع السليمة ما يدل عليه ويميل بالانسان اليه . ومن ذا الذى يأكل ويشرب ويلبس فى ترف ورفاهية وأهله عرايا وجائعون إلا الذى لا شعور له ولا ضمير حي . وقال علي ابن أبي طالب رضى الله عنه : (أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير فإنك بهم تصول وتطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم واشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم) . ومن حق أهلك وأرحامك عليك أن تعود مريضهم وتواسي فقيرهم وترحم صغيرهم وتوقر كبيرهم وتؤثرهم بالخير على كل أحدو إن جفوك وتصلهم وإن قطعوك . وفى الحديث الشريف ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها . وفى الناس من تموت عواطفه ويذهب عنه رشده فلا يلتفت الى أهله ولا يسأل عنهم ولا يحبهم ولا يريد الإتصال بهم إن قربوا منه أقصاهم وإن بعدوا عنه تناساهم ، وقد يكون فى رغد من العيش وأصدقاءه كلهم أجانب يوسع لهم فى مجلسه ويلين لهم فى حديثه بل ويقيم لهم الولائم ويطعمهم ما يشاءون ، واحدى أقاربه تتضور جوعاً وتقصر يدها عن ثوب تواري به جسمها وتتجمل به فى أهلها ولزوجها ولو سألت أخاها أو عمها أو خالها القاطع لرحمه شيئاً يقدر عليه ما جاد عليها به ولا أعطاها إياه بل يصعر لها خده ويلوي رأسه متكبراً وهاجراً ويقول فى بشاشة الساخر واشمئزاز الغاضب رزق العباد على الله وما يكفي الخلق إلا خالقهم والحال ما يحمل ومن اكتفى بسراج غيره بات فى الظلام الى غير ذلك من كلمات الجرح والإيلام . ولأتفه الأسباب تقع القطيعة بين الناس فى كثير من البلدان وينفر الأقارب بعضهم من بعض لكلمة لا تسره سمعها أو شيء لا يعجبه رآه من قريبه وحبيبه وربما كان بين الأخوة والأخوات من العداوة والجفاء ما يستحقون عليه اللعنة وزوال النعمة . ونصيحتنا الى الآباء والأمهات أن يتقوا الله فى أولادهم ويعدلوا فى الحكم بين أفراد الأسرة ولا يسكتون على

ما يقع بين البنات وزوجات الأبنـــاء والأخوات وبنات الأعمام مما يثير الأحقاد ويوغر الصدور فيفرق بعـد الألفة وينادي بالخراب على البيوت العامرة (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

وحفظ اللسان سلامة من الشر ومنجاة من الهلكة والمرء مخبوء تحت لسانه فـإذا تكلم بان ، ورحم الله امرءاً قال خـيراً فغنم أو سكت عن شر فسلم . ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيـه . وقـال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقـال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النـار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

إن اللسان صغير جرمــه وله جرم كبير كما قد قيل في المثل

ولو كان الكلام من فضة كان الصمت من ذهب :

اذا ما اضطررت الى كلمة فدعها وباب السكوت اقصد

فلو كان نطقك من فضة لـكان سكوتك من عسجد

وقد أكثر الحكماء من العرب وغيرهم فى الأمر بحفظ اللسان وترك الكلام فيما لا خير فيـه . وخير ما يروى فى ذلك وصايا المـلوك وأقوال الفلاسفة وخبراء المجربين . وليلة الإسراء رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثقباً صغيراً يخرج منه ثور كبير ويحاول الرجوع اليه فلا يستطيع وسأل عنه فقيل له هـذا مثل الكلمة تخرج من فم الإنسان فلا يستطيع ردها . وان الرجل ليتكلم بالـكلمة لا يلقي لها بالاً تكون عليه حسرة وندامة يوم القيامة . وما خلق الله للانسان لساناً وأذنين الا ليسمع أكثر مما يقول . وقد عد بعض العلماء للسان عشرين آفة وكلها من الكبائر ، والله تعالى يقول (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما) . واذا كان من تمام الإيمان أن تقول خيراً أوتصمت فالخير أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وتعليم الجاهل وتذكير الغافل وتلاوة القرآن وذكر الله سراً

وعلانية ودعاءه بما تريد والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم ، والشر كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم واللعن وقذف المحصنات المؤمنات ، وقد عرفت ما جاء فى ذلك كله من النهي الشديد بالوعيد والتهديد .

فاحفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

وقيل ان اللسان يقول كل يوم للجوارح كيف انتن فيقلن له نحن بخير ما تركتنا . وفى الحديث (طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله) . وفى الناس من يعجبه الكلام ولو كان فيه حتفه قوال مهذار وثرثار مكثار إذا جلس معك أصمك بالخوض فى الباطل والحديث فيما لا يعنيه قد جرد من لسانه مقراض لتمزيق الأعراض ، وربما قام يخطب فى حفل من الناس فكذب ولحن وجعل الصواب خطأً والخطأ صوابا فهو على حد قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) . ولا خطر على أحد من لسانه كالمرأة التى تتكلم بلا حساب ولا تسكت عن ذكر جاراتها وما فعلن وكيف كان الإجتماع أمس أو اليوم فى بيت فلان وما يقول النساء هناك وما يصنعن . والعالم الذى لا يخاف الله يذكر بالسوء من لا يصلح أن يكون جلد وجهه شسعاً لنعله ولا يترك حياً ولا ميتاً من أهل الفضل إلا ويقول فيه شراً أو ينسب اليه ما هو منه برىء أو يحمل عليه حملة منكرة لزلة قلم أو سبق لسان ، وسبحان من لا عيب فيه ولا تخفى عليه نيات عباده .

شر الورى من بعيب الناس مشتغل مثل الذباب يراعى موضع العلل

وكثرة الجدال والمراء ومجاراة السفهاء من آفات اللسان ، والحكيم الرشيد من ضبط نفسه وكف لسانه الا عن حق ينصره أو باطل ينكره . ومن ترك المراء وهو قادر عليه بنى الله له بيتاً فى أعلى الجنة ومن تركه عاجزاً عنه بنى الله له بيتاً فى ربض الجنة . وقد مدح الله عباده الذين يمشون على الأرض .

هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. ومن رد على السفيه فقد ماثله أو جاوزه فى الجهل والسفه . وأخبار الذين يأخذون العفو ويأمرون بالعرف ويعرضون عن الجاهلين من العلماء والحكماء والملوك والعظماء كثيرة فى هذا الباب . ورحم الله معن بن زائدة اذ دخل عليه سفيه فقال :

أنا والله لا أبدو سلاماً على معن المسمى بالأمير

فقال : السلام لله إن بدأتنا به رددناه عليك والا فلا لوم عليك . قال :

ولا أنزل بلاداً أنت فيها ولو حزت الشآم مع الثغور

فقال البلاد بلاد الله فإن جئت فأهلاً بك وسهلاً وإن رحلت ففى سلامة الله

قال : أتذكر اذ قميصك جلد شاة واذ نعليك من جلد البعير
وتأوي كل مطبخة وسوق وقوتك دائماً خبز الشعير

فقال أعرف ذلك ولا أنكره وأذكره ولا أنساه والحمد لله على كل حال .

قال : وفى يمناك عكاز قوي تذود به الكلاب عن الحرير

فقال نعم وهى كعصا موسى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولي فيها مآرب أخرى . وما زال يشتمه ببيت بعد آخر وهو لا يرد الا خيراً ولا يقول الا الحسنى حتى طلب منه الجائزة على ما قال فيه فأعظمها له وأجزلها ، وكذلك يفعل الكرام . وليت فينا من يصم أذنيه عن الباطل ويعرض بوجهه عن الفاحش البذي حتى لا يتسع الخرق ولا يسحب الشيطان مظلوم بلسانه الى النار ، فإن القول قد يحبط العمل الصالح والاسترسال فى الكلام قد يجعل المظلوم ظالماً ، ومن كثر كلامه قل احترامه ومن زاد لغطه فحش غلطه .
(إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي مسعود الأنصاري البدرى رضي الله عنه ، قال :

﴿ دعا رجل النبي صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه له خامس خمسة فتبعهم رجل فلما بلغ الباب ، قال له النبي : إن هذا تبعنا فان شئت أن تأذن له وإن شئت رجع ، قال : بل آذن له يا رسول الله ﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

عليك صلاة الله وسلامه يا سيد الأدباء ومعلم الناس الخير فى كل حال ومرشدهم اليه بالفعل والمقال . لقد علمتنا من الآداب أفضلها وشرعت لنا من الأحكام أجلها فللدخول والخروج والأكل والشرب والنوم واليقظة والبيت والطريق والسوق والمسجد والانفراد والاجتماع آداب لا تترك وحرمات لا تنتهك ، وقد بينتها والله خير بيان صراحة وكناية وسراً وعلانية . وبذلك كان دينك أفضل الأديان وشريعتك هي الباقية الى آخر الزمان ، فأنت الوالد الحنون وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، يدعوك رجل من صحابتك الكرام الى طعام صنعه لك ولعدد معين من أهلك وجلسائك وقد أخبرت أن زاد الاثنين يكفى ثلاثة وزاد الثلاثة يكفى الأربعة فيتبعكم رجل آخر حمله جوعه على التطفل أو ساقه الى بيت صاحب الدعوة حسن ظنه به ومرافقة من لا يرد سائلاً ولا يخيب مؤملا وهو لا يعلم أن الحق لصاحب المنزل يقبل من شاء ويرد من شاء ولعله غير مستعد بطعام كاف ومجلس واسع أو حريص على إكرام ضيفه والخلوة به ليسأله عن سر مكتوم أو يخصه بشيء يأخذه أو يعطيه فتسكت عن الطفيلي ولا ترده من الطريق عساه يرجع ولعله يفارق متبوعه قبل الوصول الى مكان الداعى ثم تقول فى أدبك السامى وعطفك الأبوى وصراحتك فى الحق ان هذا قد

تبعنا فإن شئت أذنت له وإن شئت رجع فلا تذكره إلا بهذا ولا تصفه الا بالاشارة اليـه غير معرض بحاجته وفاقته الا بتلفيت صاحب الدعوة اليـه تاركاً له الخيار فى الاذن وعدم الاذن بعد ما يرى بؤس هذا المتطفل ويشاهد ما عليـه من أثر الجوع ولكن أصحابك المقتدين بهديك والسائرين على منهاجك لا يؤثرون أنفسهم بشيء من متاع الحياة الدنيا ولو كانت بهم خصاصة ولا يغلقون أبوابهم دون قانع ولا معتر ولا يردون بالخيبة سائلاً غنياً كان أو عائلاً فقد أذن للطفيلي بالدخول معك ومشاركتك فيما أعد وهيء لك . ونحن نستفيد من هـذا الحديث ثلاثة أمور مهمة وهى كرم المضيف وأدب الضيف وتأديب المتطفل . وسبق الكلام فى أدب الضيف والمضيف ، ونزيد هنا الحث على احترام البيوت وأصحابها والتزام الأدب عند الطعام والشراب وقبل تناوله فلا ينبغى لآكل مع غيره حيث كان ولو فى بيته الا أن يسمي الله قبل الأكل وبعد غسل يديه يأكل باليمين ومما يليه ولا يمد يده الى جهة الغير ولا يأخذ شيئاً فى وسط القصعة ولا يتناول ما بعد عنه من طعام المائدة ولا ينظر الى الآكلة ولا يكثر من الكلام والضحك ويمضغ مضغاً محكماً غير مسارع ولا متثاقل واذا دعي أجاب ولبى ولو صائماً وإفطاره من تنفله أفضل وإن اجتمع داعيان فالأول احق واذا جلس الناس جلس معهم لا يسبقهم بشيء ولا يتأخر عنهم اذا قاموا بل يكون كما قيل

اذا مدت الأيدى الى الزاد لم أكن بأعجلهم اذ أجشع القوم أعجل

ولا يقول لأحد كل يافلان من هذا واترك هذا واذا قدم اليه شيء شكر عليـه وأخذ منه حاجته ولا يرد رد الجفاء ولا يقول أنا لا أحب هذا ولا يسأل عن شيء كيف صنع ولا كيف كان الطبخ ولا ينتقد المائدة ونظامها ولا يعيب شيئاً فى المنزل من فراش أو أثاث ولا يبرز من نفسه مهندساً للجدران والسقوف والأبواب والنوافذ واذا شرب فلا يصوت ولا يتنفس فى الاناء ويكظم الجشأ ما استطاع الى ذلك سبيلا أو يضع المنديل ونحوه على فمه ولا يلعق أصابعـه قبل الفراغ بل ولا بعـده بين قوم يستعيبون ذلك

ويستقذرونه ولا يرد شيئاً من فمه الى المائدة ولا بأس أن يأكل بالشوك والملاعق والسكاكين اذا احتيج الى ذلك أو كان مع من لا يأكل الا بها واذا خلل أسنانه صرف وجهه عن الناس ولفظ ما يخرج فى مكان لا يراه فيه أحد ومن دعاه الى تناول شيء عنده ولو قهوة البن أو الشاى أجابه وجاء وحده غير مستصحب معه أحداً من أصدقائه واخوانه ولا يفعل كما يفعل الجهال الذين يأتون بأبنائهم معهم فى الولائم ويستصحبون من لقيهم فى الطريق ويقولون ضيف الكرام يضيف فصاحب البيت أدرى بالذى فيه وقد لا يحب هذا الزائر المتطفل ولا يطيق معاشرته فكيف يتكلف مباشرته ولكن الأدب السامي أن لا يرد صاحب الدعوة من جاء مع ضيفه اذا كان مستعداً له بما يلزم وخصوصاً اذا كان المتطفل جائعاً أو تبع الضيف بغير اذنه وجدير بأهل الجود والكرم مباشرة الأضياف بالتقدير والاحترام وأن يقدموا اليهم أطيب ما لديهم من الطعام ويجلسوهم فى أوسع مكان من المنزل مسارعين بما تيسر معتذرين عما تعسر .

ومن أمراضنا الاجتماعية أن احداً يقيم وليمة عرس أو ختان أو شيء آخر فيتكلف ما لا يطيق ويأتيه من المتطفلين خلق كثير ويزدحم بيته برجال كثير ونساء من الذين ما كان والله يحب أن يراهم فى أى مكان آخر فتتحكمون عليه ويطلبون منه ما ليس فى وسعه ويقولون هات كذا وهات كذا واذا غضب أو قال لا تجرأوا عليه وقالوا بكل وقاحة (فك بابك وافتخر والا قفله واستتر) ومنهم الذين يدورون على أصدقاء الرجل فيقولون كان الغداء اليوم عند فلان وحضر خلق كثير وكنت اتلفت فلم أرك وأسأل عنك فلا أجاب فهل قصر فى حقك وما دعاك أم كنت معذوراً فتأخرت الى غير ذلك مما يوجب العتاب ويوغر صدور الاصحاب .

والحكايات فى كتب الأدب عن الطفيليين والفضوليين كثيرة لا يؤتى عليها . وأحوال الناس تختلف واذا عظمت المودة بطلت شروط الأدب . وفى الأمثال : لا ألفة مع الكلفة . ومن تحقق ود صديقه وحبه لما يفعل

فلا بأس عليه أن يأكل كيف شاء ومن حيث شاء ، وله ان يزوره فى أى وقت لا يزعجه فيه ولا يحرجه ، ويطلب منه الطعام اذا حضر ويأكل ما وجد فى منزله ان كان غائباً . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع بعض أصحابه رضى الله عنهم ودخل بيت بريرة وهي مولاة لعائشة رضى الله عنها فوجد فى بيتها طعاماً لحماً أو غيره فأكل منه وهي غائبة والله تعالى يقول فى دخول بيوت الأهل والأصدقاء وإباحة الأكل منها بالمعروف وهم بذلك راضون (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) .

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الاستئذان طلب الاذن وهو مشروع لدخول البيوت والمنازل والأماكن الخاصة وقد أمر الله به فى كتابه العزيز وحثت عليه الاحاديث النبوية وزعم الذين لا يعرفون الآداب الاسلامية ولا علم لهم بما زين الله به المسلمين من الصفات الشريفة وحلاهم به من المكارم والآداب انه من اخلاق الغربيين

ومدنيتهم الحاضرة وهو والله معروف عند العرب قبل الاسلام وكان أحدهم لا يدخل بيت غيره الا باذنه ولا يغشى مكانه الا بعد أن يستأنس ويسلم على اهله . بيد أنهم كانوا يتساهلون فى الاستئذان على أقاربهم ويدخلون بيوت آبائهم وابنائهم واصدقائهم فجأة وقبل أن يؤذن لهم فنهاهم الله عن ذلك وأخبرهم بوجوبه على كل حال وبين لهم ما فيه من الفوائد والأسرار . إلا أنه قد وقع تقصير من الذين لا علم لهم بالقرآن ولا معرفة لهم بأحكام الشريعة وما وضعته من القوانين لاحترام المنازل والبيوت فى أدب الاستئذان فأهملوا وتساهلوا وأخذ الأجانب عنا هـذه المكرمة ، منا تعلموها فحافظوا عليها وعملوا بها فى كل مكان ونسبوها الى أنفسهم وصدقهم الجهـال والذين يبخسون النـاس أشياءهم . والحكمة فى وجوب الاستئذان والغرض من تشريعه ان المرء قد يكون على حالة لا يحب أن يراه أحد عليها من عمل خاص أو محادثة سرية أو معاشرة زوجية أو معالجة طبيـة فيدخل عليه ولد أو والد أو صديق أو خـادم وهو عار أو مستغرق فى حديثـه أو مستمر فى تفكيره فيخجله ويزعجه ويصرف عنه وجهه ساخطاً أو مستحيا ويتمنى له ذهاب سمعه وبصره الذى كشف به عورته واطلع به على سوأته . وقال رجل يارسول الله أأستأذن على أمى ، قال نعم ، قال ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت ، قال أتحب أن تراها عريانة ، قال لا ، قال فاستأذن عليها . والاستئذان يكون بالسلام والنداء وقرع الباب ونحو ذلك ومن سلم فليسلم ثلاثاً على قوم ليس بينهم وبينـه ساتر وهو بعيد عنهم لا يسمع سرهم ولا يعـد مخالطاً لهم . ومن دعا أحداً ليدخل عليـه دعاه ثلاث مرات يسمعه بالأولى ويعلمه بالثانيـة ويجعل له بالثالثـة الخيـار فى الاذن والرد . ومن قرع بابـاً قرعه بلطف ورفق ولين لا يطرقه طرقـاً مزعجاً ولا يدقه دقاً مؤذياً ولا يلج حينما يفتح له حتى يعلم ما وراءه ويفهم ما يقال له ولا يرمى ببصره قبل أن يسمح له بالدخول فإنما جعل الستر من البصر وإنمـا اتخذ الحجاب من النظر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(لا تأتوا البيوت من أبوابهـا ولـكن ائتوها من جوانبهـا فاستأذنوا فإن أذن لـكم فادخلوا والا فارجعوا) وقال أيضاً (من اطلع فى بيت قوم بغـير اذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص) . والأعمى كالبصير لا يحل له دخول البيوت الا بإذن أهلها فربما اكتشف بسمعه ما لا يدركه البصير بعينه

قالت أتعشقني غداة لقيتها يا للرجال وصبوة العميان
فأجبتها نفسى فداءك إنما أذنى وعيني فى الهوى سيان

ويلحق بالاستئذان فى البيوت الاستئذان فى كل شيء لغـيرك لا يحب أن تراه أو تطلع عليـه كمستودعات الذخائر والأموال وعروض التجارة والـكتب المؤلفـة والتى تلقاه يكتبها أو يطالع فيها من رسالة يبعث بها أو ثانيـة تسلمها فهو يقرأها . وقد يقف الجاهل أو المتجاهل وراء من يكتب شيئاً أو يقرأه ليطلع عليه ، وحق هذا أن تفقأ عينـه أو يلطم على وجهه لطمة يدور بها بصره وتكف أمثاله عن التجسس والفضول . واذا كان فى بيت مـأهول شيء من الخطر أو المنكر بادر الناس اليه لإزالتـه وكف العاكفين عليه ، فلو رؤيت نار فى منزل أو دكان وعلم أنها غير عادية عجل باطفائها واقتحم المـكان عليهـا بدون استئذان . وكذا لو اجتمع قوم على باطـل وعلم بهم وبشأنهم فعلينـا إزالة منكرهم وإخراجهم من محلهم الذى يعصون الله فيه ولا يسلم عليهم ولا يستأذن منهم فى الدخول عليهم . ومن استمع حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيـه الآنك ، وهو الرصاص المـذاب فى نار جهنم ، سواء كان ذلك فى الأسواق والمجالس أم فى بيوت الجيران وهو أشد . ولله من قال :

ناري ونار الجـار واحدة واليـه قبلي تنزل القـدر
ما ضر جارى ان أجاوره ان لا يكون لبيته ستر
أعشى اذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غـيره وقر
لا آخـذ الصبيان ألثمهم والأمر قد يغزى به الأمر

ولرب أمر قد تركت وما بيني وبين لقائه ستر
فى المجد غرتنا مبينة للناظرين كأنها البدر
لا يرهب الجيران غدرتنا حتى يوارى ذكرنا القبر

واذا كان الله قد أمر الناس بالاستئذان على آبائهم وأمهاتهم بل وفى بيوتهم وعلى زوجاتهم فما بال كثير منهم يلجون البيوت والمكاتب ودواوين الأعمال فجأة ويدخلونها بدون سابق إخبار ويعرضون أنفسهم لمخالفة الآداب وشديد العقاب من الذين لا يلقون للداخل عليهم أى حساب .

ولا إساءة فى الدنيا تماثل ما فى اليمن اليوم من دخول الجنود على الأهالى وغشيانهم المساكن قهراً فيطرقون الأبواب ليلاً ويملأون القلوب رعباً ولا ينظرون احداً يستعد لمقابلتهم بل ربما دخلوا عليه وهو مع زوجته أو عريان وقد لا يجدون رب المنزل ولا من يجيبهم اذا دعوه أو يرد عليهم اذا نادوه فيكسرون بابه ويهتكون عرضه ويدوسون كرامته ويعيثون فى بيته فساداً فلا شريعة يحترمونها ولا انسانية يكرمونها ولا علم يردعهم ولا حكومة تمنعهم ، ولعلها تريد ذلك وتأمرهم به نكاية بالرعية وجرحاً لعواطفهم واستخفافاً بحقوقهم . وأولو الأمر من سادة وقادة يعلمون ذلك ويقرونه والعلماء يطلعون عليه فلا ينكرونه ، وقد يعدونه عقوبة للعاصى وتأديباً للمخالف ولكنه قد شمل البر والفاجر وعومل به الغائب والحاضر وهو حكم بغير ما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .

وفى اليمنيين من ترك أهله وبلاده وفضل الحياة والموت فى الغربة على احتمال هذه الاساءة والصبر عليها وملأوا الجرائد والصحف والمجالس والأندية بالسخط والتبرم من عبث الجنود وقبيح معاملاتهم حتى قال شاعرهم الأكبر

والجيش يحتل البلاد وماله فى غير أكواخ الضعيف مقام
يسطو وينهب ما يشاء كأنما هو للخليفة معول هدام

وقال أيضاً :

لا نبغ يا أوطان فيك حضارة كلا ولا علماً ولا عمرانا

نبني احترام الحق والأعراض لا نبنى أساطيلاً ولا طيرانا
ونريد أن تعطى النساء وتمنح الأطفال من عبث الجنود أمانا
ويكون جيش الملك سلماً فيك لا حرباً على الشعب الفقير عوانا
فإلى متى وعصيه وأكفه تدمي الظهور وتنتف الأذقانا
عبثوا بأمتهم كما شاءوا وما عرفوا بها شرعاً ولا قرآنا

ومن أذن له رب المنزل أو امرأته أو صبيه أو خادمه صراحة أو كتابة أو جاء مع الداعى فله الدخول فى أدب واحترام لا يتلفت ولا يرفع صوته ولا يدق خشب السلم بنعله أو عصاه ولا يطيل الزيارة إلا قدر الحاجة ولا يسأل عما لا يعنيه . ومن دعي الى طعام أكل شاكراً ودعا لمضيفه بما يتناسب مع المقام وخرج مسلماً ومودعا ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث . والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) .

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبى هريرة رضي الله عنه :

﴿ إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ، قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه ﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث الأربعون

عنه رضي الله عنه :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

حق الجـار على جاره عظيم فى الأديان كلها والشرائع أجمعها والأوضاع كافة ، والعرب كانوا يعظمون حق الجار ويحترمون الجوار فى الجاهلية قبل الاسلام ويعتزون بثناء الجـار عليهم ويفخرون بذلك والضعيف منهم إذا جاور الأقوياء صار قوياً بهم له ما لهم وعليه ما عليهم فيعز بعد الذلة ويكرم بعد الهون :

تعيرنا إنا قليل عـديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل
وما ضرنا إنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنـا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

وحين جاء الاسلام أكد حق الجوار وحث عليه وجعله كالقرابة وكاد يورثه كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . واشترط لتمام الإيمان بالله واليوم الآخر حسن الجوار ، وقال فى بيان حقه : (أتدرون ما حق الجار إذا استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه البناء فتحجب عنه الريح إلا باذنه ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهـد له وإن لم تفعل فادخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بهـا ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك ، إلا أن تغرف له منها ، ثم قال : أتدرون ما حق الجار والذى نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله) . فهذه

بضعة عشر خصلة قد جعلت للجار على جاره فى الاسلام لا فرق بين أن يكون الجار مسلماً أو غير مسلم من أقاربك أو الأجانب ، ومن يقوم بها كلها إلا من رحمه الله وزينه بمكارم الأخلاق . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود جيرانه من اليهود والمشركين ويجيب دعوتهم ويحسن عشرتهم ويتصدق عليهم ويهدي اليهم ويهش لهم إذا لاقاهم ويخصهم بالخير قبل كل أحد من الغير . وهذه الأشياء التى أوجبها للجار بها تقع الألفة ومعها تحصل المودة ويصبح المرء بين جيرانه محبوباً موقراً يفقدونه إذا غاب مسؤولاً عنه ويمدونه إذا حضر مرغوباً فيه وادعاً معهم آمناً منهم مطمئناً اليهم يتبادلون المنافع ويتعاونون على البر والتقوى ويتكاتفون على إزالة الشر من بينهم ودفع السوء عن أهلهم وبيوتهم وإذا نزلت بأحدهم حاجة ساعدوه على قضائها ، ومن قضى حاجة مسلم فى الدنيا قضى الله حاجته يوم القيامة ، وإن مرض عاده الجيران أو مات شيعوه الى قبره على ما تقدم وإذا نزلت به المصيبة دفعوها أو صبروه عليها يعزونه حياً ويترحمون عليه ميتاً ويقضون دينه ويعطونه القرض غير مابين به عليه ولا مضيقين عليه فى رده إلا أن يكون ظالماً محتالاً أو مراوغاً مطالاً فيعتذر اليه ويدفع بالتي هي أحسن . وإن كان غنياً فعليه أن يتفقد جيرانه الفقراء ويحسن اليهم وينظر معسرهم ويكفن ميتهم ويحضر الطبيب وما يحتاج اليه من العلاج لمريضهم ويرق لأطفالهم ولا سيما الأيتام منهم فيلبسهم من ثياب أطفاله ويطعمهم من فضلات طعامه ويشتري لهم الدفاتر والأقلام وما لا بد منه للمدرسة إن كانوا تلاميذ أو يشغلهم إن كانوا عاطلين ، وإذا أخذ اللحم أو الفاكهة أخفاه عنهم أو قسم لهم منه ما تيسر . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتمهد جيرانك . ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤذي جاره أو يسيء اليه بسبه وشتمه وضرب أولاده وقذف نسائه ودق بابه وطرح القمامات عنده وصب الماء حيث يتأذى به ورفع الجدار عليه ليسد عنه النور والهوى وفتح النوافذ الى بيته والإشراف

منهــا ليطل عليه فيكشف عورته ويهتك حرمته ويحرج زوجته وبناته . وما أهدر الشارع عين من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم إلا احتفاظاً بحقوق الجار ودفعاً لما يكره من التجسس والتحسس . وقيل أن رجلاً رؤى بعد موته ورأسه يشتعل ناراً وكان معروفاً بالخير والصلاح فسئل عنه وتبين أنه كان يخرج رأسه من نافذة ليتطلع منها الى جيرانه . وفى النساء من تسيء الجوار وتجرح عاطفة الجار فإن رضيت سخرت واستهزأت وضحكت من كل شيء تراه وتسمعه فى بيوت جيرانهــا وإن غضبت فعلت شراً وقالت هجراً ولم تخف الله من نسبة العيوب الى الرجال والنساء سراً وجهراً . وكثيراً ما يقع الخصام والنزاع بين الجيران بسبب الأطفال يلعبون ثم يتضاربون وبعد قليل يصطلحون فتقوم قيامة أهلهم ويشتبكون صغاراً وكباراً ويقع الهجر والتقاطع وتحصل العداوة والبغضاء وربما ترافعوا الى المحاكم فى مثل هــذه القضايا التى كان من حقهم أن يغضوا عليها أبصارهم ويصلحوا معها ذات بينهم وكان لزاماً عليهم أن يجعلوا لحـــاراتهم شيوخاً ورؤساء لحل هذه المشاكل والنظر فى الخصومات . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتعمل وتتصدق وتؤذي جيرانها ، فقــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير فيها فهي من أهل النــار . ومن الاستخفاف بحق الجار أن تقيم فى بيتك فرحاً وهو حديث عهد بمصيبة فتضرب الطبول وتزغرد النساء يوم ثانى وثالث موت الجار ، وربما أقيمت الولائم ومدت الموائد فأكل منها الأغنياء ونقلت بقاياها الى البيوت البعيدة والجيران لا يجدون منها الا دخان المطابخ ولا يصل اليهم منهــا الا قتر اللحم ورائحــة القدور

يبيت الفقــير وأولاده	وزوجته يشتكون الطوى
وهــذا الغنى وأولاده	وزوجته يأكلون الشوى
ولو سمعوا جارهم يشتكي	من الجوع ظنوه كلباً عوى
ولو أكلوا التمر ما سمحوا	لجيرانهم بحبوب النوى

والرجل المتدين العفيف لا يضيق ذرعاً بشيء لجار السوء الذى يسمع منه الخنا ويشاهد ويلقى منه كل عناء ، إن كلمه بالحسنى عاداه وإن سكت على شره وأذاه عيل صبره وضاق صدره فباع داره أو تحول عنه الى سواه . وكيف يتحول عن منزله من قضى فيه مدة طويلة وألفه أهله ونشأ فيه أولاده سيا هذه الأيام التي عزت فيها المساكن وضاقت البيوت بمن فيها وبلغ إيجارها الحد الذى لا يطاق وأودت بسكانها من الفقراء ومتوسطى الحال الى الإخفاق

يلومونني إن بعت بالرخص منزلى وما علموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملامة انها بجيرانها تغلو الديار وترخص

ومن رغب فى بيع داره فجاره أحق بها وأولى لقول النبي صلى الله عليه وسلم (جار الدار أحق بدار الجار) ، وقوله أيضاً (الجار أحق بصقبه) والشافعية لا يقولون بشفعة الجوار لقول جابر رضى الله عنه (قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فى كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة) . ومن أراد الراحة والطمأنينة وترك النزاع فى زمان لا يحترم فيه حق ولا يخشى فيه إلا السفيه ولا ينفع فى أهله ، قال الله تعالى ، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : فليلتمس الجار قبل الدار أو يسكن حيث شاء ويعتزل ويبتعد عن من لا يعرف ولا يخالط من ليس على شاكلته فقد لا يريد خيره ولكنه لا يأمن من غائلته . وما قالت إمرأة فرعون :• (رب ابن لي عندك بيتاً فى الجنة) إلا رغبة فى حسن الجوار . والله تعالى يقول (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) .

الحديث الحادى والاربعون

عن أبي هريرة رضى الله عنه :

﴿ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع﴾ (رواه البخاري ومسلم)

يعلمنا ربنا حسن المعاملة وجميل المقاضاة ، وإنما الدين المعاملة والدينار محك الرجال ، ولا بد للانسان فى هذه الحياة من أن يكون آخذاً أو معطياً فإن كان آخذاً متصدقاً عليه شكر ودعا لصاحب المعروف وكافأه على ذلك بما يستطيع ، أو مستقرضاً رد لصاحبه ما أخذ منه عند حلول أجله مثنياً عليه مظهراً لإحسانه اليه . وينبغي له أن يرد أكثر وأحسن مما عليه من الدين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوفي الحق أهله ويزيدهم حتى يرضوا ، وخير النـاس أحسنهم قضاء . وإن كان الإنسان معطياً دفع العطاء لا بخيلاً ولا مناناً ولا مضيقاً على فقير ولا محرجاً غنياً . ومبادلة المنافع بين الناس سنة كونية . وعلى المستدين تعجيل القضاء والصبر على ما يلقى فإن لصاحب الحق مقالاً ، وعلى الدائن انظار المعسر وأن لا يقول إلا خيراً ، ومطل الغني ظلم ، ومن أخر حقاً عليه مع القدرة على تسليمه فهو البغيض الظلوم والممقوت الملوم . وفى الحديث ان الله يبغض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال . (وعن خولة بنت قيس رضى الله عنها قالت كان على رسول الله صلى الله عليـه وسلم وسق من تمر لرجل من بني ساعدة فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار أن يقضيه فقضاه تمراً دون تمره فأبى أن يقبله فقال أترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتحلت

عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدموعه ثم قال صدق ومن أحق بالعدل منى لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يهتمته ثم قال ياخولة عديه واقضيه فإنه ليس من غريم يخرج من عند غريمه راضياً إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وليس من عبد يلوى غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه فى كل يوم وليلة إثما) . وما جعل الله أجر الصدقة مضاعفاً الى عشرة أمثاله وأجر القرض الى ثمانية عشر مثلاً إلا لأن المستقرض يكون فى أشد الحاجة والمتصدق عليه قد يكون مستحقاً وغير مستحق . ومن دفعته الضرورة الى الإستدانة وأحوجه الحال الى التصنع وشغل ذمته بما يأخذ فواجب انظاره إذا أعسر لقول الله تعالى (فإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) . ومن أحيل على غني يدفع اليه حقه غير مدافع ولا ممانع فليقبل ولا حرج عليه من أخذ حقه حيث كان وتقاضيه من أى إنسان ولكن معاملة الناس اليوم غير شرعية وأفعالهم غير مرضية فمن أخذ شيئاً جحده وظلم صاحبه وسوف فى قضائه وحوله على آخر يهزأ به ويعده فيخلفه واذا أعطاه شيئاً فمنقوص وإن رده فبالجفاء والسخرية والكلمات الموجعة ولذلك نجد أكثرهم لا يقبل التحويل الا مضطراً ويفضل الصبر والانتظار على الذهاب الى فلان المعروف بمراوغته ومماطلته وهو معذور عندالله والناس . وقد لا يكون لصاحب الحوالة المبلغ المحول به أو الحساب مجهول والحقوق مختلفة فلا يجب قبول حوالته وليس على عميله أن يتبع المحال عليه . ولا يستفاد من الحديث وجوب قبول الحوالة وإن كان الحق ثابتاً فى ذمة المحال عليه وإنما هو من مكارم الأخلاق وطيب التقاضي . وحيث كانت المشقة موجودة وسوء المعاملة حاصل فلا عليه اذا رفض ولا يلزمه القبول . وقد شرط العلماء للحوالة شروطاً بينتها كتب الفقه والحديث وذكروا لها مسائل لا غنى بالمتداينين عنها . ولو أخذ المسلمون بتعاليم دينهم والتزموا أحكام شريعتهم فى العبادات والمعاملات لربحت تجارتهم وحفظت حقوقهم وغنى فقيرهم وبورك لهم فى

أرزاقهم فليتهم يتقارضون ويوفون ويجملون الرهن وثيقة يستوفى منها عند حلول الأجل والعجز عن القضاء لا بخس ولا ربا ولا تحكم فى حال من استقرض ونزلت به الحاجة . وكل قرض جر نفعاً للمقرض فهو ربا . وما يفعل فى بعض الجهات من شىء يسمونه بيع العهدة أو الإقالة أو النذر بمصالح المرهون وإباحة الإنتفاع به فهو حيلة لا تبيح خبيثاً ولا تحل حراماً وإنما هو المكر والخداع وأكل أموال الناس بالباطل وحيل الفقهاء ولكنه على كل حال خير من الربا وأسهل من مخالفة الشريعة علناً . وما يؤخذ من امرئ يدفع اليك شيئاً هنا ويريده منك فى مكان آخر على أن يكون لك فرق التحويل المتفق عليه اذا ألحق بأجرة النقل أو كان بنقدين مختلفين فلا بأس به والله أعلم . وكذلك ما تدفعه البنوك والمصارف لذوى الأموال المستودعة فيها من الفائض لا بأس به أيضاً على تفصيل فى المسألة يعرفه الخبراء بأحوال البنوك ومعاملة المصارف الأهلية والدولية . وحبذا لو يصرف الفائض فى وجوه البر والمشاريع الخيرية . وكنت أريد التبسط فى هذا البحث عند كتابته غير أن المراجع المعول عليها مفقودة ولا أعرف من الحكم فى ذلك الا ما يؤخذ من العمومات أو يتفرع من القواعد . والذى لا بد من معرفته هو ان من عليه شىء لأخيه أداه اليه غير مماطل ولا متساهل ومن كان له شىء أخذه غير شاق ولا متعنت ولا مستحلاً لما يحرم عليه فى المعاملة وأن لا تقدس المصالح الذاتية قداسة تؤدي الى جمع المال واكتسابه من الحلال والحرام والمتشابه فيصبح الحلال ما حل فى يديك والحرام ما حرمت منه كما يقوله الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يريدون الا العاجلة . (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب)

الحديث الثانى والأربعون

عن ابن عباس رضى الله عنهما :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي يعود في هبته كالكلب يعود فى قيئه﴾ (رواه البخارى ومسلم)

الهبة تمليك شيء لآخر تبرعاً ، وهى والصدقة والهدية شيء واحد من حيث انها تكون بغير مقابل ولا معاوضة . وفى الصدقة إذلال لآخذها إذ لا تكون الا من الأعلى للأدنى واليد العليا خير من اليد السفلى . فهي حرام على محمد وعلى آل محمد لأنها أوساخ الناس ولأن الله قد جعل لهم فى الفيء والغنيمة بدلاً منها ولا يحل لهم أكلها وان منعوا حقهم فى غيرها زكاة كانت أو تطوعا . وقال بعض المتأخرين بجواز ذلك لهم ولا دليل للقائل على صحة ما ذهب اليه . وكان حقاً على الآل الطاهر أن يترفعوا عن الصدقات وتناول فضلات الأموال فهم الأجواد اذا بخل الناس وهم المعطون اذا أخذ غيرهم . ومن وهب شيئاً لآخر وقبضه اياه أو أذن له فى قبضه صار ملكاً له ولا يجوز الرجوع فيه الا لوالد بقى موهوبه في ملك ولده . وقد حمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على فرس فى سبيل الله فوجدها تباع بأقل من ثمنها وأراد شراءها فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا ولو بدرهم فإن العائد فى هبته كالعائد فى قيئه . وليس للمؤمنين مثل السوء ولا شيء أقبح من التشبيه بالكلب الذى يعود فيما تقيأه ، والعائد فى هبته وصدقته وما أهداه مثله كمثل الكلب كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا الباب عند العلماء مسائل كثيرة ولهم فيها أبحاث مهمة ويلحق به الوقف وسائر التبرعات . وأفضل الصدقات ما كان صدقته جارية ومنافعه باقية . وفى الحديث : اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة

جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . والجهات الموهوب لها أو الموقوف عليها تختلف باختلاف الأحوال والحاجات ، نخير ما يحبس عليه المساجد للعبادة والمدارس للعلم والبيوت للملاجئ والمارستانات . ولكن هذه الأوقاف لا بد لها من نظار صالحين يقومون بشأنها ويتعهدونها بالاصلاح وتنفيذ شروط الواقف . ولله ما أحسن النظام المتبع فى مصر وغيرها من البلاد الاسلامية التى عرفت النظام وألفته فى كل شىء . فسائل الوقف محفوظة ومصارفها معينة معروفة وما ضاع معظم الأوقاف واندرست المساجد والمعاهد الموقوف عليها الا بتقصير النظار واهمالهم بل وقد أكلوا الريع والغلات وتمتعوا بها واختصوا بجميع المنافع . فهذه زبيد وجبلة من أعمال اليمن كانت عليهما الأوقاف لا تحصى ولكنها ذهبت كما ذهب غيرها فى سائر البلاد اليمنية الا القليل الذى لا يزال أهله محافظين عليه ورادين عنه أيدى البغاه والظلمة . ومن تصدق بشىء وأراد به وجه الله وثوابه العظيم فليجعله من خير ماله وأفضل ما عنده (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد) . وحين نزل قول الله جل ذكره (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبو طلحة الأنصارى يارسول الله ان أحب أموالي الي بئر حاء وقد جعلتها فى سبيل الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، فقال بخ بخ ذلك مال رابح أرى أن تجعلها فى الأقربين ، فقسمها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب وهما أقرب الناس اليه . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يحب السكر فقرأ يوماً هذه الآية ثم بدا له أن يتصدق بشيء من أفضل ما يحب فاشترى بخمسين الف درهم سكراً ثم أنفقه فى سبيل الله . ومن النـاس من اذا أراد الهبة أو الصدقة عمد الى أخبث شىء عنده فجعله لله حتى السائل الجوعان لا يدفع اليه الا الطعام الردىء أو الكسر اليابسة واذا وقف شيئاً على جهة خيرية وقف بيتاً مهدماً أو كتاباً مقطعاً أو أثاثاً بالياً واذا أنفق درهماً أو فلساً فزائفاً أو مطموساً أو ماساً به ومتبعه الأذى ، وإنما يتقبل الله من المتقين ،

وسيلان دمه أهون عليه من إخراج درهمه ولو طلب منه نصف ماله فى سبيل الشيطان وللفخر والمباهاة لجاد به راضياً وأخرجه مسروراً كما يقع من المتبرعين اذا طلب شيئاً منهم الحكام والوجهاء الذين يريدون كسب يد عندهم ويحرصون على رضاهم (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار) .

الحديث الثالث والاربعون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

﴿ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة ﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

خير البر أدومه وأفضل الصدقة ما بقي وعم نفعه (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) . وعلى قدر الهمة تكون الصدقة ويقع الإنفاق فى سبيل الله ومن تصدق بشيء فقد أقرض الله قرضاً حسناً وسيضاعف له أجره أضعافاً كثيرة . ولن يستطيع أحد البر والإحسان إلا إذا كان مكتسباً بصناعة أو زراعة أو تجارة وإذا حصل له المال شارك به فى الخير وأطعم منه المساكين وساعد به المحتاجين وعمل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) «الآية» . وقد رغب الإسلام أبناءه فى وجوه كثيرة من الخير وجعل العبادة قلبية وبدنية ومالية وجمع ذلك فى قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه

ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) . ولما علم الصحابة رضي الله عنهم أجر المتصدقين وسمعوا بما أعده الله للمحسنين جادوا بأموالهم وأنفقوها إبتغاء مرضاة الله سراً وعلانية بالليل والنهار يرجون رحمة الله ويتقون بها النار التى لا يصلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى . فكانوا ينمونها ويجدون فى كسبها وتحصيلها ثم يحبسون فى سبيل الله أصولها وينفقون غلتها وريعها ويخلدون لهم بصدقاتهم الجارية ذكراً حسناً ولسان صدق فى الآخرين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا رسول الله أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندى منه فما تأمرنى ، فقال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر على أن لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، فى الفقراء ، وذوى القربى ، والرقاب ، والضيف ، وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول ، وفى لفظ غير متأثل مالاً) .

والصدقة الجارية والعام نفعها أما أن تكون وقفاً أو غرساً فالأول كمسجد تبنيه ، أو نهر تجريه ، أو ملجأ للأيتام وأبناء السبيل ، أو مدرسة يعلم فيها الخير ومكارم الأخلاق ، أو مقبرة ، أو مستشفى ، أو شيء آخر يعود بنفعه على المستحقين من العلماء والعباد والفقراء والغرباء والمرضى وغيرهم . ورحم الله الأقدمين الذين كانوا يحبسون من أموالهم على جهات الخير ما يضمن بقاءها بالأوقاف الاسلامية كما هي على الحرمين الشريفين والأزهر وسائر المساجد والمعاهد فى الشرق والغرب من آسيا وأفريقيا . ولو احتفظ الخلف بنظام أوقاف السلف لكان فيها ما يغني عن غيرها ولكنهم أكلوها وأهملوها وأصبحت المساجد والمعاهد فقيرة لا تقدر على القيام بنفسها حتى ذهب أربابها وغلقت أبوابها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الأوقاف العظيمة المكاتب الاسلامية التى خلفها العلماء بمصر

والشام واليمن والحجاز والعراق وتركيا والهند وكانت تعد المؤلفات فيها بالألوف ومئات الألوف والملايين لقد ضيعت تلكم المكاتب وأكلتها الحشرات وعبثت بها الأكف الأثيمة التى سرقتها ومزقتها شر ممزق وباعت نفائسها بأبخس الأثمان من علماء أوروبا الذين حولوها من القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة وصنعاء الى لندن وباريس وروما وبرلين بل والى مكاتب أمريكا والولايات المتحدة . وقد قيل إن الذى كان فى مكتبة أمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر كان أكثر من أربعمائة ألف مجلد وكتب الصاحب بن عباد لا تقل عن ذلك . وبهذه المناسبة أذكر عناية المصريين بدار الكتب التى جمعت من المخطوطات والمطبوعات شيئاً كثيراً وأصبح روادها يجدون فيها من الكتب العربية وغير العربية ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . وفى كل بلد توجد كتب كثيرة خصوصية وعمومية إلا بلادنا عدن المسكينة فإنها فقيرة من الكتب ولا يكاد المرء يجد فيها بعض المصادر الهامة لكتابة مقال تاريخي أو بحث أدبى اللهم إلا ما فى المعهد البريطانى من الكتب العربية وهي قليلة جداً ، والمستعيرون كثيرون وأغلبها من المؤلفات العصرية تبحث فى موضوع واحد ولا يخرج المطالع منها بكبير فائدة . أما المراجع الهامة وأمهات الكتب كمؤلفات ابن جرير وأبى الفرج الأصفهانى والجاحظ وياقوت الحموي فغير موجودة ، وكذلك الدواوين القديمة وقواميس اللغة وكتب الجرح والتعديل أو النقد والتحليل فلا شيء من ذلك أبداً . وليت إخواننا الذين يملكون بعض هذه الكتب يكونون مكتبة عامة تكون تحت إشراف لجنة من أهل العلم وينتفع بها الخاصة والعامة ويجمعون فيها ما تيسر من الكتب التى تباع بأثمان قليلة وسيأتى بها الناس مطبوعة ومخطوطة من جهات كثيرة فى اليمن .

وكذلك لا يفوتني الحديث عن الأوقاف فى عدن وضواحيها وكلها على المساجد ولكنها دائرة قديمة وريعها قليل ونظارها عافاهم الله كسالى مقصرون لا يعيرونها إهتماماً ولا يلقون لها بالاً ، وسكانها فقراء يقولون

ساعدونا فنحن أحق من المساجد وأحوج منها الى كراء البيوت ، ولذلك فأحدهم يكون مديوناً لأحد المساجد بمائتين أو ثلثمائة روبية وهو لا يقدر على دفع روبية واحدة ، والحجة لله على الناظر المقصر الذى لا يأخذ الشيء فى وقته وإذا أخذه لا يصرفه فيما حبس لأجله . فمساجدنا قذرة وماؤها قليل ونورها ضئيل وأئمتها بؤساء وأوقافها مهملة ونظارها لا يعرفون عنها شيئاً ولو أنهم يوحدون جهودهم ويجعلون رائدهم الإصلاح فيجتمعوا على نظام واحد ويجعلوا لهم رئيساً وأعضاء عاملين يقومون بالمهمة سنة كاملة ثم تكون بعدهم هيئة أخرى تسير على طريقة الأولى لكان أضبط للأوقاف وأحفظ لماليتها ، ولكننا ويا للأسف لا نتفق على شيء ولو دعت اليه الحاجة .

أما الغرس والزرع فمن أفضل القربات وأحسن المبرات تحيا به الأرض وتخرج به طيبات الثمار والحبوب والحشائش التى يعيش بها الانسان وسائر الحيوانات . ومن غرس شجراً أو بذر زرعاً لم تسقط منه حبة ولا ورقة إلا وكانت فى صحيفته وما يأكل منه إنسان ولا بهيمة ولا طير إلا وكتب له بذلك عند الله أجر . وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ولا يرزأه أحد إلا كان له صدقة الى يوم القيامة) . ومن عرف الشريعة وفهم نصوصها وأدلتها علم أنها لم تترك من مرافق الحياة ومصالح ما بعد الموت شيئاً إلا وأمرت به ودلت عليه . فللخلافة والإمامة والإمارة والدولة والسياسة والمعارف والصحة والمالية والحربية والتجارة والصناعة والمواصلات والزراعة والشؤون الاجتماعية والفردية أنظمة وقوانين لا توجد فى أى دين آخر . فهذا نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام يرغب فى الزراعة ويحث عليها لأنها قوام الحياة وعماد المعيشة ويقول (من بنى بنياناً فى غير ظلم ولا إعتداء أو غرس غرساً فى غير ظلم ولا إعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى) . ومن غرس شيئاً فليكن غرسه من الأشجار المثمرة النافعة

بعودها وورقها وثمرها وظلها وخصائصها فإنمـا الأجر بمقدار النفع وأنفع الأشجار أطولها أعماراً وبها تحصل الصدقة الجـارية . ومن قصر الأمل وضعف الهمة أن يقول إنسان أغرس أشجـاراً لا أدرك أثمارها ولا انتفع بحاصلها . فقد قيل أن كسرى مر بشيخ هرم يغرس نخلة ، فقال له : لم تغرس شجرة ثمرها بطيء وأنت شيخ كبير ، فقال الشيخ : غرسوا فأكلنا ونحن نغرس ليأكلوا ، فقال كسرى : زه وهو أمر بمال كثير ، فقال الشيخ : ألا ترى أيها الملك ما أسرع ما أثمر غرسى ، فقال : زه ، ثم قال الشيخ : النخلة تثمر فى السنة مرة واحدة وقـد أثمرت نخلتي فى وقت قصير مرتين ، فقـال الملك : زه أيضاً وانصرف به الوزير لئلا يسحب الشيخ ما فى خزائن الملك . وخير الزرع ما أحتيج اليه وحصل منه القوت الاختياري للانسان والبهيمة وما تؤخذ منه العقاقير والأدوية والزيوت والخضروات والسكر . ويلحق بما ذكر فى الأجر حفر الآبار وإجراء الأنهار ومد السواقي ومساعدة الفلاح بإصلاح حقله وإرشاده الى ما يعود عليه وعلى الأمة بالمنفعة من تحسين الزراعة وتشجيع المزارعين بما لا بد منه من القرض والايجـــار وآلة الحرث والسقي وإحضار ما يتناسب وطبيعة الأرض من المزروعات والمغروسات المفيدة . وفى الاسلام شيء يقال له المزارعـة وهو إيجار الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر من المالك ، والمخابرة مثلها إلا أن البذر من العامل وفى كل خلاف بين العلماء فى الجواز وعدمـه . والمساقاة جائزة بالاجماع وهي العمل فى النخل والـكرم ببعض ما يحصل من الثمـار ، ومتى كانت الحاجـة داعية الى شيء من ذلك فلا بأس بتقليد القائلين بجواز المزارعة والمخابرة وإن كان ذلك على خلاف ما فى المـذهب . ومن كانت له مزرعة أو بستان فليتق الله فيها ولا يمنع حق الله منها يؤدي زكاتها ويطعم منها القانع والمعتر والبائس الفقير ولا يجعل بستانه للفجور والآثام واجتماع الفسق الذين يخرجون أيام الصيف الى تلكم المنتزهات فيرتكبون من الذنوب والـكبائر شيئاً عظيما ويأتون كل منكر من القول والفعل جهاراً فتكون

معهم البغايا ويغتسلون عرايا ويصلون الليل بالنهـــار على الخلاعة والمجون والخمر والقمار . وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم فى المنافع العامة وذكر مما يعود بالأجر على صاحبه بعد موته أشياء كثيرة كقوله (سبع يجري للعبد أجرهن وهو فى قبره بعــد موته من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخــلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعــد موته) . والله تعالى يقول (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهــاً وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقــه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) .

الحديث الرابع والاربعون

عن أبي هريرة رضى الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

﴿اشترى رجل من رجل عقــاراً فوجد الذى اشترى العقــار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال الذى اشترى العقار خذ ذهبك أنــا اشتريت منــك الأرض ولم اشتر الذهب وقال الذى له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحا كما الى رجل فقال الذى تحا كما اليه ألــكما ولد قال أحدهما نعم وقال الآخر لي جارية قال انكحا الغلام الجارية وانفقا على أنفسهما منه فانصرفا﴾ (رواه البخاري ومسلم)

لقــد استنبط الفقهاء من الحديث مسائل وفرعوا عنه أحكاماً تذكر فى كتاب البيع من دواوين الاسلام . ولسنا بصدد البحث عنهــا والخوض فيها ، وإنما مهمتنا من إيراد هذا الحديث شيئان . أولاً ورع البائع والمشترى

وزهدهما فى شىء لا يعلمان حكم الله فيه وان كلاً منهما يرى الحق لصاحبه فى شىء لم يدفع ثمنه ولا ملك له عليه ، وثانيـاً عدل الحاكم فى حكمه وانه عرف الحق فقضى به أو تردد فيه فـأصلح بين المتحاكين والصلح خير .
والقضاة ثلاثة قاض فى الجنة عرف الحق وحكم به وقاضيان فى النـــار أحدهما عرف الحق فحكم بغيره والآخر جاهل لا يعرف الحق ولا يستطيع القضاء به فهما فى النار وعذابهما سواء . وما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك إلا لنتخلق بمثل تلك الأخلاق الفاضلة فى المشترى الذى وجد الجرة مملوءة ذهباً فى عقاره فخاف الله من أخذها ورأى انه لم يدفع ثمنهـا فكيف يجوز له الاستيلاء عليها مع ان الذى فيها قد يكون أكثر مما دفع من الثمن بأضعاف مضاعفة ، وفى البـائع الذى علم من نفسه انه لم يدفن تلك الجرة وانه لا علم له بها وقد باع أرضه وما فيهـا فكيف يجوز له الرجوع فى شىء منهـا وقـد قصر حظه عن تحصيل ذلك المغنم العظيم ورأى فضل ربـه على صاحبه وما أنعم به عليه فطابت له به نفسه وهنأه بما وجد ولم ينازعه ولا نفس عليه ما أكرمه به مولاه بل رفض الكنز وأبى أن يرد عليه وما قبل هذا ولا هذا الا الحـكم الذى فصل بينهما بخير حل وأعدل قضاء . فليتنا نتعـامل بالصدق ونحفظ الأمانة ونحرص على الشرف وحسن السمعة ولا يستحل أحدنا حق غيره الا بحكم الله فتحصل الثقة وتحل البركة ويخف الطمع ويصح الورع ونسعد فى ديننا بامتثال أمر ربنـا ونفوز فى الدنيـا بكسب العميل وثقة الغير بنا نأخذ مؤتمنين وندفع آمنين وبذلك تكثر أموالنا وتضاعف أرباحنا ونكون عند الله أبراراً وعند الناس أخياراً ويقول تاجرنا

ياليتنى اذ أبيع الشىء يكسب فيـ ـه المشتري الربح ديناراً بعشرينا
أحب شىء الى نفسي معاملة كسب العميل فنأتيه ويأتينا

ولكننا والله قد صرنا نعظم الدنيا ونقدرها فوق ما تستحق ولا نبالى بجمعها كيف كان ولو توقف عليه ذهاب الدين وطعن المروءة فى الصميم . فأحدنا

يبيع الشيء بثمن معلوم ويبقى عنده المبيع وقتاً يجد فيه من يشتريه بأكثر مما باعه به فلا يخاف ولا يستحى من نقض البيع والرجوع فيما خرج من يده بل ينقلب على الأول ويظلمه حقه ويقيم عليه الحجة بتأخره عن الأخذ وابطائه بالثمن . وان منا لمن يشترى الشيء ويجد فيه ما لو علمه البائع لأقام له الدنيا وأقعدها ورفع صوته قائلاً لألزمنك أو تعطيني حقي على أنه قد لا يكون لهذا ولا لهـذا فلا تطيب نفس المشتري برد ما وجد وإن تيقن غلط البـائع أو نسيانه بل يسكت ويتغافل فإن تم له الاستيلاء على حق أخيه ظلماً وعدوانا قال هكذا تكون الشطارة وانما أوتيتـه على علم عندى وإن تفطن له اعتذر وطلب المسامحة

تقي ولـكن فى الذى لا يناله شقي اذا لاحت له فرصة الأخذ
ويقبل محتالاً وينبـذ ماكراً وتباً له فى الأخذ والرد والنبذ

والبـائع لا تطيب نفسه أيضاً بشيء لعميله ولو بلغـه ان فى بضاعته شيئاً لا يعلمه لادعى باطلاً وزعم انه واضع ذلك الشيء فى السلعة ولـكنه نسيه أو غفل عنه . وقـد يرتفع السعر بعد البيع وقبل القبض فينقلب على المشترى وينقض العقد ويحول بينه وبين حقه ويرى أن ذلك من حسن حظه ويمن طالعـه حيث لا تزال البضاعة فى قبضته وتحت يده . وفى كتب الفقه أشياء تعد من الحرام ولا يحل فعلها وإن كانت العقود معها صحيحة : وهى السوم على السوم والبيع على البيع والشراء على الشراء والنجش وبيع حاضر لبـادى وبيعتان فى صفقة على خلاف بينهم فى هـذا وكذلك بيع الغرر والملامسة والمنابذة وبيع رطب بجاف وبالعكس والغبن الفاحش وعين غائبة وغير موصوفة بالذمة والغرر وما بعده بيوع باطلة . وما أكثر الخيانة فينا وما أقل الأمانة عندنا وإن حبنا المـال لشديد نجد فى طلب الدينار وننسى عنده الجنة والنار وله نطلب العلم ومن أجله نتعبد ونثبت حقنا بحكم الجور وشهادة الزور ونبطل ما علينا ولو كان لرب العالمين وعندنا من الحيل لإباحة الربا وإسقاط الزكاة وإبطال ما صح من العقود وتصحيح ما فسد منها شيء

كثير (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . ورحم الله من قيل فيه :

بنيت جنة عدن بالعفاف وقد تبني جهنم للنـاس الدنانير
والعـلم إن لم يطهر قلب حامله من الهوى فهو تضليل وتزوير

وما الفرق بين المسلمين اذا قدسوا الدنيا وفقدوا التقوى وبين من وصفهم الله بالخيانة من أهل الكتاب المستحلين لما حرم الله بالحيل والدعاوى البـاطلة . (وإن من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليـك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) .

الحديث الخامس والأربعون

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبغض الرجـــال إلى الله الألد الخصم﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

من كان له حق على غيره مسلماً كان أو كافراً براً كان أو فاجراً فله أخذه واستيفاؤه بدون ظلم ولا عدوان ، سواء رضي أو كره ولو بحيلة يدبرها فى الوصول الى حقه وله المرافعة والمقاضاة الى أيـــ حاكم ينصفه من ظالمـه . بيد أنه لا يكذب ولا يخون ولا يدعي بما ليس له ولا يخاصم فى قليل تافه ولا الى حاكم ظلوم باغي فقد يخسر أكثر مما يطلب وقد يحمله اللجاج على الاسراف فى الطلب والإستيفاء (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) . وفى القضاة من إذا حكم أخطأ وإذا كتب لم يعدل وإذا أكل الرشوة لم ينصف يقبل شاهد الزور ويرد شاهداً علم بره وصدقه ، ومن تولى القضاء

فقد ذبح نفسه بغير سكين . وما كان أهل الفضل يخـــافون من فصل الحـكومات والقضاء بين المتخاصمين إلا خشية أن يقعوا فى غلط أو يحكموا بغير ما أنزل الله مع علمهم بأن المقسطين عند الله يوم القيامة على منـابر من نور ، ولـكن العاطفة قد تغلب صاحبها والمؤثرات النفسية قد تحمل القاضى على الميل والحيف والتحيز . وشرطـه أن يكون سميعاً بصيراً ناطقاً عاقلاً يقظاً عدلاً عارفاً بأحكام الـكتاب والسنة وما يستعين به على فهم الأدلة من اللغة العربية قادراً على الاجتهاد أو عالماً بطرقه ومسائل الخلف والاجماع من معرفة أحوال الخصوم وكيف يسمع منهم ويفصل بينهم ، ولا بد له من إستعمال الشدة فى موضعها واللين فى موضعه وأن يكون عنده لـكل مقـام مقال غير متعجل ولا متسرع ولا ملقن لحجة . وما عوتب داؤود عليه السلام إلا لحـكمه على المدعي عليه قبل سمـاع رده والعلم بجوابه (وهل أتاك نبـأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داؤود ففزع منهم ، قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب ، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داؤود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) وفى الحديث الشريف (ما من حكم يحكم بين النـاس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقفه على جهنم ثم يرفع رأسه الى الله عز وجل فـإن قال القه ألقـاه فى مهوى فهوى أربعين خريفاً) . وقال النبي عليه الصلاة والسلام (ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى فيها انه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط) . وإذا هيأ الله للناس حكماً عدلاً وقاضياً تقياً فلا يكن دأبهم إرعاجه بالخصومات والمرافعات اليه ولا يجعلوه وسيلة لتعديـ بعضهم على بعض والحـكم لفـلان على فلان ولـكنهم يصلحون ذات بينهم ويتجاوز محسنهم عن مسيئهم ويصبر الـكبير على تهور الصغير ويتحمل الصغير

تحكم وتهكم الكبير فانما تفتح المحاكم وتنصب الحكام لحل المشاكل وفك المعضلات وفى الأمة المتعلمة يقعد القضاة طيلة النهار على مكاتبهم لا يجدون خصماً ولا يسمعون دعوى . وفى الأمثال : لو انصف النـاس لاستراح القاضى . والاسلام يأمر بالعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والإعراض عن الجاهلين وينهى عن الخصام والمراء ومجاراة السفهاء ويقول (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) . وقال الأحنف بن قيس لا ينتصف حليم من أحمق ولا بار من فاجر . والألد الخصم يقول ما ليس بحق ولا يتحرج عن ظلم أخيه واستحلال دمـه وماله ، يغرر بالحاكم ويفتن الشاهد ويفلج المخاصم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر وانكم تختصمون الي ولعـل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فـأقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) . وخصوماتنا كثيرة ومنازعتنا لا تقف عند حد وحكامنا ظلمة وشهودنا فجرة والمتخاصمون لا يتقون الله ولا يخافون عقابه والدين ضعيف فى نفوس الذين اذا عاهدوا غدروا واذا خاصموا فجروا يركب أحدهم الشيطان فيسوقه الهوى وتقوده نفسه الأمارة بالسوء الى الظـلم والبغي والفساد فى الأرض وقول الإفك واعتقاد الباطل وفعل كل منكر يحلف على كل شيء ويكذب فى كل شيء ويقول ، قاتله الله ، النار ولا العار والكفر أهون عليه من الهزيمة ومتابعة الحق والاعتراف به لغـيره أشد عليه من الآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ينتصر فى الخصومات بالكذب والتدليس والمغالطة واليمين الغموس ويستعين على قصده برفع صوته وتشنج أعصابه وارشادات ابليس فيدفع الرشوة ويتهم الثقة ويثبت الحجة بنسبة الخط الى غير كاتبـه وجعل الملك لغير صاحبه

وما تتم الخصومات غالباً إلا بين الزوجين والشريكين والعميلين . ولا نجد اليوم فى محاكمنا إلا المسلمين يحـاكمون غيرهم ويخاصم بعضهم بعضاً ، فهذه مطلقة وأخرى تطلب النفقة وتلك تطلب حضانة أبنائها وذاك داين

وذا مديون وهذا أجير مظلوم وذاك شريك وحقه مهضوم وبائع ومشتري وضمين ودلال وصائغ وخياط وجمال وحمال مع أنك لا ترى يهوديين ولا مجوسيين مثلاً يدعي أحدهما على الآخر ولا شك أنهم يتعاملون فيتخاصمون ولكنهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم ولا يطلعون أحداً على ما يكون بينهم من الخصومات والمنازعات . وليت الذى يصير من أبغض الرجال الى الله يقع فى البيوت والأسواق والدكاكين والمحاكم وكفى ، ولكنه والله فى المساجد والمعاهد ومجالس العلم وحلق الذكر وقد نهينا عن الخصام فى الدين وعن الاختلاف فى كل مكان وحين ، وما يخاصم إلا ضيق القلب وحرج الصدر وبذيء اللسان وسفيه القوم وكثير الطمع وقليل القناعة وقصير النظر وطويل الأمل وضعيف الدين والحلاف المهين ولن تجتمع العيوب كلها فى أحد ما اجتمعت فى شديد الخصومة وأبغض الناس الى الله والخلق أجمعين . وليس من المذموم أن يكون المرء قوي الحجة شديد اللهجة واضح المحجة يقهر بالحق أعداءه ويوقف الظالم عند حده غير بذيء ولا عي فإن قوة البيان وثبات الجنان وانطلاق اللسان بالحجة والبرهان من صفات الأنبياء وأنصار الحق وحملة القرآن (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) .

الحديث السادس والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب﴾ (رواه البخاري ومسلم)

الصرعة بضم الصاد وفتح الراء هو القوي الشديد الذى يصرع غيره

والمراد به هنا الحليم عند الغضب . وفى الناس من إذا خاصم أو غضب فقد قوته وذهب عنه حلمه وهو أضعف الناس وأقلهم قدراً وأخفهم وزناً وإنما يظهر الرجل بقوته على نفسه وسيطرته عليها إذا غضب . وأفضل الإيمان جهاد النفس وأن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتبر من جفاك .
وفى الحلم آثار وأخبار لا تحصى . وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أوصني ، قال : لا تغضب ، فردد مراراً ، فقال : لا تغضب . وقال عليه الصلاة والسلام : وجبت محبة الله على من أغضب فحلم ، وقال أيضاً : (ألا أنبئكم بما يشرف البنيان ويرفع به الدرجات ، قالوا نعم يا رسول الله ، قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك) . وقال لقمان الحكيم : (لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا يعرف الشجاع إلا فى الحرب ، ولا يعرف الصديق إلا إذا احتيج اليه) . وما تكلم أحد بشيء فى غضبه إلا وندم عليه فى الرضا ، ولا حلم إلا مع الإنتصار كما أنه لا عفو إلا مع الإقتدار ، قالوا : ومن كثر احتماله وعرف حلمه قل ظلمه وكثرت أعوانه ، والغضبان أول ما يجني على نفسه تقبح صورته وتتشنج أعصابه ويفحش كلامه ويزيد على من ظلمه إنتقامه ، وقل ما تراه إلا وهو شعلة من نار يأكل بعضه بعضاً فصدره موغور ورأسه ملتهب وعيناه شاخصتان الى من أغضبه وربما شخر ونخر فكان أعجوبة لمن يتمعط به ويتعلم عليه فضيلة الحلم والإحتمال .
وقد قيل لجعفر الصادق وعنده رجل سيء الخلق كثير الغضب سريع الإنفعال أتطيق معاشرة هذا ، فقال : نعم ، وأتعلم منه الحلم . ويذكر عنه رضى الله عنه إنه كان يغسل يديه وغلامه يصب عليه الماء فسقط الإبريق وتطاير الماء الى وجهه فنظر اليه غضباناً ، وقال له الغلام : والكاظمين الغيظ ، فقال : كظمت غيظي ، قال : والعافين عن الناس ، قال : عفوت عنك ، قال : والله يحب المحسنين ، فقال له : وأنت حر لوجه الله . وقد أمر الله فى كتابه العزيز بالحلم ومعاملة الناس بالحسنى واحتمال

الأذى والصبر على الأعداء وبين ما يترتب على ذلك من الفضل فى العاجل والآجل ، فقال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) . والشر فى طبيعة الانسان لا يزيله أو يخففه إلا التخلق بالفضائل والإتصاف بأشرف الصفات ، فالعلم بتعلم الجاهل والحلم بتحلم الغضبان والشجاعة بصبر الجبان والجود بصبر البخيل على الانفاق وهكذا

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا هو عند السخط لم يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا هو عند القتر لم يتجشم

ومن كلام النبوة (كاد الحليم أن يكون نبيا) . ثم الحليم أما أن يكون ضعيفاً عاجزاً جباناً وليس له شيء ولا عليه شيء ، وأما أن يكون متكبراً يترفع عن عقوبة من أساء اليه ، وهذا إن لم يغنم فإنه لا يأثم . وأما أن يكون مخادعاً مكاراً يتحلم ظاهراً ويعف علناً ولكنه يغضب باطناً وينتقم مسرفاً ، وهذا حقود ولا يلبث أن يفضحه الله . وأما حليماً مفطوراً على الخير مجبولاً عليه ، وهذا كأشج عبدالقيس الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : (الحلم والأناءة) ، فقال : أشيء تخلقت به أم جبلت عليه يا رسول الله ؟ فقال : لا بل جبلت عليه ، فقال : الحمدلله الذى جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله . وأما أن يكون ثائر النفس شديد الغضب حاقداً على من ظلمه فيصبر كارهاً ويصفح قادراً ويأمره الإيمان بالعفو والعرف عن الجاهلين ، وهذا هو المثاب فى الدنيا والآخرة والمشكور عند الله وخلقه وهو المشار اليه بالشدة والقوة والموصوف بالعبقرية وشرف الإنسانية يترفع عن صفات البهائم ويتغلب على الشيطان ويكاد يلحق بالملائكة ، وأسوته فى ذلك رسول الله الذى كذبه قومه وردوا عليه قوله ورشقوه بالحجارة وأغروا به السفهاء ، فما كان منه إلا أن يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . ويوم فتح مكة

وظن أعداؤه أنه سيقتل ويضرب ويحبس وينهب قام فيهم خطيباً وقال لهم ما تظنون إني صانع بكم ، فقال : الذين عرفوا حلمه وصبره وعفوه عمن ظلمه أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وفتحت مكة والقلوب بحكمة يحنو لها السيف الصقيل ويسجد
وأتاك قومك خائفين وكلهم يخشون بطشك حرهم والأعبد
فصفحت عنهم والسماحة والندى والجود والاحسان عندك سرمد

وقال علي ابن طالب رضى الله عنه : (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه) . وقال الأحنف بن قيس : (ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت له فضله ، وإن كان مثلي تفضلت عليه ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه) . وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره . وكتب عمر بن عبدالعزيز الى بعض عماله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه . ونحن لا نورد جميع ما قيل في الحلم وذم الغضب فإنه كثير وقد امتلأت به الكتب وتحدث به الناس قديماً وحديثاً . ولكننا نريد العمل بتعاليم ديننا والأخذ بإرشادات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنملك أنفسنا عند الغضب ولا نتسرع لأقل شيء فيما يعود علينا بالحسرة والندامة . وما تكون الخصومات إلا من الغضب وترك الحلم والانسان مطالب بكتمان غيظه وإطفاء غضبه بما استطاع من تحلم وتصبر واستعاذة بالله من النفس والهوى والشيطان الرجيم . وعليه أن يترفق أولاً بأهله وثانياً برعيته وجيرانه وعملائه ومواطنيه فلا يكون عوناً لزوجته على النشور ولأبنائه على العقوق ولجيرانه على الاساءة ولرعيته على التمرد وللناس كافة على هجره ومجانبته . فإن من الرجال من نغضب لأقل شيء ويقيم ويقعد الدنيا لأتفه الأسباب فلو وجد طعامه لم

يطبخ أو ثوبه لم يغسل خاصم زوجته وضربها وربمـا فارقها وطلقها فيندم ولات ساعة مندم ويتأسف على ما فات ويرى أنه قد جنى على نفسه بالحرمان وعلى زوجته بالعقوبة ولا ذنب لهـا ويتم أولاده فى حياته . وهل الطلاق وما يكون بين الزوجين من الشقاق إلا نتيجة الغضب والحماقة وسرعة الانفعـال . وإذا حاول الرجعة أعتذر فكذب ، وقال : إنه كان مجنوناً أو غضباناً ، فيذهب من قاض الى قاضى ومن مفتي الى آخر ويتسامح من أصهاره ويستعين على حاجته بكل بر وفاجر ، وإذا رجعت اليه إمرأته هزأت به وسخرت منه وتحكمت فيه بعد أن كان حاكماً عليها . وربما بعث الرجل ولده فى حاجة له أو عهد اليه بشيء من أموره فجاء به على غير ما يريد وفعله على غير ما يحب فيغضب ويسب ويشتم ويضرب ويرفس ويلطم ويقول للابعد لعنك الله يا بليد ويا عاصي ويخرجه من بيته ويطرد زوجته فيبدد شمل الاسرة ويجعل البيت جحيماً أو بركاناً ثائراً وقـد قيل لعن الله والداً يحمل ولده على العقوق .. وان سمع شيئـاً من جاره غضب ورد أكثر ممـا قيل له وفعل به فيضارب الرجال ويقذف النساء ويزعج الأطفال ويصبح أهل الحارة بسببه خصوماً وأعداء واحزاباً متفرقين ، وان كان فى مكتبه أو دكانه وهو غضوب شرس الاخلاق خاصم عملاءه وعبس فى وجوههم اذا دخلوا وشتمهم إذا بايعوه ولم يشتروا منه شيئاً وقد يقول لبعضهم يا فارغ شغلتنى ويا جوعان مثلك لا يأخذ شيئاً والخباز يعرف وجه المتغدى الى غير ذلك من كلمات جارحة ما تفوه بها إلا غضباناً ولا قالها الا حنقاناً وبخلقه السيء يكسب كل يوم عدواً ويفقد صديقاً ويخسر فى تجارته ويطرد من وظيفته . ونعوذ بالله من غضب الملوك والامراء فانهم القـادرون على الانتقام ومكافـأة الشر بمثله أو باعظم منه وهـل تنصب المشانق وتفتح السجون وتتخـذ القيود الثقيلة والسياط الموجعة إلا للملك أحمق أخرق ظالم مستبد لا يحـلم اذا غضب ولا يعفو إذا قدر فهو الذى تحقد عليـه رعيته وتبغضه قلوبهم ويسعون فى قتـله واخراج الأمر من يده ليستريحوا من شره . ومن كمـاوية ابن أبى

سفيان فى حلمـه وقوله لو كان بينى وبين الناس شعرة ما قطعت إذا شـدوا أرخيتها واذا أرخوا شددتها وبذلك أخضع الجبابرة واستمال القلوب وجعل الذين كانوا يقاتلونه ويلعنونه يتزلفون اليه ويقولون له يا أمير المؤمنين لقـد أسأنا اليك فاحسنت الينا فصرت الخليفة وخرج الأمر من أيدينا . وكتب اليه عبدالله بن الزبير يعاتبه ويتهدد غلمانه العاملين فى أرض له مجاورة لأرض بن الزبير فرد عليه معتذراً اليه ووهب له الأرض وعمالها فما كان منه إلا أن كتب اليه يقول له قـد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقـاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام . وبعض الناس اذا غضب سخط القـدر وتبرم بالقضاء وعاتب ربه واتخذ الناس كلهم أعـداء وقتل نفسه لقلة ذات يده أو لدين عليه حل أجله أو لسقوطـه فى الامتحان كما يفعل الطلبة الحمقاء وبعض الأغنياء اذا أفتقروا ، وربما حاول شيئاً فشق عليه فلطم وجهه وشق ثوبه وعض أنامله من الغيظ وقـد لا ينفتح له الباب فينطحه برأسه ويقضم القفل باسنانه . وان كان على مائدة كسر الصحون والـكؤوس ورمى بالاناء وما فيه من النافذة أو الى المطبخ واسفل الدرج وعلام هـذا كله أيها الغضبان وانت تعلم ان القدرة المطلقة لله وان الدنيا لا تكون للانسان كما يريد ففيها الفرح وفيها الحزن وبها السار والضار والايسار والاعسار ومن رضى بقضاء الله هانت عليه الصعاب ولم يحمله غضبه على ما يكره وقبل من الناس ما تيسر وشكر المحسن وعفى عن المسيء مطمئن النفس هادئ البال .

فاقبل من النـاس ما تيسر ودع من النـاس ما تعسر
فانما الناس من زجـاج ان لم ترفق به تكـسر

ولا تكلف صديقك الصبر عليك واتقاء عصبك والبعد عمـا لا يرضيك فان الصحبـة لا تدوم مع هذا والصديق الذى لا ذنب له هو ثالث المستحيلات ولله در القائل :

اذا كنت فى كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

وان انت لم تشرب مراراً من القذى ظميت ومن فى الناس تصفو مشاربه

والآخر يقول :

اذا ما طاش حلمك عن عدو وهان عليك هجران الصديق

فلست اذاً أخا عفو وصفح ولا لأخ على عهد وثيق

اذا نزل الرفاق وأنت ممن بلا رفق بقيت بلا رفيق

واذا رأيت حق الله يضاع ومحارمه تنتهك فأمر بالمعروف وانه عن المنكر بيدك ولسانك وقلبك واغضب لربك ولا حرج عليك وقل الحق ولو كان مرا وإياك أن تقول سوءً أو تفعل شراً إلا أن يكون ذلك حماية لحدود الله وقياماً بواجب الدين وتنفيذاً لأوامر الله وكن حكيماً فى الموعظة وصبوراً على المعارضة سهل العريكة لين الجانب (وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم) .

الحديث السابع والأربعون

عن زيد بن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة ، وليس على رجل نذر فيما لا يملكه ، ولعن المؤمن كقتله ﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

إذا غضب الجهول وعجز عن اقناع خصمه ببينة تثبت حقه أو يمين توجهت عليه من حاكم لانكاره أو لتقوم مقام الشاهد الثانى حلف بالله صادقاً

وكاذباً وبالغ فى اليمين والايلاء وقال والله لقد كان كذا ولا والله ما كان شيء من هذا ولعله يكون كاذباً ويخاف ظهور الحق وبيان الواقع فيرى أنه لم يقنع الخصم أو الحاكم بيمينه الغموس فيحلف بالانداد ويقسم بانبياء الله وأوليائه فيجمع كذباً وشركاً . وسارق الطيور إذا ذكر الريش مسح رأسه ونفض ثيابه ، وفى الجلساء من اذا تحدث فكذب وامر فعصى قال انه يهودى أو نصرانى أو مجوسى ان لم يفعل أو يترك كذا وكذا ويعاقب من كذبه وعصاه بما تأمره به نفسه ويتبعه هواه وهو آثم بقوله وان صدق فيه ويكون كافراً بما قال وعليه أن يسارع بالتوبة ومراجعة الاسلام فينطق بالشهادتين ويستغفر الله من ذنبه وغضبه . ومنهم لذى يقول أنه حمار أو كلب أو خنزير أو انه يكون الطريق أو الكنيف ان لم ينفذ أمره ، ويفرض على غيره ارادته فيعجز ويكون فيه شبه بما ذكر فى يمينه وان فعل فغير محمود وان ترك فمن الخنازير والقرود .

ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة فى نار جهنم . وفى الحديث الصحيح (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها الى الأبد . ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا) . وكانت برجل جراحة فأخذ مشقصاً وذبح به نفسه اشدة ما يجد من الألم وأوتى به النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصل عليه . وضعيف الارادة لا يستطيع تحمل الشدائد والصبر على المكاره بل كلما وقع فى مصيبة ضاق بها ذرعاً وحاول ردها عنه بما ليس فى وسعه فإذا يئس من الخلاص وتيقن الوقوع فى الخطر قتل نفسه واسرع بها الى النار وبئس القرار ضاناً انه يستريح بفعلته النكراء من الذى كان يعانيه أو يخاف الوقوع فيه ولكنه لضعف ايمانه وخور عزيمته قد سقط فى هوة سحيقة من غضب الله عليه وقدم نفسه لما تعجز عنه من عذاب الله . وما اكثر الانتحار فى أوروبا والبلدان التى تقتدى بها وتستحسن من أهلها كل

قبيح فيعدون ذلك من الشجاعة ويرونه استراحة من تعب الدنيا وعنائها ، ويظنه الطالب اذا سقط فى الامتحان كفارة لخطيئته ومبرراً لموقفه حتى كثر فيهم الانتحار وجنوا به على أنفسهم وآبائهم بل وعلى اساتذتهم وبلادهم وفيهم يقول شوقى بك رحمه الله من قصيدة طويلة يعاتبهم بها ويلومهم فيها على سوء صنيعهم :

فيم تجنون على آبائكم ... ألم الثكل شديداً فى الكبر
وتعقون بلاداً لم تزل ... بين اشفاق عليكم وحذر
فمصاب الملك فى شبانه ... كمصاب الأرض فى الزرع النظر
ليس يدري أحد منكم بما ... كان يعطى لو تأنى وانتظر
رب طفل برح البؤس به ... مطر الخير فتياً ومطر
وصبي أزرت الدنيا به ... شب بين العز فيها والخطر
ورفيع لم يسوده أب ... من أبو الشمس ومن جد القمر
فلك جار ودنيا لم يدم ... عندها السعد ولا النحس استمر
روحوا القلب بلذات الصبا ... فكفى الشيب مجالاً للكدر
عالجوا الحكمة واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضل منها فى السير
واقرأوا آداب من قبلكمو ... ربما علم حياً من غبر
واغنموا ما سخر الله لكم ... من جمال فى المعاني والصور
واطلبوا العلم لذات العلم لا ... لشهادات وآراب أخر
كم غلام خامل فى درسه ... صار بحر العلم أستاذ العصر
ومجد فيه أمسى خاملاً ... ليس فيمن غاب أو فيمن حضر
قاتل النفس ولو كانت له ... أسخط الله ولم يرض البشر
ساحة العيش إلى الله الذي ... جعل الورد بإذن والصدر
لا تموت النفس إلا بإسمه ... قام بالموت عليها وقهر
إنما يسمح بالروح الفتى ... ساعة الروع إذا الجمع اشتجر
فهنالك الأجر والفخر معاً ... من يعش يحمد ومن مات أجر

ومن كرمت عليه نفسه وعزت عليه حياته صانها عن التلف وابتعد بها عن الموت إلا في سبيل الله وحيث يكسب الأجر والشهادة أو يعيش عزيزاً مكرماً فإنه يجود بها ويدفعها الى الآخرة ويخرجها من الدنيا راضية مرضية وفي حومة الوغى

يقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

ولا خير في حياة الذل والمهانة ولا حبذا العيش مع الضيم والإحتقار . وفي الحديث (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) . ومنه علم أن الموت في سبيل الشرف خير من الحياة مع الهون وإن توهم الجبناء والأذلاء خلاف ذلك . وما يكون الشهيد عند الله إلا الذى قتل بحق ومات محتفظاً بدينه وماله وكرامته ولا يعد منتحراً من اقتحم المهالك وخاض غمار الحرب شجاعة وإيماناً بقدر الله وتصديقاً بقوله تعالى (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) . وألقى رجل من المسلمين بنفسه بين الصفين وتقدم الى الأعداء وسلاحه في يده ، فقال الناس : لقد ألقى هذا بيده الى التهلكة ، فقال أبو أيوب الأنصاري . إنكم تفسرون القرآن بخلاف المراد منه وإنما تشاغل الأنصار عن الجهاد ولم يقاتلوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، فنزل فيهم قول الله سبحانه وتعالى (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا إن الله يحب المحسنين) والهلكة ترك الجهاد وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ووقعوا فيما يحذرون وجاءهم الموت من حيث لا يشعرون . وعة شيء يقال له التضحية ونفس يقال لها الفدائية لا يكاد يوجد اليوم في شيوخ المسلمين ولا في شبانهم وصار أحدهم لا يهمه ذهاب الدين وفناء المسلمين صيانة لدمه النجس وماله الخبيث ، والدرهم أعظم في يده وأكبر في عينه من الإحتفاظ بإيمانه وشرف أمته وتحرير بلاده بينما كان آباؤنا يموتون دون كلمة سوء يسمعونها ويقتلون دفاعاً عن الكرامة والأوطان ولا يعطون الدنية من أنفسهم ولو كان في الأمر

مـا كان . وفى المشركين ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر من يفدي غيره بنفسه ويضحي بكل غال ورخيص فى يديه عن شرف أهله وقومه وخدمة لبلاده ومليكه وان مصيره الى النار . وصنع لاحدى الدول المعاصره شيء من المعدات الحربيـة وكان لا بد من تجربته فطلبوا رجلاً يضحي بحيـاته لتجربة الإختراع الجديد ، فأجابهم أربعمائة شاب قبل نهاية الوقت المحدد . ونحن نعلم أن الموت حق وأن الجنة بعده للمؤمنين فنحرص على الحيـاة ونخاف الموت والموت لا بد منه . قال أبو الطيب المتنبي .

فالموت آت والنفوس نفائس والمستعز بمـا لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر والشبيبة أنزق

ومن التزم شيئاً لا يملكه ونذر بما لا يستطيع فعله فلا شيء عليه ونذره باطل وتفصيل المسألة فى كتاب النذر عند الفقهاء . وإنما جعل لعن المؤمن كقتله من حيث أن القتل جناية على نفسه ودمه ، واللعن جناية على عرضه وكرامته والـكل إثم وإن تفاوت عليه العقاب . ونفوس المسلمين كلهـا كنفس واحدة وأموالهم كلها كمال واحد والاعتداء على أحدهم إعتداء عليهم أجمعين . ومن قتل نفسه أو عرضها لمـكروه بغير حق واستحل من أخيه ما حرم الله فقد خالف قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالـكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجـارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) .

الحديث الثامن والاربعون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال :

{ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فان كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كـانت الحياة

خيراً لي وتوفني ماكانت الوفاة خيراً لي﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

فضيلة الصبر معروفة والثواب عليها عظيم وقد مدح الله الصابرين فى آيات كثيرة من كتابه المبين واثنى عليهم بقوله تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) واقسم على الانسان انه لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . وهو ثلاثة أقسام بعضها فوق بعض فصبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عند المصيبة . والصابرون على طاعة الله هم الذين يفعلون ما يؤمرون وبالاسحار هم يستغفرون (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) يصومون فى الصيف ويقرؤن الضيف ويطلبون الجنة تحت ظلال السيف يسبغون الوضوء فى الشتوات ويترددون على المساجد فى وهج الشمس وتحت جناح الظلام ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، يبرون آباءهم ويحسنون تربية ابنائهم ويصبرون على ما يلقون من عنت نسائهم وفى سبيل الله ونصرة لدينه وقياماً بواجب الأوطان يضحون بمصالحهم الذاتية ويجودون بالنفس والنفيس لا رغبة فى الزعامة والمنصب والجاه ولا رهباً من حاكم أو ذى سلطان ولا طمعاً فى المدح ولا خوفاً من العتاب ولكن عملاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) . ومن الصبر على الطاعة بر الوالدين واحتمال الأذى من الجار والصديق والزميل وكذلك صبر الأساتذة والاطباء على تعب التعليم ومعالجة المرضى وصبر الغني على اخراج الزكاة والمسافر والمريض والمشغول على اقامة الصلاة وما يكابده المتعلم والحاج والمجاهد والساعى على الأرملة والمسكين من مشقة السفر وعناء الطلب ومكافحة الأعداء وكلال العمل . والصابرون عن المعصية هم الذين

لا يدعون مع الله الهـاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ولا يربون ولا يراؤن ولا يأكلون أموال اليتامى ولا ينقضون عهد الله ولا يبخسون الناس أشياءهم . تعرض لهم المعصية وتساعـدهم الفرصة ويواتيهم الحال والمال والزمان والمكان على مخالفة امر الله وارتكاب ما حرمه ونهى عنه فيمنعهم خوف الله ويعلمون ان عذابه أليم وبطشه شديد وسجنه النـار فيتركون المعصية ويصبرون عنها ويكفون أنفسهم عن الشهوات والملذات المحرمة التى حفت بها النار أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وهم أهل قوله تعالى (انى جزيتهم اليوم بمـا صبروا انهم هم الفائزون) وقال بعض الحـكماء صبر المؤمنين عن معصية الله اشد عليهم من الصبر على طاعته وانما فضل المـكلفون على غيرهم من عبـاد الله بترك المعصية التى ركب فى طباعهم حبها والميل اليهـا . والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يمتـازون على سائر الناس بشيء كالصبر على طاعة الله واجتناب معاصيه وتبليغ دعوته . وأعظم الناس قدراً وارجحهم وزناً واعلاهم عند الله منزلة الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحس ويرون ترك المعصية أيسر عليهم من معالجة التوبة ومن وقع فى شيء من الاثم فتاب وندم واستغفر الله لذنوبه وعزم على أن لا يعود اليهـا فهو صابر على الطاعة بما يعمل من المـكفرات وعن المعصية بالتوبة والندم على ما فات وهو من أهـل قوله تعالى (فخلف من بعـدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أما المصائب فلا يصبر عليهـا الا المؤمنون ولا يثبت لهـــا الا المتقون الذين يقولون لا حول ولا قوة الا بالله والقضاء والقـدر بيد الله واذا نزل بهم ما يكرهون فوضوا الأمر الى الله وقرأوا قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) واذا ابتلى احدهم بشيء فى نفسه أو ماله أو أهله أو احبائه علم انه لا يملك رد القضاء وكل حادث يتغير ويزول وطبيعة الحيـاة ايسار واعسار وسرور وهم واجتماع وفرقة ومرض وصحة .

ثمانية لا بد منها على الفتى ولا بد أن تجرى عليه الثمانية
سرور وهم واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سقم وعافية

ومن عرف الله فى الرخاء عرفه الله فى الشدة والمؤمن يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ويعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا . وهذا هو الذى تهون عليه الشدائد وتخف عليه المصائب وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، وأحسن من قال :

ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ولك الأمان من الذى لم يقدر
ثم اعلمي أن القدر كائن حتماً عليك صبرت أم لم تصبري

وأشد المصائب ونسأل الله العافية هو ما يصاب به العبد فى نفسه من مرض فى جسمه أو خبل فى عقله أو ذهاب سمعه أو بصره وكل ذلك لا يهون إلا مع الصبر ، ومن احتمله مسلماً وراضياً كان جزاؤه الجنة ورحمة الله ورضوانه . وقال ابن عباس لتلميذه عطاء بن أبى رباح : (ألا أريك إمرأة من أهل الجنة ، فقال : بلى ! قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله لي ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : أصبر ، فقالت : إنى أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعى لها) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صباً حتى أن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله) .

وقد يقف بعض الناس على هذا الحديث وأمثاله فيظن أن الاسلام يمنع من التداوي والتماس الطب ويأمر بتحمل الأمراض والصبر عليها وأن لا

يعالجها من أصيب بها فيفهم خطأ أو يرد الأحاديث التي لا سبيل الى إنكارها وتكذيبها وإنما المراد أن الانسان يتداوى ويتطبب ويلتمس الخير من كل مكان بأسبابه الحسية والمعنوية فإذا عجز وفاته ما يريد وأعيا الأطباء ما نزل به فليصبر وليحمد الله وليعلم أن الخير فيما قدره الله وأراده . (وما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) . ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج وفى رواية حتى يأتيه أجله . ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدبة على أصلها لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة) . وأصيب عروة بن الزبير رضى الله عنهما بجراح فى رجله أودى بها الى القطع فعرض عليه وقت العملية شراب مرقد فأباه ، وقال : لا أحب أن أغفل عن ذكر الله وتجلد لقطع رجله ولم يتأوه حتى فصلت عنه وحمد الله على ذلك ، وفى الحال بلغه أن محمداً ولده قد سقط من سقف ووقع بين الدواب فداسته حتى مات وحمد الله عروة أيضاً وقال : لئن أصبت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء ، ولئن أصبت فى ولد فقد عوفيت فى أولاد . وجاء رجل ضرير محطم الوجه وسئل عن حاله ، فقال : إنه كان له مال وولد فسافر بأهله وماله وباتوا ببطن واد على غرة فجاء السيل واحتمل كل شيء ولم يبق للمسكين إلا بعير واحد وولد صغير فند بعيره وقام يطلبه وجاء الذئب فأكل ولده وضربه البعير على وجهه فهشمت أسنانه وذهب بصره ، فقال الوليد بن عبدالملك : اذهبوا به الى عروة بن الزبير ليعلم أن فى الناس من هو أكثر صبراً منه ، والشاعر يقول :

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وحيث كان ذهاب البصر من المصائب العظمى فقد جعل الله الجزاء عليه مع الصبر دخول الجنة وان لا يرى المصاب به نار جهنم (وفى الحديث عن النبى

صلى الله عليـــــه وسلم ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه) وقال صلى الله عليـه وسلم (عزيز على الله أن يأخذ كريمتي مؤمن ثم يدخله النار يعنى عينيه) واذا أردت أيها الأعمى من الله حسن ثوابه وعظيم الجزاء فعليك بعد الصبر والرضا أن تقوم لله بما وجب عليك وان لا تكون عالة على الناس فتسألهم ما ليس لك بحق عليهم وإياك أن تكون عبثاً ثقيلاً على غيرك سيء الأخـلاق خبيث النفس مستطيلاً بلسانك فى أعراض المؤمنين تسب هـذا وتشتم هذا وتمدح من لا يستحق المـدح وتنقل الـكلام من فلان الى فلان شأن كثير من العميان الذين لا يعيشون إلا بألسنتهم القوالة الآثام والخواضة فى الباطل . ومن أحسن اليك فاشكر له صنيعه ومن أساء اليك فاصبر عليه صبرك على ذهـاب عينيك ولا تنتقم بلسانك منه ولا تكن كما قيل- :

لا تلومن بالسفاهـة أعمى فسكوت الحليم عنه صواب
كيف ترجو من الضرير حياء ومكان الحيـاء منه خراب

وعلى الناس مساعدة الأعمى ومعاونته والأخذ بيده وتعليمه ما ينفعه فى دينه ودنياه ولا شيء يجبر كسره ويدرك به بعض حقــه مثل العلم الذى يصيره فى مصاف أبى العلاء وأبى العيناء وبشار بن برد والعكبرى والحصرى وأمثـالهم وجزى الله حافظ ابراهيم عنا معشر العميان خـيراً حيث يقول فى جمعية مساعده العميان :

ن حق الضرير عند ذوى الا ـ صار حق مستوجب التقـديس
لم يضره فقـدانه نور عينـ ـيه اذا اعتاض عنهما بأبيس
آنسوا نفســه إذا أظـلم العيـ ـش بعلم فالعـلم أنس النفوس
وجهوه الى الفلاح يفدكـم فوق ما يستفيده من دروس
أكرموا نفسه يكن عبقريـا مثل (طه) مبرزاً فى الطروس
كم ربما من أكمه لا يجارى وضرير يرجى ليوم عبوس
لم تقف آفة العيون حجاباً بين وثبـاته وبين الشموس

عدم الحس قائداً لخداه هدي وجدانه الى المحسوس
مثل هذا إذا تعلم أغنى عن كثير وجاءنا بالنفيس
ذاك ان الذكاء والحفظ حلا في جوار النهى بتلك الرؤس .
فعلى كل أكمه وبصير شكر أعضائكم وشكر الرئيس

وقال أمير الشعراء شوقي بك يلفت نظر الملك فؤاد رحمهما الله الى عميان الازهر :

نظراً واحساناً الى عميانه وكن المسيح مداوياً ومجبرا
والله ما تدرى لعل كفيفهم يوماً يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد غبناً وجل المشتري والمشترى
ان فاتهم من نور وجهك فائت لم يعدموا لوجوه برك منظرا
لمسوا نداك كمن يشاهد مزنة ويد الضرير وراءها عين ترى
زدهم أبا الفاروق انك خير من خير ولد الكريم الخيرا

وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله معنياً أكبر عنايه بتطبيق أفكار الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجعل لكل أعمى قائداً ، ولكل مقعد خادماً وفرض للزمنى رزقاً مخصوصاً حتى قيل : (ان الزمن أحب الى أهله من الصحيح)
أما المصيبة فى المال فتهون جداً ومهما يكن من ذهاب الربح ورأس المال وجائحة الزرع وغرق وحرق فان المؤمن يتجلد له ويصبر عليه ويطمع فى الجزاء العظيم على ما يصاب به من ذلك (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) والله عز وجل هو الذى أغنى وأقنى وهو الذى يصير الفقير غنياً والغني فقيراً فى وقت قصير وبسبب صغير وليس للمرء من ماله وان كثر إلا ملء بطنه وستر جلده وهو مدرك ذلك لا محالة غنياً كان أو فقيراً . ولكن ضعيف النفس وخائر العزيمة إذا سرق ماله أو أصيب فيه بتلف ضاق صدره وعيل صبره فيبكى ويتألم ويجزع والعياذ بالله حتى يكفر بعد ايمانه وينحى باللائمة على ربه ويقول حياة بلا مال خير منها الموت والحق شريك لروح ومن ذهب ماله ساء حاله وهو

فى كل ذلك لا يدرك شيئاً ممـا فات ولا يصبر على قضـاء الله فيؤجر ومن صبر فله الجنة ، ومن ضجر فله الحزن فى الدنيا وله فى الآخرة عذاب النار .
ومما يفت فى العضد ويمزق الاحشاء ويحرق الكبـد موت الولد الذى هو ريحانة أبويه وسلوتهما فى الحياة ولـكن الذى لا يستطيع رد الموت عن نفسه لا ينبغي له الحزن اذا مات ولده أو حبيبه حزناً يخرجه عن الصبر والتسليم .
وفى الحديث الشريف (ما من مسلمين يموت بينهمـا ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا ادخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم) وخلاصـة القول ان المؤمن اذا فاته شيء من الطاعـة أو وقع فى شيء من المعصية أو حلت به المصيبـة فلا ينبغى له أن يضيق ويجزع ولا يحـل له أن يسخط قضاء الله ولا بـأس بحزن القلب ودمع العين ما دام ذلك خالياً من الاعتراض على الله والتبرم بما قدره وقضاه فلا يشق جيبـاً ولا يحلق الشعر ولا ينطح برأسه الصخر ولا يقول إلا كما يقول الصابرون إنا لله وإنا اليه راجعون . وإذا عظمت بليته وكبرت مصيبته فلا يتمنى معها الموت ولا يبـادر ربه بنفسه ولـكن ليثبت وليتجلد ولا يرى صديقه من نفسه ما يسوؤه ولا يظهر لعدوه من حاله مـا يسره فان كان لا محالة متمنياً الموت وطالب الخلاص من هذه الدنيا ومتاعبها فليقل كما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي (الحديث) . وخير الناس من طال عمره وحسن عمله وقـد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول (لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا) .
ويقول أيضاً : (إذا سألتم الله شيئاً فاسألوه العافية) والصابر يعينه الله وهو معه فى مصيبته يجبره فيهـا ويبدله خيراً منها ثم يثيبه عليها كما يقول تعـالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) . ودوام الحال من المحال وقد أحسن من قال :

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبـة ... فأفرغ لها صبراً ووسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة ... فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

ولو كان أحـد يرزق نفسه أو يملك لها ضراً ونفعاً لما خرب العالم ولمـا فنيت

الدنيا ولكن قضى الله عليها بالزوال وقهر أهلها بالموت والفناء وكل نفس ذائقة الموت وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

الحديث التاسع والأربعون

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال :

﴿لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث الخمسون

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

﴿ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته انما كان يبتسم﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

إذا قرأت سيرة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عمت ما كان عليه من الأخلاق الفاضلة وأنه صفوة الله ومختاره من البشر فعله حق وقوله صدق ليس بغمار ولا عياب ولا نمام ولا مغتاب ولا خائن ولا كذاب ولا فاحشاً ولا متفحشاً ولا بخيلاً ولا جباناً ولا كسولاً ولا عبوساً بل كان جواداً حليماً شجاعاً كريماً عفواً صفوحاً لا تؤخذ بزلة ولا يعاقب فى غير حدود الله حريصاً على هداية الخلق رؤفاً رحيماً بالمؤمنين طيب الحديث حسن

المشرة سريع النجدة يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويمين على نوائب الحق ويقول أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ويوصى بعض أصحابه بقوله (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) وربما فرش رداءه لبعض الداخلين عليه أو الوافدين اليه وقال إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه . وكان يبكي كثيراً ويضحك قليلا ، ويقول والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا . واذا ضحك فتبسم لا يسترسل فى لهو ولا يستغرق فى العجب بشيء من هذه الدنيا وزخارفها قد أدبه ربه فأحسن تأديبه وحثنا على متابعته فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) الآية . وقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) فلو اتبعنا سبيله واهتدينا بهديه فى القول والعمل لاأتلفت قلوبنا واستدل بنا الكفار على ديننا ورأوا من آثاره علينا صدق اللهجة وجميل الصحبة والاحتفاظ بالمروءة التى تصون أهلها عن الفحش والبذاءة ومساوي الاخلاق وقد جعلها الاسلام شرطاً فى الحاكم والشاهد والراوى ، وأحسن من قال :

ان المروءة علق لا يباع ولو كانت خزائن قارون له ثمنا
والمرء ما عاش أن يحفظ مروءته يعش كريماً وإلا عاش ممتهنا

والفحش ما قبح من القول والفعل وشر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه لا تراه إلا متلبساً بجريمة ولا تسمعه إلا ناطقاً بالاقوال الأثيمة فعينه غمازة ولسانه لمازة ونفسه همزة مجالسته شر وصحبته ضر وفعله العدوان وحديثه البذاءة لا يذكر عظيماً إلا شتمه ولا يرى كريماً إلا سبه وتعرض له بالسوء ونال منه وسفه عليه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج وذلك أن الزنا وكلام الخنا من أعظم الفواحش وبالفرج واللسان يقع العدوان على الأعراض والكرامات وأثقل شيء فى الميزان حسن الخلق . وفى الحديث ألا أخبركم بأيسر

العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق . وقال صلى الله عليه وسلم (كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه) وما يضحك ويقهقه ويرفس الأرض برجله ويستلقي على قفاه اذا عجب من شيء وضحك له الا الذى قسا قلبه وغفل عن الموت ونسى ما بعده واشتغل باللهو واللعب وصار من أهل قوله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون) . وخالف الموصوفين بقوله جل ذكره (والذين هم عن اللغو معرضون) (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) وقد أغرق الناس فى الطرب والغناء وأفرطوا فى اتخاذ القينات والمعازف واستماع الآلات وقصائد المجون وفتحوا لذلك المدارس وجعلوه من العلوم الهامة وعنوا به عناية شديدة وأصغوا اليه كما يصغون للقرآن ومالوا اليه وأجابوه كما كانوا يجيبون الأذان ، وأصبح الرجال والنساء والصغار والكبار يغنون ويوقعون بمختلف الألحان على الدفوف والمزامير والعيدان والعدل والفاسق والجاهل والمتعلم وسائر من تلقاه أو تراه يهمهم ويدندن ويهز رأسه ويحاكي بحركاته ونغماته القينات والمغنيين ، والجاهل يقول من لا يطرب لا يرغب ، والمتهتك يقول :

أدرها بالصغير وبالكبير وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فإني رأيت الخيل تشرب بالصفير

وليت الذى نسمعه من الأبيات والقصائد مما يستفاد به فى الأدب واللغة والحكم ولكنه الفحش والتفحش والخروج عن الفضيلة والمروءة والدين والحياء ، ومن لا حياء له لا إيمان له ، وما صوت ابليس الذى يستفز به أتباعه إلا المزامير وسائر آلات الطرب ، قاله المفسرون فى الآية الكريمة (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) .

الحديث الحادى والخمسون

عن أبى هريرة رضى الله قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفا﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

إذا علمت ما جاء فى العفة والمسألة والقناعة والطمع فاعلم ان خير الأمور أوساطها وان الله لا يحب المسرفين ولا من يحب المال حباً يمنعه عن الخير واكتساب المعالى . وكل يوم والملائكة تدعو لمن أنفق ماله فى سبيل الله ومرضاته بالبركة وطيب الخلف وعلى المسيك الشحيح بالهلكة والتلف . ومن أنفق شيئاً فنى مأكل يفنيه أو ملبس يبليه او عمل صالح يستبقيه ، ومن أمسك وبخل بما آتاه الله فنصيبه تعب الجمع أولاً والحرمان آخراً . وما نقص مال من صدقة بل يزيد (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) والصدقة تدفع البلاء . وقد يأخذ الفقير الصالح شيئاً من المريض المزمن فيسأل له من الله العافية وتجاب دعوة المسكين الذى لو أقسم على الله لأبره وتكون أنفع فى العلاج من الطب والتطبب . وفى الحدث الشريف (داووا مرضاكم بالصدقة فإنها تدفع عنكم الأمراض والأعراض) . وللسائل حق ولو جاء على فرس لأنك لا تدرى حقيقة حاله ولا ما هو عليه ، إلا من اتخذ السؤال حرفة وعلمت انه يتكسب به فرده بما يستحق من الشدة والغلظة أو برفق ولين وقول معروف . وإن جاءك من تبدو عليه آثار الحاجة ويلوح فى وجهه بؤس الفاقة وأنت قادر على شيء ولو قليلاً فضعه فى يده واعتذر له ولا تقهره بالإعراض والجفاء ولا تنهره بالرد والإحفاء

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل فلخير دهرك أن ترى مأمولا
لا تدخلنك ضجرة من سائل فبقاء عزك أن ترى مسؤولا

وخير ما ينفق الانسان على أهله ومن يموله فيطعمهم مما يشتهون ويكسوهم مما يريدون غير ما حرم الله بلا تبذير ولا تقتير ليكون من أهل قوله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) . ولا ينبغي لعاقل أن يعطي نفسه مناها ويتبعها هواها فلا يمنعها عن الترف والإسراف ولا يردها عن حلال ولا حرام فانه لا يدرى ما يفعل الله به ، والمستقبل بيد الله . وأحزم الناس من عمل ليومه واستعد لغده . ولا يحل سكوت الأغنياء على ما يرون من أفعال أبنائهم الذين يرتكبون الفواحش علناً ويستعينون بثروة الآباء على معصية الله . وانك لترى بعضهم وقد اتخذ لنفسه سيارة فخمة ينقل بها أصحابه من مكان الى مكان ويطوف بها بين الخمارات والمواخير ولا يسوقها الا ثملاً سكراناً أو مشتغلاً ولهاناً فيزعج بها الأطفال والضعفاء ويصم آذان المارة وأهل البيوت القريبة من الشوارع بزمارتها وملابسه الذهب والحرير وكلامه الفحش والبذاءة والسفه بالسؤال عن المومسة فلانة والمغنى فلان وشغله القمار والميسر وضياع المال والأوقات بالخمر والحشيش والأفيون والتدخين ومصع القات وأبوه الضعيف الرعديد أو الغر البليد يشاهد منه هذا كله فلا يبدى ولا يعيد وان الأحمق البعيد ليعلم من زوجته وبناته المنكر ويشاهد منهن المخالفة والفسوق والعصيان فيقر فى أهله الخبث ويتغاضى عما يرى ويتجاهل ما يعلم ويقول بكل برودة (ياهادى يادليل) و(ربنا شايصلح) ولو قبض على الأمر بيد من حديد وحفظ ماله ولم يسلط عليه أبناءه ونساءه الفساق والجهلاء لسلم من الشر والفقر وسوء العاقبة ولما خاصمه أهله يوم القيامة عند من يقول (لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) . والحكيم الرشيد الذى إذا رزقه الله مالاً وولداً ووسع عليه فيه ووهب له عرف حق الله فى ذلك فأحسن التربية وعلم الأبناء وأكل وشرب ولبس وركب وأنفق وتصدق

وبر وأحسن فى غير سرف ولا مخيلة يفعل الخير وينتظر الجزاء عليه من الله فى الدنيا بالخلف ويوم القيامـة بالأجر العظيم . والبخيل الشحيح المـأثوم المحروم لا يتمتع بحقه ولا ينفعه حقه حياً ولا ميتـاً يسير حافياً ويـأكل اليـابس والناشف ويلبس المخرق والبـالي ولو مرض وكان دواؤه بدرهمين ما اشتراه ولا استعمله الا ان يأتيه مجانـاً أو يتصدق به عليه ، ولو شاء لافترش الوثير ولبس الريش وأكل وشرب أطيب الطعام وألذ الشراب ، وأنى له ذلك وهو المسيك الحزين على ما فات والحريص على ما هو آت . ومن بخل بشيء على نفسه فهو به على غيره أبخل (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى) وحق الله فى المـال أن يعمل عبده بقوله تعـالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) .

الحديث الثانى والخمسون

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه :

﴿عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملاً موفراً طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى أمر له به أحد المتصدقين﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث الثالث والخمسون

عن عائشة رضى الله عنها :

﴿عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا انفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

يريد الرجل الصالح الخير ويهيئ الله له أسبابه من كل ناحية فنفسه طيبة تجود بالكثير ولا تحتقر القليل ويرى عليه حقاً لكل بائس وفقير وقد يرزقه الله مالاً يسع كثرة الانفاق فى سبيل الله ولا تأتى على نفاذه وجوه البر والاحسان وله بطانة صالحة وأسرة طيبة تعينه على الجود والسخاء فيصبح بعد ذلك كريماً لا يبالى بما أنفقت زوجته وما تصدقت به من درهم أو ثوب أو لقمة خبز ولو من القوت أو الملابس الكريمة ولا يحاسبها على ما تناوله المسكين وجيرانها المستحقين قل ذلك أو كثر ويسره من الخازن طلاقة وجهه وأمانته وسروره بالخير إذا أمر بالانفاق والعطاء ، وهذا ولا شك سعيد فى دينه وآخرته مصدق بالحسنى ميسر لليسرى وأهله سعداء

وإذا سخر الاله سعيداً لأناس فانهم سعداء

فخادمه مثاب وزوجته مأجورة ما داما صالحين مصلحين غير مفسدين فلا بخل ولا إسراف ولا بخس ولا إجحاف نفس كل طيبة بما أعطت وشاكرة على ما أحدث والدال على الخير كفاعله والآمر بالصدقة متصدق وموصلها ولو من غيره الى ذوى الحاجة أحد المتصدقين . ومن أعان على خير أو شر ولو بشطر كلمة كان شريكاً فيه . والمرأة الصالحة المتدينة تعين زوجها على ما يحبه الله ويرضاه وتؤثر عليه بكلامها اللين وشعورها الرقيق وعاطفتها الكريمة

فلا تفعل خيراً إلا وأقرها عليه ولا تبتمد عن شيء إلا وشكرها عليه وقد تذكر له حاجة الجار والمسكين فلان فيرق له ويأمرها بمواساته وأن ترضخ له ما تيسر ولو من قوته وقوت عياله . وقالت اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها يارسول الله ليس لي مال إلا ما أدخله علي الزبير تعني زوجها أفأتصدق قال تصدقي ولا توعي فيوعى عليك ، وكان يأتيها أحد المساكين فتتصدق عليه بما وجدت ولكنها ذكرت غيرة بعلها وخافت على المسكين الذى يقف كل يوم ببابها أن يصيبه شيء من غيرة الزبير فلما جلس معها قالت له اطرد هذا السائل الذى لم يجد مكاناً يستظل فيه الا أمام بيتنا وعند بابنا فقال رضى الله عنه أو تبخلين عليه بالظل وتستكثرين له الجلوس تحت الجدر وكان حقاً عليك أن تعطيه شيئاً قالت أو تريد ذلك قال نعم قالت فذلك ما أريد ، وشكر لها برها وطاعتها . وعلى المرأة إذا انفقت أن تراعي حال زوجها فلا تعمد الى كل شيء فى البيت فتخرجه ولا تأخذ شيئاً يعز عليه وتتصدق به فان ذلك يغضبه ويؤذيه ويحمله على منعها من الخير . وليس بلازم أن تكون الصدقة بالكبير أو من الكثير ولكنها بما تيسر ، وفى الحديث (اتقوا النار ولو بشق تمرة) ، وقال صلى الله عليه وسلم (لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) وهو الظلف . والله تعالى يقول (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

الحديث الرابع والخمسون

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار﴾ (رواه البخارى ومسلم)

مكانة الانسان فى الحياة على قدر عمله لدينه أو دنياه ، وأفضل العمل وأحبه الى الله جهاد فى سبيله بالأموال والأنفس لحماية الدين ودعوة الناس اليه وتلك وظيفة الرسل والناس بعدهم خمسة : عالم يجاهد بقلمه ولسانه ، وملك يجاهد بقوته وسلطانه ، وجندي يجاهد بسلاحه وإيمانه ، وغني يجاهد بماله وأعوانه ، وعابد يجاهد فى طاعة الله بقلبه وقالبه وظاهره وباطنه يقوم الليل ويصوم النهار راغباً فى ما عند الله وطامعاً فى ثوابه والعامل المكتسب الجاد فى تحصيل ما يحتاج اليه والساعى على غيره من امرأة ضعيفة أو بائس مسكين هو عند الله بمنزلة فوق منزلة العلماء والعباد والأغنياء والسلاطين يروح مساء كالاً من كسب يديه فيبيت مغفوراً له ويغدو صباحاً الى عمله يخوض فى رحمة الله ويتقلب فى مرضاته وقد نال من الأجر مثل أجر المجاهد فى شجاعته وإقدامه والعابد بصيامه وقيامه . ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم رجل قوي صحيح البنية عليه آثار الصحة بينة وعلامة النشاط ظاهرة فقال الصحابة رضى الله عنهم لو كان هذا فى سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان . وأحق الناس بالمساعدة وأحوجهم اليها الأرملة التى لا زوج لها يكفيها مهمات الحياة وتعول عليه بعد الله فى ما لا بد منه لكل امرأة من نفقة وكسوة ومسكن وغير ذلك من الضروريات والكماليات وحاجات النساء كثيرة ومطالبهن متعددة فدهن وطيب ومكحلة ومشط ومرآة وصندوق وآنية لمطبخها ومحل نومها وحلي وحنا وخضاب وغير ذلك مما تتزين به المرأة لزوجها وخطابها ولا سبيل لى ما تريده الا بمساعدة الرجل القوي القادر على الاكتساب . وفى الحديث الشريف (من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوت أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ، وفى رواية فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله

الجنة) . والمسكين البائس الجائع العارى الذى عجز عن الكسب لكبر أو صغر أو مرض يمنعه من تحصيل قوته وما يحتاج اليه كالزمانة والعمى أو الذى تقطعت به الأسباب وأظلمت فى عينيه الدنيا وتغلقت فى وجهه الأبواب يستحق أيضاً السعي عليه والأخذ بيده فتكفله اذا عجز وتعينه على العمل بالقرض والايجار أو ايجاد ما يستعين به على نفقة نفسه وأهله بأي عمل يحسنه من تعليم أو صنعة أو زراعة أو تجارة ، وقد يكون المسكين من الأقارب أو ذا رحم يجب وصلها فيعظم حقه ويكون سعيك عليه براً وصلة وصدقة يكتب أجرها عند الله أضعافاً مضاعفة . ومن احتاج الى شيء فوجد دون ما يكفيه فهو مسكين عندنا ودونه الفقير الذى لا مال ولا كسب له .
وقد سمى الله أهل السفينة العمال فى البحر مساكين فقال تعالى (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) . وفى الزكاة حق معلوم للسائل والمحروم من الفقراء والمساكين الذين بدأ الله بهم حين ذكر المستحقين لهذه الفريضة الممدوح أهلها بقوله عز وجل (والذين هم للزكاة فاعلون) فما حق مسكين لا يفطن له ولا يقوم فيسأل الناس وما أجر من يسعى عليه ألا ان حقه عظيم وكفايته عمل مبرور والمحسن اليه من كسبه ومع قلة ذات يده من الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا . والساعى على الأرملة والمسكين لا ينال هذا الثواب العظيم الا اذا كان سعيه فى الخير وكسبه من حلال وهو لا يريد بعمله رياء ولا سمعة ولا أن يقال فيه جواد كريم . أما الذين يكفلون الأيتام ويطعمون البائسين من الحرام والمتشابه ولا يبالون بما جمعوا ولو كان بالنهب والغش والربا واليمين الغموس فان الله لا يتقبل منهم ولا يجازيهم على فعلهم الا بما يسوؤهم من العذاب الذى أعده الله للظالمين .

بنى مسجداً لله من غير كده ولكن بعون الله غير موفق
ككافلة الأيتام من كسب فرجها لك الويل لا تزنى ولا تتصدقي

ثم الأرامل عندنا كثيرات والمساكين فينا يعدون بالالوف ، والأموال موجودة والثروات عظيمة ، ولكن لأغنياء بخلاء والرجال المستعدون

للرواج لا يحصون ، ولكن التكاليف شاقة والعادات سيئة وأمراضنا الإجتماعية لا يأتى عليها الحصر وغالبها مشخصة معروفة . فأين الأطباء ؟ وكيف العلاج ؟ ومن لهذه البلاد وكثير من بلاد المسلمين بإنشاء الملاجئ وفتح المدارس لإيواء الضعفاء وتعليم أبنائنا الأيتام وأولادنا الفقراء الذين نشأوا وسينشأون عالة على الأمة وعبئاً ثقيلاً على المجتمع جهالاً لا يحسنون شيئاً ، وضعفاء زمنى مشوهين لا يقدرون على عمل ولا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، بضاعتهم التسول وإهمال شأنهم جريمة لا يغفرها الله للأغنياء الذين لا يهمهم إلا ظهورهم وبطونهم وفروجهم . ولا سامح الله الملوك الذين تسببوا بقتل الرجال وتشريدهم من أوطانهم وساعدهم الفقر والجهل فى ترمل النساء ويتم الأبناء وظهور الضعف والذلة والمسكنة فى رعاياهم وسوف يضربهم الله بسوط عذابه إن لم ينتهوا وسينزع من أيديهم الملك والمال وما خولهم فيه من نعمته إن لم يعرفوا حق الله عليهم وحق أولئك العجزة البائسين والضعفاء المستحقين لتضميد جراحهم وجبر أكسارهم (وذرنى والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ، إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليما) . ويا أيها العمال المكتسبون والساعون على أرامل الأخوات والبنات والعمات والخالات. ومساكين الآباء والأمهات أبشروا بمغفرة الله وحسن ثوابه وأنه سيبدلكم بالعسر يسرا ، وبالشده رخاء فاستعينوا بالصبر والصلاة وابشروا إن الله مع الصابرين ، وأدوا حق ربكم واخلصوا لمن استأجركم ليمدكم الله بعون من عنده ويزيدكم صحة فى الأبدان وبركة فيما آتاكم وأنتم المحور الذى تدور عليه حركة العالم وبأيديكم تحرك دفة الكون ، إذا خرجتم دعت لكم الملائكة وإذا دخلتم أستبشر بكم الأهل والولد ، سروركم دائم وفرحكم مستمر وصحتكم تامة ومشاكلكم قليلة ، وفيكم القناعة والرضا بالمقسوم وكلما صدق نياتكم وصحت أعمالكم أزددتم عند الله أجرا واشتدت اليكم حاجات الأغنياء . والاسلام لا يريد اشتراكية ولا شيوعية ولكنه يريد عدالة ومساواة وديموقوطية حقة ، لا

ظلم ولا غش ولا بخس ولا منافسة" (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

الحديث الخامس والخمسون

عن أبي موسى رضي الله عنه :

﴿إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : على كل مسلم صدقة ، قيل أرأيت إن لم يجد ، قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قال : أرأيت إن لم يستطع ، قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قال : قيل له أرأيت إن لم يستطع ، قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قال : أرأيت إن لم يفعل ، قال : يمسك عن الشر فانها صدقة﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث السادس والخمسون

عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

لله عز وجل على خلقه نعم لا تحصى ومنن لا تعد تزيد بالشكر وصرفها

فيما خلقت لأجله كما يقول تعالى (ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) ، ومن استعمل نعمة الله عليه فى معصيته فقد خاب وخسر خسرانا مبينا ، قابل الاحسان بالاساءة ووضع الكفر موضع الشكر فاستحق سلب النعمة عنه وأن يحاسب عليها حسابا شديدا . ومن أعظم النعم وأجلها نعمة المال والصحة والعلم ولكل شيء من ذلك زكاة تؤدى عنه وفيه لله فريضة على عبده يظهر بها طاعته ويعترف لصاحب الفضل عليه بالربوبية الحقة . وإنه الذى يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء والله تبارك اسمه لا ينتفع من خلقه بشيء ولا يضره من أفعالهم شيء وإن بالغوا فى الطاعة والمعصية ، وإنما خلق الجن والإنس ليعبدوه ، وهو لا يريد منهم رزقا ولا أن يطعموه ولكنه يريد منهم التعاون على الخير والكف عن الشر ويعد ذلك صدقة منهم ويكتبه فى صحائف أعمالهم الصالحة . وبالمال تقع المساعدة وفيه لله حق معلوم للسائل والمحروم تجب فيه الزكاة والكفارة ومنه يقع الحج ويستعان به على الجهاد وتبنى به المساجد والمدارس والأربطة والمستشفيات والملاجئ ويواسي به الفقراء والضعفاء ويكفل اليتيم والأرملة والضرير والقعيد والشيخ الكبير وتطبع الكتب وتصلح الطرق وتعمر المدن ويتخذ السلاح لحماية الدين والوطن وتبنى السفن . ومالك الموروث أو المكتسب أما أن تنفقه كله فى سبيل الله وتدخر لنفسك وأهلك حب الله ورسوله ، وأما أن تساهم منه فى الأعمال الجليلة والمشاريع الخيرية وأجرك فى ذلك بقدر عملك وكل درهم تنفقه أو لقمة أو خرقة تدفعها الى مستحق يكتب لك عند الله به صدقة .
فإن عجزت عن المال ولم تجد منه شيئا تعبد به ربك وتقوم فيه بواجبك فتعمل بيديك وتكتسب منه ما يكفيك ويكفي بيتك وتبذل المعروف الى الذين يلونك من أهلك وذويك وابدأ بمن تعول . وسعيك فى تحصيل قوتهم وطلب أرزاقهم تكون يدك العليا وكل يد آخذة فهي سفلى وحقها أن ترض أو تكسر إلا إذا قصرت عن العمل وعجزت عنه فيعذر صاحبها

ويشكر . وقضاؤك لحوائج الناس وإعانتك الملهوف ونصرتك المظلوم وأخذك بيد الأعمى ورفع صوتك للأصم ومسحك رأس اليتيم وما الى ذلك مما يعد شكراً على نعمة الصحة . والمال هو الذي يريده منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله يعتمل بيديه فيكفي نفسه ويتصدق فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف . ونعمة العلم يجب شكرها بالوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تعمل صالحاً بما علمك الله فعلاً وتركاً وقولاً وصمتاً . ومن ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا . وطرق الخير كثيرة ومعظم الناس يعرفونها ولكن حب الخير وفعله شديد على النفس حتى تذكر بالله وترغب فى الجزاء العظيم . والمؤمن ينتفع بسماع الموعظة ويزداد بها نشاطاً فى عبادة الله وإن كان أعلم من الواعظ وأقدر منه على ما يقول وتأثره بما يسمع من غيره أكثر من تأثره بما يعلم أو يتكلم به . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعرف الناس بالله وأتقاهم له يخشع قلبه وتذرف عيناه بالدموع لسماع القرآن من عبدالله بن مسعود الذى قال له : كيف أقرأه عليك وعليك أنزل يا رسول الله ، فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري . والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام (فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى) ، ويقول أيضاً (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) . ومن ضعف عن العمل بيديه ومساعدة ذوي الحاجة وكان فقيراً لا يجد ما يصدق به فلن يفوته من الخير أن يأمر به ويحث عليه ويدعو اليه بما أوتى من حول وقوة . وليس ذلك خاصاً بالعلماء المحققين والأئمة المجتهدين ولكنه عليهم وعلى كل من عرف الحق وعلم أنه مراد الله من عباده ، ولو تآمر الناس بالمعروف وتناهوا عن المنكر وقال كل لوالده وولده وأخيه وزوجه وجاره وأجيره إتق الله فى صلاتك وزكاتك وعامل الناس بالتي هي أحسن وخذ الذى لك وأد الذى عليك لاستقامت بذلك أخلاقهم ولما تجاسر أحد على الشر والتظاهر به ، وليس هذا فى المساجد والمدارس فقط ، ولكنه فى الأسواق والأندية والطرقات العامة .

وحيث ما كنت فأمر بالجميل ولا تخش سوى الله من قاص ومن دانى
إن الجهاد لأقسام وأفضلها كلام حق لذي جور وسلطان

ومن لم يستطع فعل شيء من الصدقة والإنفاق فى سبيل الله وقول الحق والأمر بالخير والنصيحة لكل مسلم فعليه أن يكف شره عن الناس ويصرف نفسه عن السوء ولا يتعدى على غيره بيده أو لسانه فإن ذلك له صدقة ولا يكون كما قيل :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

ومن الكف عن الشر ترك المعصية ومنع النفس من شهواتها المفضية بها الى النار . ومن الفقراء والضعفاء العاجزين عن الخير من يفعل المنكرات ويرتكب الآثام ويأتى من الذنوب بما تعجز عنه الأباليس ومردة الجن والإنس ، فسارق ومختلس وكذاب وشاهد زور وفاعل ومفعول به فى الزنا واللواط وغشاش ومكار وفاحش وبذىء متملق ذو وجهين وذو لسانين ، صواب ما قيل فيه :

لو استطاع أن يبيع حظه من الهدى باعه بفلس
يظل يسعى فى سبيل قرصه يصبح مشغولاً به ويمسي
يريده من حيث ما جاء ولو بالشرك والسحر وقتل النفس
يفوته الخير ولا يدرك ما لا بد منه لحياة النحس

وكل ميسر لما خلق له ومن أراد شيئاً تهيأت له أسبابه وحكمة الله بالغة وفعله كله جميل وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يقهر بالفقر من لو اغتنى لكفر ويحفظ بالمال من لو افتقر لكفر (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) .

الحديث السابع والخمسون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

الحديث الثامن والخمسون

عنه رضى الله عنه :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

الحديث التاسع والخمسون

عنه رضى الله عنه :

﴿إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لئن يحتطب أحدكم حزمة على ضهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

الحديث الستون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

﴿إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

من اعتمد على الله كفاه ومن سأله أعطاه ومن استغنى به عن غيره أغناه والقناعة كنز لا يفنى ومال لا ينفد . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن القناعة ، فقال : (الإياس مما فى أيدي الناس وإياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر) . وليس الغني من جمع مالاً كثيراً وكانت له ثروة عظيمة ولكن الغني من عفت نفسه وعزت عن الإحتياج الى مخلوق مثله وأن كثرة المال لا تفيد صاحبها ولا تسد مسداً من فاقته ما لم يكن غناه فى نفسه ومن أراد الله به خيراً جعل غناه فى قلبه ومن أراد به شراً جعل فقره بين عينيه . وكم من غني تقدر ثروته بالملايين إذا نظرت اليه حسبته فقيراً بائساً يستحق المواساة ، ثيابه رثة ونفسه صغيرة وعليه من الجوع غبرة ترهقها قترة لأنه حريص على ما فى يديه وطامع فيما لا يقدر عليه وكاسب لغيره ومكتسب على نفسه ، ورب ساع لقاعد وجامع لواجد . وهذا هو الذى لم يكن غناه بكثرة عرضه وإنما فقره بلؤم طبعه وفرط شرهه وإشراف نفسه الى مال غيره ، حلال حقه حساب عليه وحرامه عقاب عليه لا ينتفع بشيء منه ولا يستريح من تعب جمعه وتحصيله ، لو رأى الدينار فى النار تناوله بيده ، ولو سقط منه فلس طلبه بجده وجهده . ومن الناس من يكون سعيداً فى دنياه وله ثروة لا بأس بها لو تشتغل بالعمل فيها لما احتاج الى أحد غير الله ، ولكن حبه المسألة وتعرضه للصدقة يحول بينه وبين العمل ويمنعه من الإكتساب ويرى أن ما يأتيه بلا تعب هو خير له من

طلب الحلال بالمشقة والنصب فهو شقي فى دينه وآخرته ولو كان له ملء الأرض ذهباً ومثله معه ما كفاه ولا أغناه ولا منعه من سؤال غير الله . وما يعرض حاجته ويظهر فاقته وهو غني أو كسوب إلا امرء لا ثقة له بربه ولا قناعة فى قلبه ، ومن رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه ، ومن وضع يده فى قصعة غيره ذل له ، وقال أبو الطيب المتنبي :

إذا أعطشتك أكف اللئام   كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلاً رجله فى الثرى   وهامة همته فى الثريا

واجتمع حكيمان فقال أحدهما لصاحبه من أرباب العلم قال الذين يعملون به ، قال : فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه ، قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس . والمتسولون عندنا كثيرون وهم بصحة وعافية وأسباب العيش ميسرة . والناس يتطلبون عمالاً فى دكاكينهم وخداماً فى بيوتهم فلا يجدون من يرضى بقوته وكسوته ومرتب شهرى يتقاضاه على عمله وخدمته . وقد قنعوا بالشحاذة واستجداء الواقفين والمارين فى الأسواق والشوارع والميادين ومدوا أكفهم الى الكريم والبخيل والمحسن والمسيء وعرضوا أنفسهم للمقت والغضب عليهم من الله وخلقه ، يصمون الأسماع بأصواتهم المزعجة وأناشيد المسألة وينتشرون عند غروب الشمس إنتشار الشياطين ويخرجون من أماكنهم خروج البوم والخفافيش إذا أظلم الليل ، وقد أعدوا لصنعتهم لباساً خاصاً وسخاً مخرقاً ولحنوا لحرفتهم نغمات محزنة مؤلمة : (أنا جيعان يا مسلمين) (أنا عريان يا مؤمنين) (أعطيتنا الله يعطيك الله يهب لك الله يرضيك) وبين صفوف المصلين وعلى أبواب المساجد ترى زمراً من المتسولين يعرضون حاجتهم ويذكرون فاقتهم ويشغلون عباد الله عن التلاوة والذكر واستماع الخطيب والمدرس وقد يكتبون أوراقاً فيدورون بها على الصفوف ويرمونها بين أيدي المعتكفين والركع السجود وبعضهم يقوم فيعظ الناس ويخطبهم ويرغبهم فى الآخرة وما عند الله ويحذرهم من الدنيا والإشتغال بها ، ثم يقول تصدقوا علي جزاكم الله خيراً فأنا

غريب وعابر سبيل وطالب علم منقطع ومن أعان طالب علم ولو بقلم مكسور فكأنما بنى الكعبة سبع مرات الى غير ذلك من الإسترحام والكذب على الله ورسوله . ولو أخذ أحدهم حبلاً فجاء بحزمة حطب أو كان حمالاً فى السوق ونقط المواصلات لعاش كريماً عفيفاً . ومنهم النساء الفاتنات والفتيات الكاعبات المائلات المميلات يتعرضن للناس ويتعلقن بيد هذا وثوب هذا ويضحكن لمن يعطيهن شيئاً ويخاطبن الرجال بالفاحشة ويلبسن لا بارك الله فيهن ملابس الفجور كاشفات الوجوه مصففات الشعور . والعلماء والمتعلمون يرون ذلك ويسمعون به فلا نكير ولا نصير على إزالة المنكر وكأن الأمر لا يعنيهم والفضيحه لا تؤذيهم . ورب متصدق على هؤلاء وأولئك رحمة بهم وعطفاً عليهم وهو لا يريد بصدقته إلا وجه الله ولكنه أخطأ وأعان على معصية ووضع الشىء فى غير محله وأغرى بفعله السفهاء على البطالة وترك التكسب وهذه مشكلة لا بد من حلها والتفكير فى أهلها . أما الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ولا يسألون الناس إلحافاً فهم المنقطعون فى البيوت والمترفعون عن هات يا فلان وتصدق علي جزاك خيراً لا يفطن لهم أحد فيحسن اليهم ولا يبثون شكواهم إلا الى الله مولاهم . وقرص خبز وقطعة من اللحم والسمك فى يد بعضهم تقع عند الله بمكان . وقليل من النقود يستعينون بها على حالهم هى والله خير لصاحبها المحسن بها من الدنيا وما فيها ، فكم من عجوز وشيخ كبير وطفل صغير ومقعد وضرير ومريض لا يفارق السرير تظنه بعظهره ومنظره من الأغنياء المياسير ويده فارغة وبطنه جائعة وليس فى صندوقه غير ما يجمع من كراء البيت الذى لو تأخر عن دفعه شهراً واحداً لكانت الفرصة السانحة لإخراجه من بيته وحمله لفراسه وأثاثه عى ظهره . وهؤلاء هم الذين تكون عليهم الصدقة وتمد اليهم يد المساعدة ، وقد جعل الله لهم فى أموال الأغنياء ما يكفيهم وما شرع الله العبادة بالمال والتقرب اليه بالزكاة والكفارة والفدية والعقيقة والأضحية والصدقة والهدية إلا رفقاً بهم وسداً لخلتهم .

وليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان وإذا أعطي أخذ وانصرف وإن منع شتم ووقف وقال : أنا مريض وتعبان ونكدان ومستحق وأنت غني ومستريح ومبسوط ولا يحل لك أن تأكل وأنا حاضر أو تعد النقود وأنا ناظر حتى تعطيني مما أعطاك الله وإلا فلا ربحت تجارتك ولا دامت نعمتك ولا بارك الله لك وكذلك يقول المتسول الذي لو صفع لكان خيراً له من الصدقة عليه . وإنما المسكين من إذا أخذ نكس رأسه وصرف وجهه تذرف عيناه بالدموع حياء وشرفاً وعفة ، وإذا نسي وترك ولم يتفطن له صبر وشكر وذكر الفرج بعد الشدة فانتظر ، وقال ما قال الأول :

وكم ملك جانبته عن كراهة   لإغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولي فى غنى نفسى مراد ومذهب   إذا انصرفت عني وجوه المذاهب

وفى الحديث الشريف (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) . ومن سأل تكثراً فإنما يسأل جمراً من نار جهنم فليستكثر منه أو ليستقل وما تزال مسألة الانسان به حتى يأتي يوم القيامة وما فى وجهه مزعة لحم . فيا أيها الفقراء اعتمدوا على الله وحده واخرجوا الى ميادين العمل ومعترك الحياة واعلموا أن من أعطاكم اليوم شيئاً لا يعطيكموه غداً ، وقديماً قيل :

لا تسألن بني آدم حاجة   وسل الذى أبوابه لا تحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

ويا طلبة العلم وفقهاء الدين كونوا باذلين ومتصدقين ولا تكونوا آخذين ومنتظرين ودعونا من التوكل الكاذب وكلام المغالطة ، فإن الله قد ربط الأسباب بمسبباتها وألهم الذرة والنملة أن تجمع رزقها وأخرج الطير من أوكارها لتحصيل عيشها وهي أصغر منكم بطوناً وأقصر منكم أعماراً ولا تحتاج الى مثل ما تحتاجون اليه ، واعملوا بقول الله جل ذكره (هو الذى

جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) .

الحديث الحادى والستون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن رجلين من عظماء أصحابه يقرآن كتاب الله ويعلمان من السنة المطهرة شيئاً كثيراً وهما أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وجعل كلاً منهما على ناحية من البلاد اليمنية ، وقال لهما : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ، وذلك أنه بعث صلى الله عليه وسلم ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ويحط عنهم التكاليف الشاقة وما ألزمهم به الأحبار والرهبان من أمور ما أنزل الله بها من سلطان . وفى كل دين مشقة وعسر يعجز عن تحملها والصبر عليها كثير من أتباعه والمتدينين به . فجاءت الشريعة الاسلامية بنسخ تلك الأحكام ورفع الحرج عن الناس فرخصة بعد عزيمة ولين بعد شدة وتيسير بعد تعسير وتبشير بعد تنفير وجعلت السيئة بواحدة أو يغفرها الله لمن شاء والحسنة بعشرة أمثالها الى أضعاف كثيرة . واتجه المسلمون الى الله وحده فى كل حال وعلموا أن شيئاً من دونه لا ينفع ولا يضر ولا يخذل ولا ينصر إلا بإذنه تعالى . فنبذوا الأصنام والأوثان والأضداد والأنداد كلها ودخلوا فى دين الله أفواجاً واتبعوا نبياً يوحي اليه ربه بقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . ورأى المشركون الخير فى عبادة إله غني عما سواه لا تنفعه الطاعة

ولا تضره المعصية وليس له من دون حاجة خلقه حاجب ولا بوّاب ولا يأخذ منهم شيئاً لنفسه ولا يفرض عليهم شيئاً لسدنته وأعوانه ولا يكلفهم من الأمر إلا ما يطيقون ولهم فيه مصلحة عاجلة أو آجلة ولا ينهاهم إلا عن الخبائث وما يضرهم فى أبدانهم وعقولهم وكرامتهم ودينهم وجعل للمريض والمسافر أحكاماً تخصهما فأسقط عنهما الجمعة والجماعة وأباح لهما التيمم والفطر فى رمضان وقضاء الصيام بعد الصحة والإقامة وأذن للمسافر أيضاً فى قصر الصلاة وجمعها وللمريض أن يصلي قاعداً فإن عجز فمضطجعاً وإن عجز فمستلقياً . ولا زكاة ولا حج ولا جهاد الا على القادر المستطيع . والحدود تدرأ بالشبهات . ولا قصاص إلا على المتعمد فى الجنايات . والمرأة والعبد والصبي ومن به خلل فى عقله مباينون لغيرهم فى الأحكام والتكاليف . والقلم مرفوع عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ ومن تنجس بدنه أو ثوبه غسله بالماء والاصل فى الأشياء الحل والطهارة ولا أثر للشك مع اليقين ولا ضرر ولا ضرار والمشقة تجلب التيسير (ومن اضطر فى مخمصة غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ان الله غفور رحيم) وبما ذكر كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه ويرشدهم اليه وبه يرغب فى الاسلام ويقول ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته : رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين وإحسان الى المملوك . وبال اعرابى فى المسجد فقام الناس اليه ليقعوا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه واريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين . وانما وقع الاختيار على معاذ بن جبل وأبى موسى رضى الله عنهما وانتدبا لهذه المهمة لما عرفا به من فقه فى الدين ودماثة اخلاق وحسن سمت واقتداء بالمرشد العظيم صلى الله عليه وسلم وفى اليمن إذ ذاك بقية من علم واحبار من اليهود والنصارى ورؤساء من المجوسيين والوثنيين ولكل اتباع وشيع وانصار فلا بد من حكمة فى الدعوة وبلاغة فى الحجة واخلاص فى النصيحة واحسان فى الموعظة ليعلم الرؤساء أنهم مهزومون ومغلوبون على

أمرهم وليسمع الاتباع والمرؤوسون كلاماً فصيحاً وحكمة تأخذ بمجامع القلوب فيخلصوا من عبادة الخلق وعبث القديسين وطمع القائلين ليس علينا فى الأميين سبيل . وقد فعل الرسولان الكريمان ما أمرا به وأديا مهمتهما خير أداء ونفع الله بهما . وحق على المسلمين أن يستعملوا الرفق واللين والتيسير فى الأمر كله بلا مداهنة ولا مجاملة ولا هوادة فى الحق . وعلى الولاة والأمراء والآباء والأمهات والأزواج والملاك والأساتذة ورؤساء العمال أن يرفقوا بمن تحتهم وبما فى أيديهم ولا يأخذون إلا بحق ولا يدفعون إلا بالحسنى وإذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع ولا تشدد ولا تنفر ولا تهدد ولا تتوعد ولا تصعر خدك للناس ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . واغفر من الإساءة ما لا يضر بالدين والمجتمع ، واقبل الإعتذار وغض النظر واحمل الناس على السلامة ، واجعل نصب عينيك قول الله تعالى لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا . والواعظ المرشد لا يحمده الله والناس إلا إذا عرف البشارة والنذارة وأحكم الترغيب والترهيب وأحسن ظن مستمعيه بالله وخوفهم من معصيته ومخالفة أمره . أما الذين يرتقون المنابر ويتبوأون صدور المجالس ثم لا يقولون إلا بشدة ولا يعظون إلا بعنف ويقبحون ويلعنون ، فخير لهم أن يسكتوا وأن لا يكونوا لابليس أعواناً على الفتنة وإساءة الظن بالله وتبرم ضعفاء الايمان بالدين وتنفيرهم عن المساجد ومجالس العلم ، وقد أمر الله موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى . وما أشد حاجتنا الى العلماء بالدين الصحيح الذين لا يحرمون إلا ما حرمه الله ولا يحلون إلا ما أحله الله ، يغشون بالخير الناس فى مجالسهم ويخالطون الأمة فى المساجد والأندية والمدارس والمعاهد وسائر المجتمعات ولا يشددون عليهم فى مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وعاداتهم إلا بما تظهر فائدته وتحمد عاقبته ولا يجعلون الكفر وترك الاسلام فى الأكل بالشوكة والملعقة وعلى المنضدة ولبس السراويل القصيرة والسترة والبنطلون

والتالو وحلق اللحية وما الى ذلك من أمور لا طاعة ولا معصية فيها وإنما هي من العادات والتقاليد القومية التي يحسن الإحتفاظ بها ويعتز بها ذووها . ولا تحل رواية الأحاديث المكذوبة والأساطير المكتوبة فى التخويف واليأس من رحمة الله وهي كثيرة عند الأدعياء وعليها إعتمادهم فى خطبهم ودروسهم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن كذباً علي ليس ككذب على أحد من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) . وفى المتعبدين من يكلف نفسه المشقة ويحرم عليها الطيبات وقد علم أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . وفى الحديث (عليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) . وأراد بعض الصحابة أن يختصي وينقطع للعبادة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : لا رهبانية فى الاسلام . وقال : النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني ، وقال أيضاً : إن لربك عليك حقاً وأن لنفسك عليك حقاً وأن لأهلك عليك حقاً فأد الى كل ذي حق حقه ، أو كما قال : (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

الحديث الثانى والستون

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال :

{قال رجل : أي الناس أفضل يا رسول الله ، قال : مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، قال ثم من ، قال رجل معتزل

في شعب من الشعاب يعبد ربه وفي زاوية يتقي الله ويدع الناس من شره﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

أحب شيء الى الله عز وجل بعد الايمان الصلاة لأول وقتها ثم الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال والعلم والرأي والجهاد آلته السيف والقلم واللسان وبه يعز الله دينه وينصر أولياءه والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ويقطع به دابر الكافرين والذين يسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين . وجزاء أهله فى الدنيا الكرامة والغنيمة وحماية الدين والنفس والأهل والمال والعرض والوطن واللغة والقومية . وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وجزاؤهم فى الآخرة رضاء الله والجنة التى جعلها ثمناً لأنفس المجاهدين وأموالهم . فقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك الفوز العظيم) وحيث كانت الجنة تحت ظلال السيوف فيما مضى ، فهي اليوم تحت شظايا القنابل وعجلات الدبابات وأفواه المدافع وأنقاض البيوت والعمران المهدمة بأيدي العتاة الظالمين وأعداء الفضيلة والانسانية والأديان والقوانين

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وما كان آباؤنا الذين ثلت بهم العروش وحلت بهم التيجان إلا رجالاً استعذبوا الموت فى سبيل الشرف واستحلوا مرارة القتل فى نصرة الدين الذى يجعل الناس كلهم عبيداً لخالقهم جميعاً من التراب ورازقهم من طيبات ما تخرج الأرض وخلق لهم ما فيها جميعاً . ولا حول ولا قوة للناس يرهبها الأعداء ويخافها البغاة والظلمة إلا بالسلاح الذى يتناسب مع كل جيل وما يستعد به من مدفع وبندقية وآلة نسف ونقل فى البر والبحر والجو من سيارة وطيارة وغواصة وقوة يأمر القرآن باتخاذها وإرصادها لمن حارب الله ورسوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو

الله وعدوكم) . وتلك المعدات وإن عظمت وكبر شأنها فلا بد لها من سواعد تحملها تارة وتدفعها أخرى ، وأدمغة تخترعها وقلوب لا ترهبها ونفوس ترى الموت وشرف الحرية خيراً من الحياة فى ذل العبودية . فعلى المسلمين متى أرادوا حياة سعيدة وديناً صادقاً صحيحاً تربية الجنود والأبطال وتكوين فرق الشجعان البواسل بتغذية الروح العسكرية وتحبيب دين الجيوش وأوطانهم اليهم بمختلف وسائل العلم والمال فتبنى المدارس ويؤتى لها بالأساتذة الخبراء ويساق اليها التلاميذ من طبقات الأمة كافة . وأملنا فى الله عظيم أن يكون للعرب جيش عرمرم تحت إشراف جامعتهم الدولية يذودون به عن الاسلام ويحمون به حقوقهم وترهبه الأعداء إذا كان جيشاً مدرباً تدريباً عسكرياً عصرياً مزوداً بأحدث السلاح وأقوى وسائل الدفاع وحي الله يوماً نسمع فيه أن للأمة العربية مليون جندى أو أكثر من الشام واليمن ومصر والعراق وما بين ذلك . ولن تتحقق هذه الأمنية إلا إذا ظهرت فى الشاب المسلم نجابته وقويت إرادته فبولغ فى تعليمه وتقديمه وإشعاره بسعادة مستقبله وأنه محط آمال أمته وبلاده ، وقيل له ولأمثاله :

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا   وذودوا عن تراث المسلمينا
فمن يعنوا لغير الله فينا   ونحن بنو الغزاة الفاتحينا
ملكنا الأمر فوق الأرض دهرا   وخلدنا على الأيام ذكرا
أتى عمر فأنسى عدل كسرى   كذلك كان عهد الراشدينا

وعلى ذوي الأموال أن ينفقوا فى سبيل الله ولا يلقوا بأيديهم الى التهلكة التى سببها الجبن والبخل وتحكم الأعداء فيما لديهم إذا تركوا الجهاد وأخلدوا الى الراحة . وكيف يسعد الشعب ويحيا ويقوى الملك وينتشر العلم وتحفظ الصحة ويعم العمران إذا بخل الأغنياء بأموالهم وتركوا واجبات الدين والوطن وخالفوا قوله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره

والله لا يهدى القوم الفاسقين) . والحسنة بعشرة أمثالها إلا صدقة المال فى سبيل الله فإنها بسبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة . ومن عجز عن الجهاد بنفسه قدر عليه بما تيسر من ماله (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) . فجاهدوا يا ذوى الأموال فى سبيل الله ببناء المساجد والمدارس والمستشفيات وكفالة الأيتام وتشغيل العاطلين وإرسال أولادكم الى معاهد العلم ومراكز الثقافة وزينوهم بالأخلاق الفاضلة وشبعوهم بروح العروبة والاسلام لتسعدوا بلادكم وليكن لكم من أولادكم خلف صالح من بعدكم يسد فراغكم ويحفظ لكم الذكر الجميل وبهم تتركون لكم لسان صدق فى الآخرين . ويستجيب لكم الله فيهم إذا قلتم ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، ويجمعكم بهم فى مستقر الرحمة كما يقول تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين) .

أما أنتم يارجال الدين وورثة النبيين فعليكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيادة الأمة بأقوالكم الصادقة وأفعالكم الصالحة الى ما فيه سعادة العاجل والآجل وان تقولوا الحق لا تأخذكم فى الله لومة لائم ولا تخشون إلا الله وحده وترغبون فى الخير بما أوتيتم من الحكمة وفصل الخطاب وتجمعون الناس إذا تفرقوا باصلاح ذات البين وتفهيم كل بما عليه وأنتم الذين تقوم على كواهلهم المملكة وتستقيم بكم الأمور ومنكم السياسيون والخطباء والشعراء والصحفيون بل أنتم الملوك والوزراء وجهادكم فى الله بألسنتكم وأقلامكم يساوى الجهاد بالنفس والنفيس والمال إن لم يكن خيراً منه وأفضل وما كثر العلم فى أمة إلا وسادت وشادت وقادت وقدرت اذا أرادت ، وما ظهر الجهل فى أمة إلا وذهب مجدها وتفرق أمرها (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) . أيها العلماء ! لا تقصروا فى واجبكم وتقولوا لقد فسد الزمن وذهب الخير من الناس فلا

مجيب اذا دعي ولا أحد من الناس عن شره يرعوي ، فالله تعالى قد فرض عليكم التذكير والوعظ والإرشاد ولم يوجب عليكم هداية النــاس وأن يقبلوا كل ما قيل لهم فإنما يتذكر أولو الألباب ، وإنما يتجنب العلم والتذكير بالله الأشقى الذي يصلى النار الكبرى . وليس الجهاد ما يقوم به بعضكم فى المساجد أو يلقيه على العامــة وإنما هو ذلك والأخذ على يد الظالم ونصرة المظلوم وإيقاف كل أثيم عند حده بما تستطيعون . وأفضل الجهاد كلمة حق عند ذى سلطان جائر . ومجاملة العلماء للخاصة وسكوتهم على المنكر الذى يرتكبه الصاحب والصديق والموالي هو الأمر الذى لعنت عليه بنو اسرائيل فانهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ولن يظهر نفعكم ويبين أثركم فى الحياة الاجتماعية إلا اذا تكاتفتم على الحق وتعاونتم عليه ونصر بعضكم بعضا وإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله ورسوله (ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب) . واذا أعرض الناس عن الدين وأقبلوا على الدنيا وأصبح الوعظ فيهم لا يفيد وضعف ايمانهم حتى يقولوا لواعظهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فما على المؤمن المتمسك بدينه والثابت فى مبدئه وعقيدته الا تجنبهم والابتعاد عنهم واتقاء فتنتهم فى الدين وضلالهم عن سنة سيد المرسلين . فإذا عطلت الأحكام واستبيح الحرام وحل الكفر محل الاسلام وعجز الحق عن مقاومة الباطل فعليه العمل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) .

وفى آخر الزمان يرفع العلم ويظهر الجهل ويتخذ الناس رؤساء جهلاً يفتون بغير علم وتترك الصلاة وتمنع الزكاة وتذهب الأمانة ويشرب الخمر وتعم الفاحشة ويلعن آخر الأمة أولها ويخرجون من الدين كما يخرج الشعر من العجين واذ ذاك يمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويكون القابض على دينه كالقابض على الجمر يسب ويشتم ويعير بالجمود والرجعية وتصهره الفتنة كما تصهر النار الذهب وذلك ليميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض ثم يركمه فى نار جهنم . ومن أدرك ذلك

الزمان وعجز عن الجهاد فى سبيل الله باليد واللسان فليعتزل الناس وليعبد الله صابراً على ما يلقاه من المحنة ولو أن يفر بدينه الى شعف الجبال أو يختبئ في زاوية من زوايا الأرض . ولن تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله . هذا وان كثيراً من الناس اليوم لمعرضون عن الأديان وتعاليمها ومتبرمون بأحكامها وتكاليفها يرونها انها غير صالحة للزمان وانها مانعة لأهلها من الرقي والتقدم والأخذ بأسباب المدنية الحاضرة ، فالمرأة متمردة على الأوضاع والتقاليد فسافرة بعد الحجاب وداعرة بعد العفة ، والرجل فاجر وديوث ومادي لا يؤمن بالغيب ولا يصدق الا بالمحسوس والعهود غير محترمة والحقوق غير محفوظة والمعصوم من عصمه الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . وسئل أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن قول الله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال لسائله أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله) والله تعالى يقول (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) .

الحديث الثالث والستون

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال :

{اني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله . ولقد كنا نغزو مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر حتى ان كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

الحبلة والسمر نوعان من شجر البادية . وراوى الحديث سعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه هو خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الأربعين السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن الستة المستشارين فى أمر الخلافة بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وهو القائد المحنك والشاجع المقدام فاتح بلاد فارس ومخطط الكوفة وأول مسلم اهرق دم المشركين وأول عربى رمى بسهمه فى سبيل الله . وكان قوياً جلداً شديد الساعد حاد البصر ضرب يوم أحد بنحو الف سهم وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم سعد فداك أبى وأمي وكان يقول اذا رمى اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدد رميته وأجب دعوته وكان بعد ذلك لا يسأل ربه شيئاً الا اعطاه اياه . وهو بهذا الحديث يذكر لنا ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من خشونة العيش وضيق الحال وقلة ذات اليد حتى أنهم يأكلون ورق الشجر ما لهم قوت غيره وهم يقاتلون فى سبيل الله وتجد الاعداء منهم القوة والشدة عند النضال ويذوق منهم الموت الزؤام اذا برزوا للقتال . وما نصر الله بهم الدين وأظهر بهم الحق على الباطل الا وهم فقراء بؤساء الا من الايمان وثبات الجنان ، قد سئموا الحياة على شظف العيس وصدقوا الله فى وعده المؤمنين بالجنة إذا قاتلوا فى سبيله وآمنوا برسوله فاشتاقوا الى الجنة وما فيها من النعيم المقيم وكانوا يحبون لقاء الله وغيرهم يحرص على الحياة ويود لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون . وفى بعض غزواتهم مكثوا خمسة عشر يوماً يأكلون من سمكة ألقى بها البحر اليهم ، وقد نفذت أزوادهم وأكلوا الجراد أسبوعاً كاملاً ليس لهم قوت غيره وهم

يقاتلون عدوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن قويت ارادته وصح ايمانه بمبدئه وعقيدته استسهل الصعاب وأدرك الأمانى ولم تكن له همة بعد ذلك الا فى الدفاع عن دينه ومبدئه ومن عظمت عنايته ببطنه وظهره وفرجه لم يفعل الخير الا قليلا . وما تأسس الملك وقامت العمران وحفظت الشرائع والأديان إلا بقوم طعامهم الكسر اليابسة وإدامهم القديد واللبن وربما كان قوتهم الأسودين التمر والماء . وما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من التمر وأهل المدينة كلهم يأكلونه الا بعد أن فتح الله خيبر . وقوم موسى وأنصار عيسى وأصحاب محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين كانوا يجاهدون فى الله ويدعون اليه والجاهل يحسبهم أغنياء من التعفف والجوع يمزق أحشاءهم وحرارة الصيف وبرد الشتاء تلفح أجسامهم وانهم ليضعون كما تضع الغنم بعراً يابساً وإنما الخرج بمقدار الدخل ومع هذا والسيوف تقطع والرماح تكسر فى أيديهم مثبتة فى رقاب أعدائهم وعلى صدورهم لا ضعف ولا خور ولا جبن ولا عجز ولا كسل ولكنها قوة الايمان وصدق العزيمة يخلقان من الضعيف قوياً ويجعلان من اتصف بهما أقوى من الحديد وأشد من كل شديد .

ورحم الله القائل فى الصحابة رضى الله عنهم :

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت ... من العدى كل مسود من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت ... أقلامهم حرف جسم غير منعجم

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم ... والورد يمتاز بالسيما من السلم

تهدي اليك رياح النصر نشرهم ... فتحسب الزهر فى الأكمام كل كمى

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا ... من شدة الحزم لا من شده الحزم

طارت قلوب العدى من بأسهم فرقاً ... فما تفرق بين البهم والبهم

ومع الفقر والجوع فهم صابرون لا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ولا يطمعون فى شىء منها الا العمل الصالح والكفاف من العيش . وما أعظم الأجر من ترك ما عنده لما عند الله وآثر الآخرة على الدنيا فحياته طيبة ونفسه رضية وأعماله صالحة وآماله فى الله عظيمة . (من عمل صالحاً من ذكر

أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يرى الناس فى نعمة ورغد وقـد اذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا واستمتعوا بها وهو يعانى من الحاجة والمسكنة ويكابد من قلة المال وكثرة العيال عناء شديداً ومشقة لا يحملهـا الا من آمن بالله ورسله وصدق بقوله تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) فيصبر ويرضى وينتظر الفرج بالخروج من الدنيا وأولئك المهاجرون الى الله ورسوله والمخرجون من ديارهم وأموالهم هم الذين يقولون ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الـكافرين والله تعالى يقول لهم (لـكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بـأموالهم وأنفسهم وأولئـك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيهـا ذلك الفوز العظيم) أما الذين امتلأت بطونهم وسمنت أبدانهم وأثقلهم ذلك عن طاعـة الله والجهـاد فى سبيله فهم الخلف الخبيث للسلف الطيب ما لبثوا بعد العصر الأول الا قليلاً حتى بسطت لهم الدنيا فتنافسوها وأهلكتهم كما أهلـكت الذين من قبلهم . وغالبـاً يكون الفساد مقروناً بالفراغ والـثروات العظيمة والغفلة عن الله والإعراض عما جاءت به رسله ونزلت به كتبه . وان عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ليقدم اليه طعامه الطيب فيذكر ما كان عليـه اخوانه الصحابة الذين مضوا الى الله ولم يأخذوا من أجرهم فى هذه الدنيا شيئاً كمصعب بن عمير المقتول شهيداً يوم أحد فيبكي ويخر مغشياً عليه ولا يذوق فطوره الذى قدم اليه مخافة أن يكون ذلك من الطيبات المعجلة لأهلها فى الحياة الدنيا . ولما خلف من بعد أولئك الصالحين خلف أضـاعوا الصلاة لاستغراقهم فى الخمر والميسر واللهو واللعب وعمل الشيطان واتبعوا الشهوات التى زينت بها النـار فسدت أخلاقهم وساءت أحوالهم وأحاط بهم الأعـداء من كل جانب ونفذ فيهم قول الله جل ذكره

(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) . وما بلغ المسلمون من المجد غايته ومن الشرف نهايته الا حين كانوا يريدون الله والدار الآخرة ويتخذون ما جاءهم من الرزق وما فتح الله به عليهم من المال وسيلة الى الجنة ومرضاة الله لا يريدون شيئاً غير شرف الدنيا وأجر الآخرة يجوعون فيذكرون ما كانوا عليه من البؤس والفقر قبل الاسلام ويشبعون فيقولون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ولا يستأثر أولو الطول منهم بنعمة الله عليهم ولا يرون لأنفسهم حقاً يختصون به من الفيء والغنيمة والزكاة والخراج دون غيرهم من المؤمنين . ولما صارت الخلافة ملكاً والزكاة مغرماً والأمانة مغنماً والفيء دولاً وضيعوا الحقوق وأفرطوا فى العقوق وتعاطوا المسكرات ولبسوا الذهب والحرير واتخذوا المعازف والقينات حل بهم البلاء وانتشرت فيهم الفوضاء وأصبح العظماء يخافون على حياتهم ومناصبهم والضعفاء يخافون على أعراضهم وأموالهم بل وعلى دمائهم وما ظلمهم الله جميعاً ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يتأمرون بمعروف أهملوه قد ألفوا الترف وأخلدوا الى الراحة فضلوا وذلوا وأصابتهم الفتنة التى بها عموا وصموا قوتهم لا يفتك إلا بهم وشجاعهم لا يقتل الا فيهم يقتلون أنفسهم ويخرجون فريقاً منهم من ديارهم يظاهرون على إخراجهم بالإثم والعدوان يبيعون أوطانهم ويوالون أعداءهم ويناوئ بعضهم بعضاً لا لشيء سوى المال والأنانية وحب الجاه والرئاسة (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) .

الحديث الرابع والستون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا

ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

ليس فى عذاب الله أشد مما فى هذا الحديث المتوعد أهله بالعذاب الأليم وعدم التزكية وان الله عز وجل لا ينظر اليهم بعين رحمته ولا يكلمهم يوم القيامة إلا بمثل قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) . وهؤلاء المذكورون فى الحديث هم البخيل والغشاش والغادر . فأما البخيل فبعيد عن الله والجنة وقريب من النار ، (والله لا يحب كل مختال فخور ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) وهو دركات من الشر بعضها أسفل من بعض وأصله شجرة فى سواء الجحيم ومن تعلق بغصن منها تدلى به الى حيثما يستحق من العذاب . وأخبث الناس نفساً وألأمهم طبعاً وأشدهم بخلاً الذي يكون معه الماء الكثير الزائد عن حاجته وهو بأرض فلاة لا يوجد الماء فيها إلا عنده فيمنعه من ابن السبيل . وقد يكون له العذر إن كان ماؤه منقولاً لخشية نفاذه ولما يكلفه النقل من المؤنة والأتعاب على أنه لو كان معه العطشان الخائف على نفسه من الهلكة وجب عليه أن يسقيه فإن امتنع غصب منه الماء وقوتل للاحتياج اليه فى الحال . وقد ثبت ان الصحابة رضى الله عنهم شربوا من مزادتى امرأة مشركة فى بعض غزواتهم والماء لا يوجد الا معها ودفعوا اليها الثمن وأكرموها بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهو معهم فى تلك الغزوة . ولكن الذى تكون له البئر أو العين لا عذر له عند الله والناس فى منعه عن الماء من يحتاج اليه من إنسان أو حيوان

محترم . وقد روى احمد وأبو داؤود عن النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى المـاء والـكلأ والنـار . وقال الفقهاء لا يجب على صاحب البئر أن يبذل الماء لمزارع غيره وليس عليه أن يأذن بوصول الدواب الى محل المـاء الا إن تعذر نقله اليهـا ولم يتضرر بدخولهـا فى ملـكه ولا بوقوفها عند منابع الماء . ومن وقف بئراً أو نحوها على المسلمين فهو كأحدهم فى الانتفاع بها . ومحل ما ذكر فى الماء الفاضل وما جاء فى وعيد مانعه فهو حيث لا يتضرر المالك ببذله ولا يفوته بذلك غرض مقصود . أما العيون والأنهار والآبار الارتوازية التى تمد المـاء بالأنابيب الى حيث يشاء الناس فى المزارع والمنازل وغيرها فلا بأس بأخذ شيء فى مقابل ذلك وإنما هو أجرة للنقل ، ومنعه عن الناس فى الحواضر والمدن ليس كمنعه من ابن السبيل .

وعلى الدولة ايجاد الماء لرعيتها بأية وسيلة ممكنة وأن تساعدهم فى عمارة الأرض بالحرث والنسل اللذين هما قوام الحياة وعماد البقاء ولن يكون ذلك بشيء كبناء السدود واصلاح المجاري وحفر الآبار والأنهار لإيجاد الماء الذى جعل الله به حياة كل شيء .

وعند كتابة هـذا الحديث والمباحثة جارية بين سلطة الضواحى فى عدن ونظار المساجد بشأن البرك والآبار التى يجب صحياً دفنها وإزالتها وتعويض المصلين عنها بماء طهور نظيف يتوضؤن ويغتسلون به من الحنفيات المزمع على ايجادها والعناية بهـا فى جميع المساجد والمعابد الأخرى وسيكون بثمن قليل جداً . ورجاؤنا عظيم فى جعله مجانـاً أو بنصف ما تطلبه البلدية الآن من المساجد التى يعجز نظارها والقائمون عليها عن ايصال الماء وادخاله اليها لقلة الأوقاف عليها وكثرة ما تحتاج اليه من الاصلاح . والدين لا يعارض فى شيء يعود بالمصلحة على المجتمع ولا يمنع من الفائدة عاجلة كانت أو آجلة صحية أو اقتصادية أو أخروية بحتة . ولا شك فى ضرورة اصلاح المطاهر التى يؤمها السقيم والسليم ، وانه لا يجوز شرعاً ولا طباً العمل الممقوت من جهلة المتوضئين الذين يبصقون ويتمخطون فى حياض الماء المسبل ويغسلون

فيه أطرافهم وعليها الوظر والغبار ، وربما أدخل أحدهم رجله فى الماء وعليها نجاسة عينية أو بها جراح دامية . وقد صرح ابن قاسم العبادى من الشافعية (بأنه يحرم وضع اليد المتنجسة بعينية فى البركة الموقوفة أو المسبلة ان تقذر منها المـاء لإمكان طهرها خارجها ، ومثله البصاق والمخاط . ذكره السيد المشهور فى بغية المسترشدين) . وقال العلقمي (لا يحرم الإسراف فى المـاء الا اذا كان من نحو حنفية ، أما الفساق وهي البرك فلا يحرم لعود الماء اليها) ورده الشيخ البجيرمى بأنه غير مأذون فيه . وقال أبو رجاء (ليس للمتوضى رد ماء المضمضة الى الفساق لأنه مستقذر) . وإنما ذكرت هـذا ليقتنع به الذين لا يصدقون إلا ما قاله الفقهاء بالعبارة الصريحة .

والذى لا تروج سلعته ولا تنفق بضاعته إلا بأيمانه الـكاذبة وحلفـه على كل شيء فهو الغشاش الذى نفى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان وقال فيه من غشنا فليس منا والمـكر والخداع فى النـار والمراد صاحبه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . ومر أبو هريرة رضى الله عنه بناحية الحرة فإذا انسان يحمل لبناً يبيعه فنظر اليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رجلاً ممن كان قبلـكم حمل خمراً ثم جعل فى كل زق نصفاً ماء ثم باعه فلما جمع الثمن جاء ثعلب فأخذ الـكيس وصعد الدقل فجعل يأخذ ديناراً فيرمي به فى السفينة ويأخذ ديناراً فيرمي به فى المـاء حتى فرغ ما فى الـكيس) . وإذا كان هذا فى من يخلط شيئاً بشيء ويميزه الحذاق بالتجارة العارفون باحوال المبيع فمـا بالك بالذى يبيع شيئاً كله ردىء أو طيب ولـكن بـأكثر من ثمنـه ويغبن المشتري فيه غبناً فاحشاً أو يقول عنيـه والله لقد أعطيت كذا وكـذا أو شتريته بأكثر من هذا الثمن وهوكاذب فى قوله وحانث فى يمينه باع آخرته بدنياه واشترى بعهد الله وآياته ثمناً قليلا وذلك لا خـلاق له فى الآخرة ولا أمانة له فى الدنيا . وأين السماسرة وهم الدلالون من هذا الحديث لا يمشون

إلا بأيمانهم ولا يحصلون على شيء بدون غش ولا خـــداع يصبحون فى الاسواق وبيوت التجـارة قائلين كل منكر وزور ومستخفين بأيمان الفجور ويمسون يدبرون الحيل ويكيدون للتجـار فى البيع والشراء وإذا تمت الصفقة واستفادوا من الجهتين فلا عليهم ولا يهمهم ربح هذا ولا خسران ذاك .
واليمين الغموس لا تحل بعد العصر ولا قبل الزوال وانما يتضاعف العذاب عليهـا بعد العصر لأنه الوقت الذى تجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار أو لأنه الوقت الذى ينقلب فيه الناس الى منازلهم ويروحون فيه من أعمالهم فقد يكون البـائع منفقاً لسلعته التى يخاف تلافها أو تغيرها إذا باتت عنـده بأيمانه الـكاذبة وزعمه انه قد اشتراها بكذا أو طلبت منه بكذا فيصدقه المشتري ويأخذها معيبة أو بأكثر مما تستحق مخدوعاً بما قيل له ومصدقاً لبائعها الغشاش فى يمينه والمؤمن إذا قال صدق وإذا قيل له صدق . أما الغادر الذى ينصب الله له لواء يعرف به يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان فهو الخبيث الذى لا يؤمن والحالف الذى لا يصدق والسبع الصائل والثعبان القاتل كلامـه حسن ومنظره طيب وملمسه لين وعشرته مألوفة ولـكن قلبه خبيث وباطنه قبيح وحقيقته شرير وصحبته لا تدوم يسيء الى من أحسن اليه ولا يعرف لأحد فضلاً عليـــه يجاملك ما دامت له بك حاجة يصانعك ويخادعك ويواصلك ثم يقاطعك ، تظن أخلاقه أرق من النسيم وتحسب ألفاظه أعذب من التسنيم وانما تلطف لك وقال ما يسرك واستمع لحديثك من أجـل أن تثق به وتركن اليه فيفترسك افتراس الأسـد ولا يرقب فيك إلاً ولا ذمة ولا يرعى لك صحبة ولا يشكرك على أي جميل . وفى الحـديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامـة : رجل أعطى بى ثم غـدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجـل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) . واذا تأملت هـذا رأيت الثلاثة كلهم غادرين ، فالأول يغدر بعميله ، والثانى يغدر بصديقـه الذى ركن اليه أو صاحبه فى سفر حتى اذا تمكن منه استعبده بعد الحرية وباعه رقيقاً فأكل

ثمنه ، والثالث يغدر بأجيره الذى قضى له حاجته وخدمه فى بيتـه وساعده على أعماله فيـأ كل أجره ويظلمه حقه ويطرده حين يستغنى عنه وربما اتهمه بالسرقة ونسبـه الى التقصير والتفريط وشوه سمعته وقضى عليه بمـا يشيع عنه وما يذكر من كسله وخيانته . واساءة الأجير والمستأجر عنـدنا كثيرة فلا وفاء ولا اخلاص ولا رحمة ولا تسامح ، ومن زرع الحيلة حصد الفقر ومن غرس القتاد استثمر الشوك وان ربك لبالمرصاد .

ولا غـدر أضر من الطاعة للملك أو أمير اذا أعطى الغـادر شكره واثنى عليه وذكره بكل خير واذا منعه سبه وشتمه ونسب اليه الظلم والجور ولو كان ثالث العمرين ، وألحق به العيب والنقص ولو كان ثالث القمرين ، اذا أدرك غايتـه وبلغ حاجته فالدنيا كلها بخير والناس بعافيـة أجمعون ، وان طلب منه حق واجب أو منع من باطل ولم يساعـده أحد على ما يريد تأفف وتضجر وتظلم وتألم وقال حكومة جائرة واحكام قاسية وظلم لا يطاق وعسف لا يحتمل فان كان قوياً شهر السلاح وان كان ضعيفاً بكى وصاح وصدق فيه قول الشاعر :

اذا لم يكن للمرء من دولة امرئ   نصيب ولا حظ تمنى زوالهـا

وما ذاك من بغض لها غير أنه   يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

ولا ينطبق قول النبي صلى الله عليـه وسلم فيمن بايع اماماً ان أعطاه وفى له وان لم يعطه لم يف له على احد كالشعراء واصحاب الجرائد الذين اتخذ الشيطان من ألسنتهم واقلامهم مقاريض حادة وسيوفاً قادة ومعاول هادة لاعراض البرية وعروش الملوك وجماجم الشجعان يجعلون من الحقير عظيماً ومن البخيل كريماً ومن الجبار حليماً إذا رضيت عنه قلوبهم وامتلأت من خزائنه جيوبهم وأنهم ليحتقرون الخطير ويصغرون الكبير ويهزأون بالقدير إذا لم يجدوا عنده ما يحبون ولم يدركوا منه ما يريدون وحق على الله أن لا يكلمهم يوم القيامـة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم . (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) .

الحديث الخامس والستون

عن أبى هريرة رضى الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

جاءت الروايات مختلفة بألفاظ هذا الحديث وذكر فى كتب الطب من الصحيحين وغيرهما بزيادة ونقصان . ففى البخارى بعد هذه الأربعة الاشياء (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) . وفيه أيضاً ولا نوء وفى مسلم عن جابر رضى الله عنه (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول) . فيكون ما أبطله النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقاد الجاهلية بهذا الحديث ستة أشياء : العدوى والهامة والطيرة والصفر والنوء والغول . وجميع ذلك لا يزال اعتقاده باقياً فى الناس الى اليوم نتيجة الجهل والتقليد والأوهام الباطلة ومنكره يعد عند أولئك ملحداً زنديقاً أو مبتدعاً وهابياً يشك فى الحقيقة وينكر المشاهدة . ومن الناس من يكفر بالسنة النبوية ويرد الأحاديث الصحيحة بلا بصيرة ولا تروى فيعتقد أن الخصب والجدب وتغير الطقس واضطراب الهواء من أثر الطبيعة وتقلب الدهر واختلاف الأنواء ويقول بكل وقاحة لا شىء أعجب فى الاسلام من نفى العدوى . .والواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتعد بأمته عن الاوهام والظنون والخيالات التى تعبث بعقولهم وتفسد ادمغتهم وتجعلهم يتصورون الشىء على خلاف ما هو به ويعتقدون تصرف الأرواح والجن والنجوم والأيام فى الخليقة وأنها تستطيع

شيئاً من السعد والنحس والضر والنفع بدون امر من الله وبغير اذنه فنفى أن يكون لذلك أي أثر ، واخبر أن الله عز وجل هو الذي يميت ويحيي ويطعم ويسقي ويمرض ويشفي وأن أحداً لا يصاب بداء غيره إلا ان يشاء الله وتضعف في جسمه قوة الدفاع فتعلق به الجراثيم المتطايرة من جسم المريض الأول فيصاب بالمرض نفسه وكان بعض العرب يعتقد العدوى من كل شيء وان سقيماً لا يقعد مع سليم إلا اعداه فأبطل قولهم وانتزع من قلوبهم الخوف الذي كان يمنع من معالجة المرضى ومعاشرة المحموم والأعمى وصاحب الروماتيزم والمفلوج وحذر من الاختلاط بالمجذوم والأبرص والأجرب والمسلول وكل ذي مرض مخيف ، وقال إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها . والمراد أن لا يوقع الانسان نفسه في الهلكة بالقدوم على الأرض الوبية وأن لا يسبب العدوى وانتشار الداء بالخروج من بلد أصيب أهلها بشيء من ذلك وقصر الشر على بلد وحصره فيها أحب الى الله وأنفع للناس من نقله وانتشاره ، وبعض الشر أهون من بعض . ولو كان في وقته عليه الصلاة والسلام محجر صحي لحشر اليه المصابين بالادواء المعدية . وقال الامام البيهقي رحمه الله ما نصه : (الجذام والبرص يزعم أهل الطب والتجارب انه يعدى الزوج كثيراً وهو داء مانع للجماع لا تكاد نفس أحد تطيب بمجامعة من هو به ولا نفس امرأة ان يجامعها من هو به . وأما الولد فبين أنه إذا كان من والديه أجذم أو أبرص انه قلما يسلم وإن سلم أدرك نسله . وقال وأما ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا عدوى فهو على الوجه الذي يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل الى غير الله تعالى وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الأسد . وقال لا يورد ممرض على مصح وقال في الطاعون من سمع به بأرض فلا يقدم عليه وكل ذلك بتقدير الله تعالى وتبعه على ذلك ابن الصلاح في الجمع بين الحديثين ومن بعده وطائفة

ممن قبله اه) . وما منع العلماء من المسجد من أكل البصل أو الثوم وأطالوا الكلام فى التفريع على هذه المسألة إلا لما يحصل بذلك من التأذى . قال فى مغنى المحتاج (ويؤخذ مما ذكر أنه يعذر بالبخر والصنان المستحكم بطريق الأولى قاله فى المهمات وتوقف فى الجذام والبرص والمتجه كما قال الزركشى انه يعذر بهما لأن التأذى بهما أشد منه بأكل الثوم ونحوه قال وقد نقل القاضى عياض عن العلماء ان المجذوم والابرص يمنعان من المسجد ومن صلاة الجماعة ومن اختلاطهما بالناس اه) .

أما التشاؤم والطيرة فمن عبث الشيطان بالجهلة وضعفاء الإيمان وهي مأخوذة من ذهاب الطير الى جهة اليمين فى وجه من عزم على شيء فيتبرك بذلك ويسميه تيمناً ، وان كان ذهابه الى جهة الشمال فهو التشاؤم . وتوسعوا فيه حتى جعلوه فى الخوف من الشهور والأيام والنساء والبيوت والدواب والطيور والكلمات التى لا يحبونها إذا سمعوها . وفى الحديث الشريف (من تطير فقد أشرك) وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سبعون الفاً من أمتى بغير حساب (وهم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) وذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله فقال (احسنها الفال ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك) وقال أيضاً (لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفال قالوا وما الفال قال كلمة طيبة) وعنه صلى الله عليه وسلم قال (لا ينال الدرجات العلى من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيرا) . ومن الناس من يدعى علم الغيب ويزعم أنه يعرف شيئاً عن المستقبل بالكهانة والتنجيم والرمل وطرق الحصى وهو كذاب مفترى ومدعى ما ليس له بحق ومن أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما نزل على محمد وان لم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقد جعل الله الاستقسام بالازلام من الشرك وقرنه بالانصاب فى قوله تعالى

(انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمــل الشيطان) وقال فيما حرم على عباده (وان تستقسموا بالازلام) ومن ذلك ما يكتبه العازم على سفر أو زواج مثلاً فى ثلاث أوراق ، افعل ولا تفعل ويساد ، فإن خرج الأول اقدم أو الثانى أحجم أو الثالث عاد الكرة . وكذلك ما يفعله المتفيهق فى سبحته يقبض منها جانبــاً فيقول على حبة نعم وعلى الأخرى لا ثم يأخــذ فى الأمر بما وقع على الحبة الأخيرة وانك لتجد رجالاً أغراراً يتشاءمون من كل شيء ويقولون منزل مبارك وآخر مشؤوم مسكون وانما الشؤم فى الدار ضيقها ويقولون امرأة سعيدة دخلت بالخير على زوجها وأخرى شقية منحوسة من تزوجها افتقر أو مرض أو مات . وانمــا الشؤم فى المرأة قلة دينهــا وسوء أخلاقهــا وما تملك الدار لصاحبها المــال ولا الولد ولا أن يفتقر أو يموت أولاده . وان تعجب فعجب طلبهم من الـكاهن والمنجم أن يكتب لهم الطلاسم والتمائم فيتعلقونها أو يدفنونها عند أبوابهم لصرف العين وجلب المشتري واستمالة قلب العميل . وفى النساء من تجعل لزوجها من الشعوذة وعمل الدجالين شيئاً يحبها به وهو التولة المذكورة فى قول النبي صلى الله عليــه وسلم ان الرقي والتمائم والتولة شرك . وعلى رؤوس الشوارع وعند أركان البيوت ترى زمر المغفلين مجتمعين على منجم يزوج الاعزب ويوظف العاطل ويعطى الملك والسيادة من لا يستحق الحياة فضلاً عن المناصب والرتب العالية وكلما كان اجره أكثر كان طالع المتكهن أسعد وثمة وعلى الأبواب وعند المغيبات والأرامل عجائز النحس وجنود ابليس يستخرجن للنساء ماشئن بطرق الحصى والودع على قبضة من الرمل فيطلع زوج كريم وقادم من سفر ومنحة وهدية افلانة ومستقبل سعيد وبعد سنة تحملين ولداً مباركاً وعمــا قريب تلبسين المصاغ والحلى فالله الله فى وهات اليوم ما تيسر ولا تغفلى عن سراج جــدى واكرام المشايخ . ويلحق بالـكهانة ما يفعلونه لاستخراج الـكنوز ومعرفة السرائق سواء كان ذلك بالتنويم المغنــاطيسى أو استحضار الارواح أو بأى شيء آخر . وحسب ذوى الطيرة من الشر انهم اتباع الذين قالوا لأنبيــاء

الله (إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون) . والهامة بتخفيف الميم طائر ليلي هو البومة أو غيرها كانوا إذا سمعوه تشاءموا منه واذا وقع على البيت خاف أهله وقالوا يموت أحدهم أو يخرب منزلهم ومثلها الغراب يؤذن بالبين والخراب . قال أبو الطيب المتنبي :

خير الطيور على القصور وشرها يأوى الخراب ويسكن الناؤوسا

وإنما تسكن هذه الطيور الخرائب لتعشش وتبيض فيها آمنة من الناس بالإعتزال عنهم . وقد يطير قلب الجاهل فزعاً إذا خرج من بيته فنعق الغراب فى وجهه ويقول

إذا نطق الغراب وقال خيراً فأين الخير من وجه الغراب

ومثل الطيور بعض الحيوانات والحشرات يتشاءم الناس به ويظنونه عفريتاً من الجن ظهر لهم ليخيفهم حتى يخرجوا من البيت المسكون بزعمهم ويؤلون قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الهرة إنها هي من الطوافين عليكم والطوافات بغير مراده ، ولا يعلمون ما جاء من الأمر بقتل الوزغ والحيات داخل البيوت وخارجها ، والنهي عن قتل جنان البيوت مسوخ . وقد روي (أقتلوا الحيات كلهن فمن خاف نارهن فليس مني) . وقال العباس بن عبدالمطلب : يا رسول الله إنا نريد أن نكنس زمزم وأن فيها من هذه الجنان يعني الحيات الصغار فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهن . وفسرت الهامة أيضاً بأنها دودة أو طائر يخرج من قبر المقتول فيصيح ويطلب ثأره حتى يقتل قاتله . وقيل أن عظام الميت تنبعث طيوراً وتأتى الى أهلها فتصيح بهم والعامة يسمونها الآن (نفس الميت أو المنعف بالمين أو الكاف) تطلب صدقة عليها أو تذكر أهلها بشأنها وكل ذلك باطل ولا يعتقده إلا جاهل ، والميت لا يعود الى الدنيا حتى يعود الانسان الى بطن أمه بل النفوس عند الله منعمة أو معذبة لا يعلم أمرها إلا هو كما يقول تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها

الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

والصفر داء يصيب البطن من شدة الجوع وسوء التغذية وكانوا يسمونه حية البطن ولا يبعد أن يكون دود المعدة أو الدودة الزائدة أو الخلفة أو حمى الأماصير ، وأهل الجاهلية يعتقدون أنه معدي فأبطل النبى صلى الله عليه وسلم قولهم وقال : لا صفر . وكذلك فسر الحديث بنفي التشاؤم من شهر صفر الذى كانت الحروب تثور فيه وتسفك الدماء لوقوعه بعد الأشهر الحرم الثلاثة . ويروي الذين لا يعرفون قداسة الاسلام وبعده عن الأوهام أحاديث مكذوبة فى شؤم صفر وإن الله ينزل فيه من البلاء خمسة أضعاف ما ينزل فى غيره من الشهور ويزين لهم الشيطان بأنه الشهر الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم لا يكتبه إلا بالضاد المعجمة وإذا رأى من يكره سماه صفر . وفى الأربعاء الأخير منه يخرج الناس الى شواطئ البحر والمنتزهات البعيدة فراراً من الشر الموهوم ويكتبون التماويذ فى الأواني التى يشربون بها وربما جيء بالصحن من مكان بعيد لكتابة التماويذ التى تغسل فتشرب أو تصب غسالتها فى الحياض والبرك ولا يسافرون ولا يتزوجون فى صفر بعد ما سمعوا قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر وربما تطيروا بيوم الأربعاء من كل أسبوع وآخر الشهر أكثر ويكذبون على النبي بقولهم آخر أربعاء من كل شهر يوم نحس مستمر ، وهو حديث موضوع ، ويسألون المنجم الفلكي عن الأوقات والساعات المباركة ويخافون من بعض المنازل الثمانية والعشرين ، ومن كل يوم يعد بالأصبع الوسطى إذا حسبت أيام الشهر بالأصابع وهو الثالث والثامن والثالث عشر والثامن عشر والثالث والثامن والعشرون . والخير والشر بمشيئة الله ومن يضلل الله فلا هادي له . ويحرم أن تقول مطرنا بنجم السماك أو العواء ولكن مطرنا بفضل الله ورحمته وإن كانت المواقيت معروفة لنزول المطر وهبوب الرياح فقد تتخلف المسببات عن أسبابها . وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل (أصبح من عبادي

مؤمناً بي وكافراً بالكوكب ، وكافراً بي ومؤمناً بالكوكب . فمن قال مطرنا بفضل الله فهو مؤمن بي وكافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا فهوكافر بي ومؤمن بالكوكب) (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) . والغول بضم الغين الداهية أو الهلكة ويطلق على حيوان لا وجود له . والغيلان مردة الجن المتشكلون بأشكال مختلفة لا يستطيعون شيئاً من البأس إلا بإذن الله . وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : (كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولاً أي تتلون لهم تلوناً فتضلهم عن الطريق فتهلكهم) . وجاء فى الحديث (إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان) وذلك أن الشياطين لا يطيقون سماع الأذان كما جاء فى حديث آخر . وسيأتى شيء عن الجن وتعرضهم لبنى آدم فى الحديث الحادي والسبعين (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) .

الحديث السادس والستون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

﴿قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال

سيده وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

أجل ما يقوم به الانسان فى الحياة وتظهر به ديانته وعبقريته المسؤولية التى تخصه ولا يشاركه فيها أحد الا من يماثله فيها ، وعلى قدر منازل الناس وكفاآتهم تكون مهماتهم ويؤدونها غير منقوصة ولا يتوانون فى القيام بها . وأعظم الخلق مهمة وأكبرهم مسؤولية هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلفهم ربهم بالدعوة اليه وتبليغ رسالته إلى الناس فترة بشدة كما يقول تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين) وكما يقول تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وتارة بلين كما يقول تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وكما يقول أيضاً (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وحيناً يكلفهم البلاغ بكيفما تيسر وعلى ما تتأتى كما يقول تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) والعلماء هم ورثة الأنبياء والقائمون بالشريعة من بعدهم يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرص على هداية الأمة وبذل الجهد فى تعليمهم واصلاح شؤونهم لا يخصون بالخير أحداً دون آخر ولا يقصرون الفضل على قريب دون بعيد ولا يكتمون النصيحة عن صاحب إذا أخطأ ولا يسكتون عن صديق إذا تعدى فانهم للناس مثل الماء والهوى والنور حق مشترك الانتفاع بهم للخاصة والعامة والرعاة والرعية (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فإن فعلوا ما أمروا به ولم يقصروا فيما سيسألهم الله عنه يوم القيامة رفعهم درجات علية على سائر البرية وألحقهم بالمنزل عليه (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا

رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وإن لم يقوموا بمسؤوليتهم ولم يخلصوا فى دعوتهم بأن داهنوا أو كتموا أو خانوا أو كذبوا أو ماتوا فهم والله معنيون بقوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) . ثم الناس بعد الأنبياء والعلماء أهل مهمات خاصة تكبر تارة وتصغر أخرى وتعظم حيناً وتقل حيناً آخر . وقد ذكر فى هذا الحديث خمسة أشخاص يسألهم الله يوم القيامة عن مهماتهم التى أسندها اليهم ويحاسبهم على رعيتهم التى استرعاهم عليها وكيف كان أمرهم فيها ، وهم أولاً الامام فى رعيته والملك فى شعبه والأمير فى ولايته والوزير فى وزارته والكاتب فى ديوانه والاستاذ فى مدرسته والصحفى فى مجلته وصحيفته وكلهم مسؤولون لأمتهم بين يدى من يقول تعالى (وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) . فعلى الخلفاء والأئمة والملوك العدل فى القضية والحكم بالسوية وتفقد أحوال الرعية ، إذا حكموا بينهم فبكتاب الله وإن أخذوا منهم فبحق الله وإن تعهدوا لهم بشىء اعطوهم إياه قوامين لله بالقسط شهداء له بالحق ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين لا يرهقونهم بالضرائب الفادحة ولا يكلفونهم الاعمال الشاقة ولا يقهرونهم بالجبروت ولا يستبدون فى أموالهم بالامساك المتلف أو إنفاق المسرف بل يعمرون لهم البلاد ويحفظون لهم الدين وينشرون فيهم العلم فتعبد لهم الطرق وتنظم لهم الأسواق والمنازل وتهيأ لهم أسباب الراحة بتسهيل أمور التجارة وتخفيف المشرات وإيجاد المصانع الواسعة والأعمال النافعة والشركات المفيدة والمزارع الخصبة وغرس أشجار الفواكه وزرع الحبوب والخضروات من البر والأرز والشعير والذرة وما فى معناها وكذلك النخيل والأعناب والتين والزيتون والبقول والحشائش متاعاً لهم ولأنعامهم وتتخذ لهم المتنزهات العامة وتمد الى بيوتهم أنابيب الماء وأسلاك الكهرباء وكل ما تقضى به حالة العصر وحضارة الزمان . وللرعية أيضاً

على الحكومات المحلية العناية بالمساجد والمعابد وتعهد أوقافها واصلاح ما تغير منها وكف الأذى عنها ومراقبة نظارها ومواساة أئمتها ومؤذنيها وتنظيف مطاهرها وتجديد مياهها وذلك من الصحة التي تفرضها على البلديات وأطباؤها القوانين المدنية والأوضاع الاجتماعية . ومثل المساجد المدارس والمعاهد العلمية يجب حسن بنائها وتنسيق أثاثها وتوسيعها بقدر حاجة الأهالى اليها وجلب الأساتذة الأكفاء اليها والمعلمين الصالحين القادرين على القيام بواجبهم تربية وتعليما ومساعدة التلاميذ والأخذ بأيديهم وتشجيعهم على التقدم والمضي فى دروسهم وإحضار الكتب والدفاتر والأقلام والمحابر لهم وإرسالهم بعد الى الخارج إن قضت الحاجة بذلك . وأهم كل شيء فى المدارس تقويم أخلاق الطلبة وحسن تربيتهم وتنشئتهم على الفضيلة وتمكين الدين من أنفسهم وتحبيب أوطانهم اليهم . وليس هذا كله على الحكومات فقط ولكنه على الرعاة والرعية كل بما عليه . ولا تكون للانسان قيمته فى الحياة الا بقدر نفعه عالماً أو متعلماً أو تاجراً أو صانعاً أو منفقاً فى الخير ماله أو عاملاً فيه بيديه . والقضاة حق عليهم التسوية بين الخصوم ومراعاة القوانين وعدم التحيز والمحاباة وإنزال العقوبة بالمجرمين حسب جرائمهم وعلى قدر ذنوبهم ومخالفتهم ولا يقبلون الهدايا ولا يأخذون الرشوة ولا يحكمون بين الناس وهم متأثرون بشيء من الأمراض والأعراض الشاغلة والعواطف المنفعلة ولا يتتبعون الرخص والأقوال الشاذة فى حكم يصدرونه أو شيء يقررونه . ولا ينبغي لهم الحضور فى الولائم وإجابة الدعوات التى ربما جعلت لأصحابها منة عليهم أو يداً يعرفونها لهم عند أية خصومة ولا يدخلوا بيوت الأغنياء ولا يغشوا مجالس الذين يترددون على المحاكم ويترافعون فى قضاياهم اليها لئلا يظن بهم سوءاً ويتهموا بريبة . ويلحق بهم المحامون والوكلاء فى كثير من ذلك فانهم لرعاة فيما فوض اليهم من الدعاوى والمرافعات مساءلة ومجاوبة ولا يعول الناس عليهم الا اذا عرف صدقهم وأمانتهم وإخلاصهم لموكلهم وحسن الدفاع عنه والحرص على حقه أن يضاع

أو كرامته أن تهان . ولا يحل اتخاذ وزير أو كاتب الا أميناً ثقة يستطيع اداء وظيفته والقيام بمنصبه لا ظالماً ولا غاشاً ولا جاهلاً لما عليه ولا كسولاً عن عمله ولا مقصراً فى ما عليه لأمته وحكومته خطه مفهوم وسره مكتوم وورعه معلوم ومعاملته حسنة اذا رأى الصواب قواه واذا رأى الخطأ أصلحه وسواه . وفى الحديث الشريف (اذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ، واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه) . والكتبة وسائر عمال الحكومة مسؤولون عن أحوال الرعية ومحاسبون على ما فى أيديهم من دقائق الأمور وجلائلها مراسلة ومقاولة ودفتراً وخزانة ودخلاً وخرجاً وعفواً ومؤاخذة وحكماً وتنفيذاً . ولزاماً على ولاة الأمور تقدمة الأكفاء ولا يخصون بمركز ولا وظيفة الا من جرب وظهرت لياقته وخبرته والا فهم غاشون لله وللرعية . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليزيد بن أبي سفيان حين بعثه الى الشام (يا يزيد ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم) . أما الصحفيون وأصحاب الجرائد فهم السفراء بين الحكومات والشعوب وبهم تظهر الحقيقة وتتقدم الحضارة وتعم الثقافة وتسمع الشكاية وتحسن الدعاية وتخدم السياسة وهم الألسنة الناطقة والأدمغة المفكرة والعقول المستنيرة يصورون الحقائق كيف شاءوا ويجسمون الخيال كيف أرادوا وهم أعوان الظالمين وأنصار المظلومين وبقدرتهم يجعلون الباطل حقاً والحق باطلاً فإذا نصحوا لله وللدين وللأمة والأوطان فبهم تسمع النصيحة وبأقلامهم تهدم العروش وتبنى وبهم تفقر البلاد وتغنى فواجب عليهم نشر الفضيلة والذب عن الأخلاق وحماية الحقوق والأعراض من عبث المستبدين وسفه الجاهلين وكيد الخائنين والمطالبة بحقوق الأمة فى الصحة والتعليم وكيف يعيشون ومساعدة الحكومات فى

حفظ الأمن وتسكين الثورة وجباية الأموال المفروضة وتسليم المجرمين ومعاقبة الآثمين وألا يوالوا من عاداها ولا يعادوا من والاها الا الاخوة فى الدين والموالاة لله فهي قبل كل شيء وفوق كل شيء رضى بذلك من رضى به وغضب منه من غضب . وحرام عليكم يا أصحاب الجرائد ايقاظ الفتنة واغراء العداوة بين الناس وكذب الدعاية وخداع العناوين ونشر الصور الخبيثة والرسوم الفاتنة باسم حرية النشر وعلى حساب الفنون الجميلة وأنتم رعاة ومسؤولون عن رعيتكم . ورحم الله من ضاق ذرعاً بسوء الرعاية وقلة العنايه بالمساجد والمدارس والمصانع والأندية والجرائد فقال :

اروني بينكم رجلاً ركيناً واضح الحسب
أروني نصف مخترع أروني ربع محتسب
أروني نادياً حفلاً بأهل الفضل والأدب
وما ذا فى مدارسكم من التعليم والكتب
وما ذا فى مساجدكم من التبيان والخطب
وما ذا فى صحائفكم سوى التمويه والكذب
حصائد ألسن جرت الى الويلات والحرب
فهبوا من مراقدكم فإن الوقت من ذهب

وصلاوة الله وسلامه على نبيه القائل : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر) .

ثانياً الرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته يبر والديه ويحسن اليهما ويكفل أولاده ويربيهم ويعاشر زوجته بالحسنى وينفق عليهم جميعاً متى وجب عليه ذلك ويعلمهم الدين ويرغبهم فى الخير وما تكمل به إنسانيتهم ويحذرهم من الشر وما يتهمون به فى دين أو خلق ويحرص على صحتهم بحسن تغذيتهم وعظيم حميتهم ونظافة أبدانهم وثيابهم ومنزلهم وإحضار الدواء لهم إذا مرضوا وإعداد ما يلزم لمعاشهم ومعادهم يأمرهم بالصلاة إذا دخل وقتها ويكون أسرعهم الى اقامتها ، (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها

لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) . ومن حقهم عليه أن يطعمهم من طعامه ويلبسهم من لباسه ويحسن أسماءهم ويختار لهم الأم الصالحة وإذا بلغوا النكاح استحب له أن يزوجهم أو يساعدهم على الزواج .
والبنت إذا حضر كفؤها فى الدين القادر على كفايتها والإنفاق عليها والقيام بحقوقها عليه زوجها غير متوان ولا مفرط وله الاجبار إن كانت صغيرة بكراً بالاتفاق ، والكبيرة لا تزوج إلا بإذنها إن كانت ثيباً عند الشافعية .
وقال أبو حنيفة رحمه الله : أمر الكبيرة الى نفسها مطلقاً متى كانت رشيدة عاقلة . وفى الناس من يقصر فى شأن موليته فيؤخر نكاحها ويرد خطابها إحتقاراً للفقير وانتظاراً للغنى أو رغبة فى الحسب والنسب فيذبل غصنها ويذهب شبابها وقد تصاب بمرض خطير وداء عضال نتيجة التسويف والانتظار بها . ومن علم أن به عيباً لا تطاق معه الزوجية حرم على ولي المرأة أن يزفها اليه فيصيبها به ، ولا فرق فى العيب بين أن يكون حسياً كالجنون والجذام والبرص والجب والعنة والسل والسيلان ، أو معنوياً كالزنا وإدمان الخمر والفحش والبذاءة وفساد البيئة . ومن كانت له زوجتان أو أكثر فعليه العدل والتسوية بينهن فى النفقه والكسوة والمبيت ولا يفضل هذه على هذه فإن مال وجاوز الإعتدال جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً .
ولا تجب النفقة للزوجة إلا إذا كانت ممكنة من نفسها ملازمة لبيتها لا تخرج منه إلا بإذن بعلها ثم لها عليه ما يلزم أمثاله من النفقة والكسوة إيساراً واعساراً وتوسطاً ويسكنها حيث يسكن أو فى محل يليق بها وليس له عليها طبخ طعامه وغسل ثيابه وتنظيم بيته قال ذلك الفقهاء رحمهم الله . والمعروف عن نساء الصحابة أنهن كن يخدمن أزواجهن ويربين أولادهم ويدبرن منازلهم بل ويساعدنهم فى المزارع وحفظ الدواب وسياستها . وهذا هو المناسب لسماحة الاسلام وعنايته بالتعاون بين الأهل والأجانب . ولا تلزم النفقة لوالد ولا ولد إلا ان كان كبيراً فقيراً عاجزاً عن العمل أو صغيراً فقيراً أيضاً . وأهم ما يسأل الانسان يوم القيامة عن أهله فى أمر دينهم وحق

ربهم تعالى . والمرأة غالباً تكون على نحلة زوجها فى الخير والشر ومن أجل ذلك أبيح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ولا عكس . والأبناء لا يعملون فى الكبر إلا ما تعودوه فى الصغر . وفى الحديث الشريف (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

ثالثاً والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها تسره إذا حضر وتحفظه إذا غاب فى نفسها وماله وولده . ومن حفظت فرجها وبرت زوجها وأدت حق ربها لم يكن بينها وبين الجنة إلا الموت . وليس فى الأديان كلها مثل ما فى الاسلام من العناية بالمرأة واعلاء شأنها فهي شريكة الحياة وعديلة الرجل فى العالم يعمل خارج البيت وتعمل هي فيه . وإن كان جلداً قوياً خشن الجسم قاسي القلب فهي الناعمة الجسم والطيبة القلب والرقيقة العاطفة وإنما جعلت شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد ولها نصف ميراثه لأنها كثيرة النسيان وضعيفة الذاكرة لما يعرض لها بالحمل والولادة والارضاع ولأنها غالباً تكون نفقتها على زوجها وما يصل اليها من شيء ترثه فإنما هو لتكميل ما تحتاج اليه أيماً وعانساً وأرملة وقديماً كانوا يعتبرون المرأة متاعاً مملوكاً ينتفع به ويتصرف فيه زوجها ووليها ، فجاء القرآن يقول (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ويبطل أقوال الذين يضربون بينها وبين الله حجاباً كثيفاً . فهو يقول تعالى (إن الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) ويعدها مكلفة مسؤولة عن دينها ودنياها ويأذن لها فى المعاملة ويجيز تصرفاتها ويقر بيعها وشراءها ووكالتها وتوكيلها وتكون معيرة ومستعيرة ومودعة ومستودع عندها وإذن فهي مسؤولة لزوجها عن البيت وشؤونه والأولاد وتربيتهم وكما تريد تنشىء أطفالها . فالطيبة الصالحة لا تسمع ولدها إلا حقاً ولا تريه إلا خيراً ولا تنطقه ابتداء إلا بذكر الله وشكر من أنعم عليه من الخلق والخالق ولا تفتق أمعاءه إلا بطيب حلال ،

ولا تغذيه إلا بمقدار ما يحتاج اليه غير مشبعة ولا مجيعة وإذا رأته قابلاً للتعليم أخذت تزينه له وتلقي عليه من ذلك ما يتناسب مع سنه وعقله وتربط له بين القول والعمل ، فهي الأستاذ الأول وبيتها المدرسة الأولى ، ومن نفسها الى نفسه ينبعث النور وتنقل الصور لكل حسن وقبيح وضار ونافع

من لي بتربية النساء فإنها	في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا	بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى	شغلت مآثرهم مدى الآفاق

والمرأة الجاهلة لا يكون أولادها الا ضعفاء فى أجسامهم لسوء التغذية وضعفاء فى عقولهم لسوء التربيــة تملأ قلوبهم بالأوهام والمخــاوف والعقائد البــاطلة والحكاية الخرافيــة وتصور لهم الجن والعفاريت فى كل زاوية من البيت وتخيف لهم الغول والمارد تحت كل ظلمة ثم هي لا تحوطهم بذكر الله وتلاوة القرآن ولا تعوذهم بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تعلق عليهم التمائم والحروز والعظام والودع والخرز والحلتيت إتقاء البأس ورداً لعين العائن وإذا تأخروا عن المدرسة أو قصروا فى الواجب اعتــذرت لهم ودافعت عنهم وزعمت أن هذا مريض وهذا مشغول وهــذا صغير لا يفهم والآخر كبير وقد فاته سن التعليم فيصير أبناؤهــا عالة على الأسرة وعبئاً ثقيلاً على الأبوين الجاهلين وقد يكونون عاجزين عن شق طريق لهم فى الحياة توصلهم الى السعادة فتصبح الجــاهلة معنية بهم وساعية عليهم صغاراً و كباراً . وفى شبابها تحمل مهداً وترضع فاطمة ، وفى الشيخوخة تعمل فى بيوت الأغنياء طباخة غسالة أو تكابد المشاق وتقاسي الأمرين فى بيتها وكل ذلك من أجل أولادها الذين قصرت فى تعليمهم وعجزت عن إصلاح مستقبلهم . والمرأة أن تأخذ من حق زوجها ما يكفيها ويكفي بنيها غير مسرفــة ولا مبذرة وقالت هند بنت عتبة : يا رسول الله أن أبا سفيان رجل مسيك أفآخذ من ماله ما يكفيني ويكفي بنيه ، فقال : نعم وأذن لها فى مقدار ما يكفيها

ويكفى بنيها . ولها أن تصدق بالمعروف على ما تقدم بيانه (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريما) .

رابعاً وكذلك الخادم يسأله الله عن مال سيده وكيف كان يتصرف فيه أيحفظه لصاحبه وينميه ويسلمه اليه ويؤديه أم يضيعه ويفرط فيه فعليه أن يحفظ مفاتيح البيت ويتعهد ما فيه من النفقة المدخرة حتى لا تسرق ولا تنهب ولا يتطرق اليها الفساد وهو وديع أمين ويده فى المال يد أمانة لا يسأل إلا عما قصر فيه ولا يحاسب إلا على إهماله وتوانيه فى الواجب نحو سيده . وإذا كان فى متجر أو دكان فعليه كنسه وتنظيفه وترتيب أمتعته ووضع كل شيء فى مكانه اللائق به يخاطب العملاء بالمعروف ويعاملهم بالحسنى ولا يقرض شيئاً ولا يعير إلا بإذن صاحب المال ولا يحسده إذا تضاعفت الأرباح وبورك له فى الرزق فإنما ذلك بحسن النية وأمانة الجانبين ولن يؤدي ما عليه حتى يعد نفسه شريكاً فيعمل بجد وإخلاص وكذلك سائر العمال مسؤولون عما فى أيديهم لسيدهم ورئيسهم وعليهم مراعاة حقه وما يعود عليه بالصالح فيما استعملهم عليه مقاطعة أو مياومة أو مشاهرة .. فالنجار والحداد والبناء وسائر الفعلة حتى سائق السيارة وصاحب الزنج والنورة مسؤولون عن رعيتهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

خامساً والولد مسؤول لوالده عن ماله وما يدفع اليه أو يفوضه فيه فإن كان أبوه حياً وجب عليه رد كل شيء اليه وسؤاله عما يفعل وما يترك إلا ما جرت العادة فيه بعدم الاستئذان . وإن كان ميتاً جهزه بما يلزم ونفذ وصيته وحج عنه إن لم يكن قد حج عن نفسه ودفع ما عليه من زكاة ودين وفك رهونه وحفظ ما بقي من المال حتى يسلم الى كل ذى حق حقه . لا يظلم أحداً لأحد ولا يخبئ من التركة شيئاً أو يخفيه عن الورثة فإن الأخير سيموت كما مات الأول وسيصنع به أبناؤه كما صنع هو بآبائه . وهل أغلقت البيوت العامرة وذهبت الثروات الطائلة وتفرقت الأسر الكريمة شذراً مذراً إلا نتيجة الخيانة والمعاملة السرية المكتومة وتحكم الكبير فى حق الصغير

واستبداد الذكر بحق الأنثى . ومن ورث شيئاً من أبيه فصرفه فى سخط الله ومعصيته أو جاوز فى انفاقه الحد الملوم ولو فى حلال فهو مسؤول لأبيه يوم القيامة عن ماله وما خلف له . وفى أبنائنا من إذا انتقلت اليه التركة الطيبة وصار رئيساً بعد أن كان مرؤوساً من يعمل عمل الشياطين ويتسلط على حق غيره تسلط الذئب المفترس على النعجة السمينة فيفقر أهله ويظل مقامراً سكيراً مفاخراً مباهياً شريراً ويبات فى دور السينما وعلى اللهو والطرب وفى مواخير الزنا . وقد يكون أبوه مقصراً فى تربيته ومهملاً لشأنه ولكن الحساب بينهما عسير والموقف بين يدي الله عظيم وهو القائل جل ذكره (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) .

الحديث السابع والستون

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

خطاب عظيم يوجهه صاحب الشريعة الاسلامية الخبير بأحوال أمته وطبائعهم المختلفة الى الشباب التائق الى النكاح الميال الى النساء يعظهم فيه ويرشدهم به الى فضيلة الزواج الذى يقع به غض البصر عما ليس لك بحق وحفظ الفرج عن الزنا واللواط والاعتياد السرى وتعلق القلب ببنت فلان وامرأة فلان . والأعزب الصحيح القوي لا ينعك مشغولاً بالزواج مفكراً

فيه ، نهاره نظر الى ما يحرم عليه وليله سهر وبحث عن امرأة يسكن اليها وتكون عوناً له على حياته وشريكة له فى دنيـاه . وبالنكاح يلم الشعث وتسكن النفس ويطمئن القـلب ويستريح الضمير من تعب التفكير ويحصل الولد وبعمر البيت وتتم به نعمة الله على الزوجين . ولن تكمل الرجولة حتى يتزوج الشاب ويصبح رئيساً بأسرة جديدة بعـد أن كان مرؤوساً وعضواً عامـلاً أو غير عامل فى أسرة أخرى يتحمل مسؤولية عظمى لمن يلوذ به وينتسب اليه ويكون من نفسه بعد الزواج والقيام بشئون بيته وأهله رجلاً مستعداً لمنصب أكبر ورتبة أعلى ، فلو أفضت اليه امارة أو زعامة لقام بها خير قيام . وما تكون الرئاسة الا لمن يحسنها ولا تسند المهمات فى المجتمع الا الى عبقري يحل الأمور إذا أشكلت ويتعلم من سياسة أسرته كيف يسوس أمته . أما الذى لا زوجة له ولا ولد فرحمته بالناس مفقودة وشفقته عليهم غـير موجودة ، لا يهمه الا بطنه وظهره ولا يجمع من المـال الا ما يكفيه لحياته ، هو عالة على أهله فى صغره وغير مأمول فى كبره ، إذا طال عمره فغير ملتفت اليـه وإذا مات فغير مبكي عليه . ومن يتبوأ الكراسى من الشيوخ والنواب والوزراء الا الذين تزوجوا وعرفوا كيف يسألون عن شئونهم الخاصة والعـامة داخل البيوت وخارجها . ومن رغب عن النكاح فقـد ترهب ومن عنده يقف نسل آدم ومن جهتـه تنقطع الأبوة والبنوة وبموته يصبح أثراً بعد عين ولا يذكر الا بعـلم علمه أو مال ترك منه صدقة جارية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على النكاح ويرغب فيـه ويقول (النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني) . ودخل البيت على ثلاثة نفر وأحدهم يقول أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر والثانى يقول وأنـا أقوم الليل ولا أنام أبداً والثالث يقول وأنا لا أتزوج النساء فعـاب عليهم وقال ولـكننى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأتزوج النساء ومن رغب عن سنتى فليس منى ، وقال أيضاً (حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة)

وليس حب الطيب والنكاح　　الا لجمع القلب والأرواح
ونسوة عون على الصلاح　　يروين عنه أشرف الخصال

وقد بين الغرض المقصود من النكاح وهو العفة بغض البصر وحفظ الفرج والتماس الولد وقال تناكحوا تكثروا فانى مباه بكم . ومن قدر على التزوج بأكثر من امرأة وأيسر بالإنفاق على نسائه جاز له النكاح مثنى وثلاث ورباع كما أذن الله له فى ذلك بقوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) الآية وعليه أن يعدل بينهن ولا يفضل واحدة منهن على أخرى . ولا عبرة بمعارضة القائلين بمنع تعدد الزوجات وتحرجهم مما أذن الله فيه لعباده . وقد تكون المرأة حائضاً أو نفساء أو غير صالحة للوطء بكبر أو صغر أو حمل أو إرضاع أو مرض فيضطر زوجها الى النكاح وهو أعف له وخير لهما من الطلاق والمفارقة وأن يخادن زوجها امرأة أخرى . والمانعون لذلك واقعون فى ما هو أضر وأخطر . والمرأة اذا حملت عنيت بجنينها واذا وضعت اشتغلت بطفلها وشق عليها تتابع الحمل والتربية . أما الرجل فمستعد للوطء فى غالب أحواله وزوجاته عنده وغالباً تحمل هذه وتضع الأخرى . وقد أشبع الناس هذه القضية بحثاً وأوسعوها مناقشة قديماً وحديثاً وهم الآن يرون تعدد الزوجات خير حل لمشكلة العصر لكثرة النساء يودون لو قيل بتعدد الزوجات الى أكثر من أربع . وأي دين كالاسلام يحفظ المرأة حقها ويكلف زوجها بالقسمة لها ولو عجوزاً يائسة ولها عليه أن يطعمها مما يطعم ويلبسها مما يلبس وإذا مات فلها من ماله الربع أو الثمن تأخذه كاملاً أو تشترك فيه بالسوية مع ضرتها . وفسر العلماء الباءة فى قوله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة بأمرين : القدرة على الوطء والإيسار بالنفقة . ومنه يعلم ان الذى لا حاجة له بالنساء بجب أو عنة أو مرض أصلي أو عارض لا يحل له العبث بامرأة ملك عصمة نكاحها والانتفاع بفرجها فيتركها معلقة لا تقضى منه

وطراً ولا تحصل معه على نفع فربما حملها على الفاحشة وأوقعها فى الزنا .
والفقير العاجز عن الاكتساب لا يتزوج الا اذا علم من نفسه تحصيل النفقة
والقيام بمؤن الزوجية . وقد أذن الشارع للمرأة أن تفسخ نكاح من به
عيب أو عرض له اعسار . واشترط العلماء لصحة اجبار البكر على الزواج
أن يكون خاطبها موسراً بمهرها وكفؤاً لها وليس بينها وبينه عداوة .
وليس كل ما يجب للمرأة هو الصداق والنفقة ولكنه ذلك والمسكن وحسن
العشرة ومعاملتها بالجميل . ولكل من الزوجين حق عظيم على الآخر ولا
يقوم به الا المتدين الكريم والمؤمن الصادق (ومن آياته أن خلق لكم من
أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات
لقوم يتفكرون) . وأبغض الحلال الى الله الطلاق . واتقاء الشر قبل
وقوعه أسهل وأيسر من دفعه بعد حلوله ورفعه بعد نزوله . فمن أمن الشر
وتاق الى النكاح تزوج غير مسرف ولا متكلف ومن عجز فعليه بالصوم فإنه
يضعف الشهوة ويكسر الحدة ويجعل الصائم مأمون الغائلة بعيداً عن الفساد
واذا زال عذره وانتهى مرضه أو فقره أفطر من صومه وتزوج عملاً بهذا
الحديث . وعلينا محاربة العادات والتكاليف التى تعترض كثيراً من الشبان
والشابات وتمنعهم من الزواج . ولا خير فى تعصب بعض الآباء وتحكم
بعض الأمهات بانتظار ما لا يكون والمغالاة فى المهور وطلب أشياء ينوء بها
كاهل الفقير من الأثاث والحلي والملابس وطعام الولائم . وأى شيء
تصنعون ياقوم بأشياء تفعلونها عند الزواج لا تعود عليكم بخير وليست لكم
منها أية فائدة .. فما الغناء وما الطرب ، ولأي شيء تسوقون عشرين أو
ثلاثين سيارة ليلة الزفاف وتضربون الطبول والطاسات بين يدى أحد
العريسين فإنما هى أشياء لا خير فيها نتيجتها الإملاق وبعده الإخفاق ومن
وراء ذلك الطلاق والفراق . ولا بأس باعلان النكاح واظهار الفرح بما لا
مشقة فيه ولا تعب على فاعليه . (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين
أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات

من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

الحديث الثامن والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

تختلف رغبات الرجال فى النساء وعلى كل شيء يقع شكله ويميل اليه مثله ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . والمرأة لا تحب ولا تخطب إلا لخصلة من أربع خصال هن : جماع الشرف وملتقى العز ومنتهى الكرامة وهي المال والجمال والحسب والدين ، وكم نكحت من فتاة لا تصلح زوجة ولا يستمان بها على خير ، وإنما هي ذات مال تملك به نفس اللئيم الخسيس الذى يعول على حق غيره ويتكل على ما ليس له ويظن انه اذا تزوجها وحظي بنكاحها قد سعد بمال كثير وثروة عظيمة لم يتعب فى تحصيلها ولم يتكلف جمعها وانه سوف يأكل منها ويتصرف فيها كيف يشاء . وقد لا ينال منها فلساً ولا يتحصل على نقير ولا قطمير بل تتحكم فيه امرأته وتقهره بمالها وان اعطته شيئاً منت به عليه وان طلبت منه شيئاً فعجز عنه عايرته بالفقر وشتمته بالإفلاس وقلة ذات اليد وربما حملته على الاستدانة والاقتراض ليبرر موقفه عندها ويرضيها بما تريد عليها تموت فيرثها أو يرزق منها أولاداً يحوزون مالها ويستولون على حقها ، وما يدري

له الويل من السابق وأيهما يموت أولاً ولا يقدر ما يعانيه من بذاءة لسانها وقبح منظرها وسوء مخبرها وتمبيسها فى وجهه اذا دخل ودفعها فى قفاه اذا خرج وان تكلم قالت له : عويلة ولسان طويلة ، وان سكت وصبر اتخذته ذلولاً يثير الأرض ويسقي الحرث وتحسبه خادماً وزوجاً فى آن واحد .
وقد يكون له مال يغنيه عن مصاحبتها والاقتران بها ويستطيع به أن يتزوج من تسره اذا حضر وتعجبه اذا نظر ولكنه يترفع عن التزوج بالفقيرة ويرى فى ذلك منقصة عليه ويتقي قول من ينسبه الى البخل ويعيره بمصاهرة الفقراء . وكم من فتاة لا تملك شيئاً تزوجت فكانت سبباً فى سعادة الرجل ومفتاحاً لباب رزقه .

ومرة حضرت فى خطبة نكاح عند أحد الأغنياء ، فقال : ليلتئذٍ رجل مخمور انما يريد الخاطب بنت فلان لأنه شاب وعمه شايب وماله كثير وحظ ابنته وافر من التركة وهى والية نفسها بعد أبيها فضحك الناس والتفت بعضهم الى بعض . وحب المال يعبث بذقون الرجال ويزج بهم فى الأوحال ويوقعهم فى الأهوال وكل شيء يهون وكل مصيبة تحتمل الا مصيبة بإمرأة ترى لها الفضل على زوجها بمالها ، وقليل فى حقه ما ينال منها ولو صفعته على خديه وذرت الرماد فى عينيه

وما المال إلا فتنة لذوي الغنى فكيف بمحتاج الى المال محروم

وذات الجمال التى ترى نفسها قطعت من الشمس أو صيغت من القمر تفرض إرادتها على الرجال وتنتعل وجوه خطابها وتهزأ بعشاقها وتجعل العابد يقول

ما لي فتنت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحة إلاك
يسراك قد ملكت زمام صبابتي وضلالتي وهداي في يمناك

وتصير العاشق يقول

وإذا وصلت فكل شيء باسم وإذا هجرت فكل شيء باكي

وتترك المشغول يقول

لا أمس من عمر الزمان ولا غد　　جمع الزمان فكان يوم لقاك

وإذا تزوجت فهي الحاكم المطلق وهي الآمرة الناهية تقول أريد ولا أريد فيقول زوجها البليد أنت السيدة المالكة ونحن كلنا عبيد ، يعدها اذا ضحكت باباً فتحه رضوان ليدخل منه الى الجنة ، ويراها اذا غضبت الشمس أصابها الكسوف لذنب جناه عليها أو اساءة وقعت منه اليها ، والشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، وتدل عليه بجمالها وتقول له سبحان من أعطاك ما لا تستحق ومثلك فى الرجال كثير ومثلي فى النساء قليل فلا يملأ عينها ولا تقنع به نفسها وهي المتعرضة لغيره والمتطلعة الى سواه واذا لم يكن لها دين فهي موقد النار وتنورها وشبابة الفتنة وطنبورها تظهر من كل باب وتطل من كل نافذة وتكشف وجهها لكل غاد ورائح ويعجبها أن يقول لها السفهاء

لقد ظهرت حورية فى جمالها　　وفي حسنها لكن من اللؤلؤ الرطب

ولو أنها مست مريضاً بكفها　　لعوفي واستغنى المريض عن الطب

ولزوجها الويل ان كان فقيراً ودميماً أو ضعيفاً لا يهاب أو فاسقاً لا يبالي بما قيل عنه ولا يهمه من امرأته الا رضاؤها عنه وصبرها عليه ولو فعلت بعد ذلك المنكرات واقترفت كل عظيمة وقد يسمعها تقول

أيها المنكح الثريا سهيلاً　　عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت　　وسهيل اذا استقل يمانى

فلا يتحرك له ساكن ولا يتأثر بشيء بل يحمد ربه على ما أعطاه ويرى أنه قد أوتى من الدنيا حسنتها فعرضه مباح لها وماله فداء لها وكل غال ورخيص عنده هو ملك لها وحقها عليه أكبر من حق أمه وأبيه وفصيلته التى تأويه ولا يبعد منه أن يقول إذا أمرته بشيء أو طلبت منه ما لا يطيق

ولك الأمر فاقض ما أنت قاض　　فعلي الجمال قد ولاكا

كيفما شئت فى هواك اختبرنى　　فاختياري ما كان فيه رضاكا

والحسيبة المفتخرة بآبائها والمعتزة بقومها وعشيرتها تحتقر من لا يدانيها

وتفتخر على من لا يضاهيها وأقل ما يسمع منهــا التعاظم وفعل أبي وصنع جدي وخطبني فلان فرد وكم رغب في من أمير وسلطان وشيخ وعالم وتاجر فلم يقبل ولكن النصيب يصيب . وإذا رضيت بزوجها لم تذكر أهلهـا وإذا قيل من أين أنت قالت من أهل زوجي وأما إذا غضبت فتقول :

وما هند إلا مهرة عربيــة سلالة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت مهراً فمن طيب أصلها وإن ولدت بغلاً فمن ذلك البغل

وإن بقيت معه رأت نفسها سجينة وإن خرجت منه فهو البحر وهي السفينة . وذات الدين هي الزوجة الصالحة والتجارة الرابحة . وحيث علمت استحباب الزواج وأنه مطلوب مرغب فيه فاعلم أنهـا لا تتم به السعادة ولا يحصل الغرض المنشود إلا بنكاح إمرأة ذات عفة ودين تعرف ما لها فتطلبه بالمعروف لا تتجاوزه ولا تتعداه بل قد تسامح زوجها إذا قصر في ما عليه لها وتغض طرفها عن تتبع هفواته وزلاته ولا تحـاسبه على كل شيء يقع منه وتعرف حقه عليها فلا تسوءه إذا حضر ولا تخنه إذا غاب ، هي قرة عينه حياً وميتاً تؤثث منزله وتغسل ثيـابه وتطبخ أكله وتعتني بنفسها عناية لا تخرج عن اللياقة ولا تخالف ديناً ولا عادة قومية مألوفة ولا تخرج إلا بإذنه ولا تقصر في تربية أولاده والعناية بشأنهم . فهي أم شفيقة وزوجة صالحة وأستاذ حكيم وراع يقوم بحق الرعاية . ومن هي هذه الزوجة غير التي يحث الشارع الحكيم على تحصيلها والرضا بها ويدعو على من أراد غيرها وطلب سواها . هي ذات الدين لا بارك الله لمن يزهد فيها ويرغب عنها ويراهـا غير صالحة له ولا يهمه من إمرأته إلا جمالها الفتان وحسبها بالآباء والأخوان ومالها الذى يعين عليها الشيطان فكم من جميلة جرت على نفسها وزوجها وأهلهـــا بسبب الجمال بلاء كثيراً وشراً مستطيراً وكم من حسيبة حملها الفخر على المطاولة واحتقار بعلها الذى قد لا تجد مثله ولا يسمدهــا الحظ بمن يدانيه إذا ضاق بها ذرعاً وطلقها تطليقات ثلاث فى غير مبالاة بها ولا إكتراث

ليس الفتاة بمالهـا وجمالها كلا ولا بمفاخر الآباء

لـكنها بعفافها وبطهرها وصلاحها للزوج والأبناء
وقيامها بشؤون منزلها وان ترعاك في السراء والضراء
يا ليت شعري أين توجد هذه الفتيات تحت القبة الزرقاء

والإسلام لا يأمر الرجل أن يتزوج بامرأة فقيرة دميمة وضيعة ولكنه يريد ذات الدين التي أخذت حظها من الجمال والشرف ويرغب في البكر الودود الولود لأنها أحب الى بعلها وأغض لبصره وأحصن لفرجه وأجمع لشتات فكره . وقال محمد صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبدالله وقد تزوج ثيباً هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك ، ويقول أيضاً تخيروا لنطفكم ولا تضعوها إلا في الأكفاء فإن العرق دساس . وقال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من السعادة : المرأة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسك ومالك ، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك ، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق . وثلاث من الشقاء : المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت لم تأمنها على نفسك ومالك . والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق بأصحابك ، والدار تكون ضيقة المرافق) . فلا تقل يا أخي كما يقول بعض الحمقاء إذا ذكرت له العفيفة المتدينة الحسيبة النسيبة التي أعطيت نصيبها من الجمال أنا لا أريدها قاضياً ولا إماماً لمسجد ولا أحبها محجبة ساذجة لا تعرف من الدنيا شيء ولا تستطيع مجاراة أترابها ، وإنما أريدها جميلة جريئة سافره ولا علي بعد ذلك أن تكون مسلمة أو كافرة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من تزوج إمرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج إمرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه) . والله تعالى يقول (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) .

الحديث التاسع والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فـان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ، فـاستوصوا بالنساء خيراً ﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

الحديث السبعون

وعنه رضي الله عنه ، قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعـا الرجل إمرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضباناً عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح ﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

ان أكبر ما يجب للرجل على امرأته شرعـاً وطبعاً هو ما يقع الزواج لأجله تمتعه بها وتمكينها اياه من نفسها وكل شيء بعد ذلك تبعاً له . وما شرع الفسخ بالرتق والقرن الا لعدم الانتفاع ببضعها ولها من الرجل نفس الغرض ولو كان مجبوباً أو عنيناً استحقت عليه الفسخ كما تقدم . وعادة لا يتزوج الرجل الشاب بالمرأة العجوز ولا ترغب الفتاة الشابة في الشيخ الكبير المتهدم لفوات المراد من الألفـة وميلان قلب أحدهما الى الآخر . وكل ما يجب على الرجل من صداق ونفقة وكسوة وخادم ومسكن وغير ذلك موقوف على تمكينها إياه من نفسها إلا الصداق فتستحق نصفه بمجرد العقد ولهـا

الامتناع قبل الدخول بها حتى تستوفى الصداق كله . وأيما رجل دعا امرأته الى فراشه محتاجاً اليها وراغباً فى الاستمتاع بها فعصته لغير عذر شرعى من حيض أو مرض باتت الملائكة تلعنها لغضب زوجها عليها وامتناعها من حقه عليهـا . وجاءت امرأة خثعمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرنى ما حق الزوج على الزوجة فإنى امرأة أيم فإن استطعت والا جلست أيماً ، قال فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهى على قتب أن لا تمنعه نفسها ، ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعاً إلا بـإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العـذاب حتى ترجع . وبالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى حق الرجل على امرأته حتى جعل رضاء الله مقروناً برضائه عنها وسخط الله مقروناً بسخطه عليها ، وأخبر أن صلاتها وسائر أعمالها لا تقبل ولا تثـاب على شيء منها حتى يرضى عنها زوجها ، فقـال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مواليـه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجهـا حتى يرضى والسكران حتى يصحو . وليس المراد طاعـة المرأة فيما لا تقدر عليه ولا إستبداد الرجل بهـا وتحكمه فيها تحكماً وإستبداداً يخرج به عن الأدب وحسن العشرة ، ولـكنها ضعيفة مسكينة رقيقة العاطفة تنفعل لـكل شيء وتضطرب من كل شيء ، وقد تحملهـا جبلتها على التمرد والعصيان لأمر بسيط وشيء لا يذكـر فوجب تخويفهـا وتحذيرها من المخالفة . وبعض الرجال ثقيل الطبع سيء العشرة ضيق العطن شريراً أحمق وشنظيراً أخرق بطيء الرضا سريع الغضب إذا دخل فنان وإذا خرج فطنان تعيش زوجته معه فى شقـاء وتتجرع منه غصص الحيـاة يرى أنهـا كلما بالغت فى واجبهـا نحوه مقصرة مفرطة وكلما طلبت منه شيئاً رآها مسرفة مفرطة . والعـادة والتجربة تدلنا على أنه بأخلاقه السيئة ومعاملته القبيحة ، يكلف زوجته فوق طاقتها ويحملها من العناء ما تنوء بحمله وهى ضعيفة فى خلقها وخلقها . وقد شبهت فى الحديث بما خلقت منه وهو الضلع

وبين طبعها ، وعوج الضلع شبه قوي جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عبرة للرجل الشديد فى معاملة أهله يذكره إذا رأى من المرأة ما يجب غض الطرف عنه ومسامحتها فيه لأنها إذا حوسبت على كل شيء عجزت عن كل شيء ، وإذا أريد تقويمها انكسرت كسراً لا يمكن بها الإنتفاع بعده .

وللنساء شبه آخر بالقوارير فى سرعة الإنكسار وعدم التحمل ، فقد كان أنجشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حادياً حسن الصوت سمعته الإبل فى سيرها فجدت وأسرعت وكان عليها النساء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : رفقاً بالقوارير يا أنجشة . وفى مرض موته صلى الله عليه وسلم كان يقول الله الله فى النساء وما ملكت أيمانكم ، وإنه ليوصي بهن الرجال ويقول (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ، ويقول أيضاً (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم) . وقال معاوية بن حيدة : (يا رسول الله ما حق إمرأة أحدنا عليه ، قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت) . وفى الرجال من لا يحفظ حق زوجته إلا ما دام راغباً فيها ومتعلقاً بها فإذا كبرت أو مرضت أو افتقرت طلقها أو أعرض عنها ونسي ما كان بينهما ولم يقدر لها صبرها عليه وقيامها بحقه وسالف ما صنعت من الخير معه ، وقد يريد حرمانها من ميراثه وابعادها عن التركة فيطلقها فى مرض موته أو قبل ذلك ، وكذلك يفعل اللئام وأهل الطباع الدنيئة . ومن أحرم وارثاً من ارثه أحرمه الله رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام . ومن أجل ذلك قال بعض العلماء بميراث المطلقة فى مرض الموت بلا تفصيل وهو كذلك عندنا إن كان الطلاق رجعياً والعدة باقية . ورحم الله رجلاً محمود السيرة طيب السريرة سهلاً رفيقاً ليناً رؤوفاً رحيماً بأهله لا يكلف زوجته من الأمر شططا . وبارك الله فى امرأة لا تطلب من زوجها غلطاً ولا تحدث عنده لغطا . والله تعالى يقول (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات

قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان علياً كبيراً) .

الحديث الحادي والسبعون

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضى الله عنها ، قالت :

﴿كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، فقال : إن الشيطان يجري من إبن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحته تسع نسوة وهن : عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش ورملة بنت أبى سفيان وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب اليهودي سيد بني النضير وقد أذن الله لنبيه أن يتزوج ما شاء من النساء ولم يحدد له عدداً معيناً وجعلهن أمهات المؤمنين يحرمن بعده على الناس أجمعين وذلك أنه كان بحاجة الى مصاهرة القبائل والإتصال بمختلف العشائر لتبليغ دعوته وأداء رسالته فكان لا يتزوج إلا بنات الأشراف والرؤساء ستميلهم بذلك اليه

ويكسب ودهم ويرغبهم فى الاسلام . وإذا قرأت تاريخ نسائه عليه الصلاة والسلام وجدت أنه ما كان إلا رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين والمؤمنات يعز الأرامل ويكفل الأيتام ويجبر الكسر ويشفي أوار الصدر . وليس منهن واحدة غير عائشة إلا وقد أصيبت فى أبيها أو زوجها بالموت أو القتل . وصاحبة القصة وراوية هذا الحديث هي السيدة صفية البائسة المنكوبة التي قتل أبوها وزوجها ومعظم أهلها وأخذت سبية وكادت تكون لرجل من المسلمين لا يستطيع برها ولا يجبر كسرها . وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاصطفاها لنفسه وجعلها من نسائه المخاطبات بقول الله جل ذكره (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) «الآية» . وكان يرحم ضعفها ويقوم لها مقام أبيها الحنون وولدها البار وزوجها الكريم . وانظر الى جميل المعاشرة منه صلى الله عليه وسلم لزوجته الفريدة الوحيدة المقطوعة من كل أحد إلا من الله ثم منه كيف قام معها ليردها الى البيت ووقف يحدثها ويسمع منها خارج المسجد غير متضجر ولا متأفف وقد كاد يحبس لها نفسه والمسلمين فى حجة الوداع حين حاضت وظن أنها لم تكن قد تطوفت بالبيت العتيق . ولما تطاول بعض نسائه على صفية رضى الله عنهن جميعاً بشرف نسبهن وسابقة آبائهن فى الاسلام علمها صلى الله عليه وسلم أن تقول (أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين) . وبهذا الحديث يعلمنا نبي الهدى ورسول الرحمة أموراً لا تكاد توجد فى شريعة نبي سواه . وهى حسن العشرة والابتعاد عن مواضع التهمة وسوء الظن واتقاء التجسس والتحذير من الشيطان . ومن يعرض نفسه للتهمة ويحمل الناس على سوء الظن به إلا سفيه أو بليد لا يبالي بما قيل له وما قيل فيه :

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

وخاف النبي صلى الله عليه وسلم وهو العزيز عليه ما أعنت الناس والحريص على هدايتهم وسلامتهم من الشر وخشي أن يفتتن به بعض أصحابه وأن يستزلهم الشيطان بوسوسته وهو الذى يجري من ابن آدم مجرى الدم فيلقي الى أوليائه

الشر ويوحي اليهم الباطل وزخرف القول غرورا . فاستوقف الرجلين المارين وأخبرهما أن المرأة الواقفة معه إنما هي زوجه صفية رضى الله عنها وذلك تحذير من التهم ورمي الأبرياء بالفواحش كما هو دأب الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الرجال ويقذفون المحصنات المؤمنات بالعظائم ، وقد سبق ان هذا من موبقات الذنوب . وحيث قد قيل فى السيدة عائشة رضى الله عنها ما قيل ، فلا يبعد أن يقال فيمن هو أعظم قدراً منها ما يهلك قائله ويستحق أن تخسف به الأرض أو يسقط الله عليه كسفاً من السماء . وكم كان فى المدينة من الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين والأعراب وبقايا اليهود يتربصون به الدوائر ويترقبون منه زلة أو هفوة يطيرون بها فى الناس طيران البرق وينتشرون بها إنتشار النار فى الهشيم . وداعي الفساد مجاب وبنار الفتنة يحترق أهلها ولا يطيقون الخروج منها ولو صيرتهم فحماً فأحياهم الله ، لعادوا لما نهوا عنه (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) . ولكن الله حافظ لنبيه وعاصمه من الناس قولاً وفعلاً كما يقول تعالى (والله يعصمك من الناس) .
ومن أراد شراً فعجز عنه أو قال سوءاً ولم يصدق فيه فعلى نفسه اعتدى وأشمت بها الأعداء وفى شباك مكره تعثر وفى حفرة كيده تردى . فيا مؤمناً بالله ومتحلياً بفضيلة الاسلام وتعاليمه الصحيحة إتق الله فى نفسك ولا تتبع هفوات الناس ولا تتكشف عوراتهم ولا تهتكن ستر أخيك فإنه من هتك ستر المسلم فى الدنيا هتك الله ستره يوم القيامة

ولا تقف زلات العباد تعدها فلست على هذا الورى بمسيطر

وتجنب مواضع التهم ولا تعرض نفسك لألسنة السفهاء فإنها أحد من المقاريض ، ولا تصاحب الأشرار ولا تجعل طريقك على الحانات والمواخير فربما نسب اليك شيء من ذلك وأنت برىء منه ، ومن قارب النار أحرقته ومن دخل العرين أفترسه الأسد ، والشاعر يقول :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذبا فما اعتذارك من قول إذا قيلا

وإياك إياك الخلوة بالمرأة الأجنبية فإنك إن سلمت من شرها وعصمك من كيدها الذي عصم يوسف عليه السلام . فلا تأمن سوء الظن بك وأنت فى زمان شره كثير وخيره قليل . وما خلا رجل بإمرأة أجنبية إلا وكان ثالثهما الشيطان . وبه فسر الدخول على النساء فى قوله صلى الله عليه وسلم (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ، فقال : الحم الموت) . والأحماء هم أقارب الزوج وكثيراً ما يقع عندنا إختلاط الرجال بزوجات إخوانهم وأقاربهم وربما جر ذلك الى الشر وأوقع فى الفتنة . يجلس الإنسان الى إمرأة غيره ويختلي بها فيتحدثان حديثاً يطمع الشيطان فيهما ويشغل قلب أحدهما بالآخر فيفسدها على زوجها ويطمعها فيما يكون وما لا يكون . وبسببه تسأل الطلاق وتسعى لها الويل فى الوصول الى رجل خدعها بنظرة واستزلها بكلمة ولا يبعد إذا كثر الإختلاط والإختلاء أن تقع الفاحشة . والإنسان ضعيف ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه وتجنب الهلكة والبعد عن الشر أيسر من دفع الخطر وأسهل من رفع الضرر . وفى الحديث (إياك والخلوة بالنساء والذى نفسي بيده ما خلا رجل بإمرأة إلا ودخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب إمرأة لا تحل له) ، وحتى السفر لا يحل للمرأة إلا ومعها زوج أو ذو محرم . وكذلك الطب لا يجوز له إختلاء أحد الجنسين بالآخر خشية الفتنة ولا يعالج الرجل المرأة من أي مرض بها وهو أجنبي إلا إذا فقدت الطبيبة الماهرة وبالعكس .

وفى سنة ١٩٤٦ نشرت إحدى الجرائد مقالاً بغير امضاء عن تعليم المرأة ، وكان غلطاً فى غلط ، وزعمت أنه بين أذنها وعينها ، فرددت عليه فى الجريدة نفسها ونشرته كما أرادت لا كما أريد أنا ، ولملاقته بهذه الأبحاث عن المرأة وتعليمها والعناية بها وحرمة الإختلاء بها أنشره بنصه وفصه ، وعنوانه هكذا :

قول الزور

نشرت هذه الجريدة فى عددها السابق مقالاً بغير امضاء تحت عنوان (طبيبة) يزعم فيه الكاتب أن فقهاءنا الأماثل يمنعون المرأة من القراءة والكتابة وصرح أنهم يعتبرون ذلك حراماً عليها . وهذه جرأة لا نظير لها وسبة لأهل العلم وحملة الشريعة ومخالفة لقول الله جل ذكره (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) . ولعل الكاتب يريد التهكم بأدعياء الفقه وأغبياء المعممين على حساب الذين لا يحرمون إلا ما حرمه الله ولا يحلون إلا ما أحله الله . والاسلام يبيح المرأة القراءة والكتابة بل ويأمرها بذلك إن كان الواجب لا يتم إلا به . وقد كانت النساء المسلمات فى الشرق والغرب على جانب عظيم من العلم الذى لا يقع تحصيله إلا بالقراءة والكتابة . وحسب الفقيه أن يستدل بأمهات المؤمنين وزوجات سيد المرسلين كعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر فإنهما قارئتان كاتبتان عارفتان بأصول الدين وطرق الاجتهاد بل وبأنساب العرب وأشعارهم . وفى كتب الفقهاء من باب نظر الرجل الى امرأة أجنبية قولهم : (يجوز نظر الطبيب الى ما يحتاج اليه من المرأة الأجنبية وقت علاجها بشرط أن يكون معه زوج أو ذو محرم ، وبشرط ألا تكون ثمة امرأة طبيبة تحسن من العلاج ما يحسنه الرجل) . ونحن نفهم من هذا أنهم يريدون للنساء طبيبات منهن يعالجن أمراضهن ويطلعن منهن على ما لا تريد المرأة العفيفة أن يطلع عليه منها أي رجل أجنبي كان . وفى العصر الأول كانت النساء يخرجن مع الغزاة فى سبيل الله لمداواة الجرحى ومعالجة المرضى وسياسة الدواب وسقاية الماء وغير ذلك مما سبق بهن فى الجهاد . فحسبك حسبك أيها الكاتب من أن تحسب وإن كان فى نفسك حقد على متفيهق جامد فلا تكن أنت متطرف جاحد واتق الله فيما تقول واعلم أن المرء يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها فى جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب عافانا الله وإياك من ذلك

وسلام الله عليك (ا. هـ.) .

أما التجسس فقد نهى الله عنه بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) وحذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا) . وما أسرع الرجلان من الأنصار في السير ومضيا لسبيلهما إلا ابتعاداً عن التجسس ولم يقفا ليسمعا ولم يلتفتا لينظرا عاملين بقوله صلى الله عليه وسلم (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) ولكنه خاف عليهما من الشيطان وأخبر أنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم فيجب اتقاؤه ما أمكن والاستعاذ بالله منه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) . وللشياطين تسلط على بنى آدم حساً ومعناً كما يقول تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) ، وكما ذكر عن أيوب عليه السلام (رب انى مسني الشيطان بنصب وعذاب) . وللمؤمنين سلاح يدفعون به هذا الاعتداء ويتقون به البأس وهو ذكر الله والتحصن بأسمائه وصفاته والايمان بكتبه ورسله وطاعته تعالى فيما أمر ونهى . فأما محاربة الشيطان بالغواية والاضلال فمتفق عليه بين أهل الأديان ، وانه ليطيب الخبائث ويحسن القبائح ويقود بزمام الشهوات الى النار ويسوق أتباعه بالتسويف والطمع الى غضب الله ، وانما سلطانه بذلك على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، ودأبه الصرف عن طاعة الله والمنع منها ، يعرض للمصلين بالوسوسة ويذكرهم ما يشغلهم عن التوجه الى الله وكذلك يفعل بالمتطهرين والصائمين والقائمين والمتصدقين والتالين (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) والذين لا يذكرون الله إلا قليلاً ولا ينباعدون عن معصيته تخبث أرواحهم وتدنس نفوسهم ويصبح الاتصال بينهم وبين الشياطين قوياً ويتغلبون على ظواهرهم وبواطنهم وأجسامهم وقلوبهم . فهذا مصروع وهذا مصاب فى دماغه

وذاك منزعج البال ومضطرب التفكير قد لعبت بهم الأوهـام وركضتهم الشياطين بأرجلهم . والعلمـاء مختلفون فى اصابة الشيطان للانسان وهل يقدر على الدخول فيه وأن يجري منه فى العروق والمفاصل والخلايا جريـان الدم ، أم أن تداخل الأجسام مستحيل والقول به من فساد المزاج . وقد بسط الـكلام ابن القيم على المسألة فى الجزء الثالث من كتابه (زاد المعـاد) . وهذه جملة من كلامه فى الصرع ومن أي شيء يكون قال رحمه الله : (وقدماء الأطبـاء كانوا يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا أنه من الأرواح . وأما (جالينوس) وغيره فتأولوا عليه هذه التسمية وقالوا إنمـا سموه بالمرض الالهي لـكون هذه العلة تحـدث فى الرأس فتضر بالجزء الالهي الطـاهرة الذى مسكنه الدماغ ، وهـــذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها . وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الاخلاط وحده ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم . وعلاج هذا النوع يكون بأمرين أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج . فالذى من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الأرواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذى قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحاً فى نفسه جيداً وأن يكون الساعد قوياً فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف اذا عدم الأمران جميعـاً يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له . والثانى من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً حتى أن من المعالجين من يكتفي بقوله أخرج منه أو يقول باسم الله أو يقول لا حول ولا قوة الا بالله . والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (أخرج عدو الله أنا رسول الله) . وذكر من أمور وقعت لشيخه فى علاج الصرع شيئاً كثيراً ، ثم قال : (وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفـة وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على

أهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقـائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والايمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه وربما كان عريانا فيؤثر فيه) (ا. هـ) .

ونحن نؤمن بالجن ونصدق بوجودهم ونسأل الله السلامة من عبثهم بقلوبنا وقوالبنا ، ولـكننا نهيب بأخواننا المسلمين عن الأوهام والتخيلات وضعف الارادة وخور العزيمـة وتصور الجن فى الآبار والبرك والمنعطفات والخرائب فـإنهم يتصورون خلاف الواقع، ويتوهمون مقـابلة العفاريت وظهورهم لهم فى كل مكان ونذكرهم قول الله جل ذكره (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنـا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

الحديث الثانى والسبعون

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

﴿ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة رضى الله عنها وما رأيتها قط ولكن كان يكثر ذكرها وربمـا ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها الى صدائق خديجة فربما قلت كأن لم يكن امرأة إلا خديجة فيقول انها كانت وكان لي منها ولد﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

زوج المختار عليه الصلاة والسلام أول ما يكون بالحرة الطاهرة والسيدة الـكريمة خديجة بنت خويلد احدى عظيمات مكة بل أعظم امرأة فى البـلاد العربية ، حسبها رفيع ونسبها شريف ومالها كثير وجمالها بارع وعقلهـا

كبير ورأيها سديد . وقد استأجرت محمداً المعروف فى قومه وبلاده بالصادق الأمين والشاب الطاهر المبارك فحفظ حقها وأربح تجارتهـــا ورأت فيه معاملة حسنة وصفقة ميمونة وبركة ظاهرة ونفساً كريمة فخطبته الى نفسها وطلبت منه أن يكون زوجاً لهـا فرضى بذلك وتم الزواج وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة فصارت له خير عون وكانت له نصيراً وظهيرا بمالها تواسيه وبكلامها تسليه وقد آمنت به قبل كل أحد وصدقته حين كفر به غيرها وخاف على نفسه من الشيطان وأن يكون الذى أتاه من جنس ما يأتى به الكهان وأولياء الجن من الانس فثبتته وقالت له كلا والله لا يخزيك الله أبدا وما احتاج الى شيء إلا واعطته إياه ولا تألم من شيء الا وخففت عنه ما يجد من آلامه وقد سلمت عليها الملائكة وبشرها ربها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورزق الله منها نبيه الأولاد كلهم غير ولده ابراهيم عليه السلام فهي أم عبدالله والقاسم وزينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم ومنها رضى الله عنها خرج الكثير الطيب فكانت مع سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كما يقول الله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان) . وفى السنة الحادية عشر أو الثانية عشر من الهجرة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحوج ما يكون اليها عياله صغار وماله قليل وأتباعه ضعفاء وأعداؤه عظماء أغنياء كثيرون فحزن لموتها وتأسف عليها ودعا لها بالمغفرة والرحمة وعرف حقها واعترف بفضلها فلم يتزوج غيرها فى حياتها ولم ينسها بعد موتها بل كان يتحدث عنها بكل خير ويذكرها بالاحسان والمعروف عنده لا يضيع . وأكرم النـاس من نزل الناس منازلهم ويكافئهم بخير مما صنعوا . وبمـا قعلت ممه نعلم أن خير ما تسديه المرأة من المعروف هو ما يكون الى زوجها وبنيها والأقربون أولى بالمعروف . وذكرت زينب امرأة ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن قالت فرجعت الى عبدالله بن مسعود

فقلت انك رجل خفيف ذات اليد وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزي عنى والا صرفتها الى غيركم فقال عبدالله بل ائتيه أنت فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتها حاجتى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد القيت عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا له إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ان امرأتين بالباب يسألانك أيجزى الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ولا تخبره من نحن قالت فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من هما فقال امرأة من الأنصار وزينب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الزيانب قال امرأة ابن مسعود فقال لهما أجر القرابة وأجر الصدقة) . ومن وفاء الرسول لزوجته وأم بنيه انه كان بعد ما تزوج بمن هى أصغر منها سناً عائشة بنت أبى بكر الصديق وغيرها من ذوات الجمال والشرف يذكر ما لخديجة من سابقة فى الاسلام ونفقة فى سبيل الله وما أكرمها به الله من الذرية الطيبة الطاهرة غير مبال بحنق ضرائرها ولا مقر لشىء من القول يسمعه فيها وكان يتمهد أصدقاءها بعد موتها ويذبح الشاة كما فى الحديث فيوزعها بين من كانت لهم صلة بخديجة ويذكرهم بالهدية اليهم والصدقة عليهم برها واحسانها الذى ألفوه منها وعرفوه عنها فيترحمون عليها وينقلون الى من بعدهم الحديث عن كرمها وسخائها وبر المحب لا ينقطع بموت حبيبه وفيه الصدقة عليه والتذكير به . فيا ذوات المال امكن لعلى جانب من الخير عظيم إذا تأسيتن بالسّيدة خديجة رضى الله عنها فى مواساة زوجها وخطبة الكفؤ الكريم الى نفسها ولا تمن احداكن بما تنفق على زوجها أو تصدق عليه وعلى أولاده كما فعلت امرأة ابن مسعود . واعلمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحثكن ويرغبكن فى الصدقة ويقول انه قد اطلع على النار فوجد أكثر أهلها النساء لأنهن يكفرن العشير ولا يعترفن بالجميل . ولو احسن أحد الى امرأته الدهر كله ثم رأت منه ما تكره لقالت ما رأيت منك خيراً قط فاتقين النار ولو

بشق تمرة . ولكن على الرجال حسن المعاملة فى الحياة والاحتفاظ بمكانتكن عندهم بعد الموت يدعون لـكن ويقولون ربنا اجمع بيننا وبينهن فى مستقر رحمتك ودار كرامتك . ويامعشر الرجال اتقوا الله فى نسائكم واستوصوا بهن خيراً واذا شخن أو متن أو استغنيتم عنهن فقولوا خـيراً ولا تفشوا لهن سرا (ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير) .

الحديث الثالث والسبعون

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، قال :

﴿كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما قدمنا ذهبنـا لندخل فقـال امهلوا حتى ندخل ليـلاً أى عشاء لـكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

ذات الدين والعفاف لا تتزين الا لزوجهـا ولا تعنى بنفسها عناية تامة الا له ومن أجله ، فإذا كان حاضراً لبست ثيابها وحليها وتطيبت وتبخرت وتعطرت وادهنت ومشطت رأسها ولم تبق على جسمها قـذراً ولا وسخا ، تنظف أسنانهـا بالسواك والخلال وتطيب فمها بالمضمضة وما يذهب البخر وتزيل عنها الأظفار وشعر الإبط والعانة وما لا يحب منها ثم لا يراها بعـد الا باسمة ولا يسمعها الا حامدة شاكرة تسأل عن حالها وبيتها وزوجها وعيالها فتثنى على ربها وتذكر نعمته وترضى بما قسم لا تسخط القضاء ولا تنكر الفضل ولا تستطيل على أحد بما وهب الله لها وأكرمها به ولا تأذن فى بيتها بدخول من تشك فيه أو ترتاب منه واذا دخل زوجها بـأحد معه رأى ما تقر به عينـه ويرضى به ضميره : نظافة منزل وأناقة منظر وأدب أبنـاء وصوت خافت ملؤه الحيـاء والاحتشام فلا ضوضاء ولا فوضاء ولا ازعاج

ولا احراج واذا غاب تقشفت وتركت زينتها ولزمت بيتها تصبح سائلة عنه وتبيت مشغولة به ومفكرة فيه وفى ما يعـانيه من اتعاب سفره ومشقة عمله وتسأل الله له التيسير والتسهيل وسلامـة العودة تقوم فتعبد ربهـا وتقعد فتذكر بعلها وتدخل فتحفظ ماله وتخرج فتراقب عياله فترهقها الواجبات وتثقل كاهلها المسؤولية ولـكنها صابرة راضية فهي والله حسنة الدنيا وسلوة الحياة وجنة ما قبل الموت ، فحق على زوجها اذا قدم من سفره ألا يفاجئها بقدومـه ولا يوافيها على غرة فيجد منها ما يكره ويطلع منها على ما يسوؤه وينفر طبعه عنها ولذلك فان نساء المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم كن اذا ما غزا الرجال خرجن معهم جهاداً فى سبيل الله ونصرة لرسوله أو قعدن فى المدينـة لحفظ الجوار وحماية الذمار ومراقبة الزرع والماشية وعمارة الدار . وحين جاء النبي صلى الله عليـه وسلم من بعض غزواته وكان جابر بن عبدالله على بعير له ضعيف تأخر به عن القافلة فوخزه وجعل يسرع فى مشيته والتفت اليه وأخذ يحدثه ويسائله عن حاله فأخبره انه حديث عهد بعرس وقد تزوج بامرأة ثيب من أجل ان له أخوات سبع أو تسع وليس لهن من يقوم بشئونهن فهى التى تمشطهن وتصلح أمرهن فسر منه النبى صلى الله عليه وسلم وشكر صنيعه ودعا له بالبركة . وأقبل الناس على المدينة المنورة قبيل المغرب وأرادوا الدخول فمنعهم من ذلك وأرسل من يخبر النـاس بقدومهم وأبطأ بأصحابه قائلاً لهم امهلوا حتى ندخل ليلاً من أجل يصلح النساء أنفسهن ويستعددن لأزواجهن بالاغتسال والتنظف . وقد جاء فى حديث آخر النهى عن دخول المسافر على أهله ليـلاً وليس فيه معارضة لهذا لأن ذاك فى حق من لم يعلم به أهله ولم يشعروا الا بمجيئه . وعلة النهي خشية أن يجـد فى بيته ما يكره أو تكون زوجته على حالة سيئة . وقـد ذكر أن رجلاً خالف النهى فطرق أهله ليلاً ووجد رجلاً مع امرأته فزلت به القدم وندم حين لا ينفعه الندم . واذا كان التجسس ممنوعـاً على الأباعد والأجانب فكيف به على الأهل والأقارب . وحديث جابر هذا له روايات كثيرة وفيه فوائد جمة

وقد استنبط العلماء منه أحكاماً وحكماً لا تحصى . وفيه تفقد العظماء لأحوال الضعفاء وسؤالهم عن أهلهم وبيوتهم وفيه مداعبة الكبير للصغير وادخال السرور على قلب الفقير . وقد اشترى النبي صلى الله عليه وسلم من جابر ذلك البعير بأربعة أو خمسة دنانير وحين سلمه الثمن رد اليه البعير ليستعين به على سقيه وحرثه وليستعين بثمنه على حاله . وهل توجد بالله عناية فى أى دين أو قانون كعناية الاسلام بالضعفاء مساعدة وبالنساء ملاطفة ومجاملة تستر عوراتهن وتقال عثراتهن وتنصفهن هذه الشريعة من ظلم المستبدين وعنت المستعبدين فمالها محفوظ وعرضها مصان ولهـــا على الرجل جبر خاطرها والترفق بها . وما ذكرت عنها فى التعليق على هـذه الأحاديث الصحيحة كاف لمعرفة ما لها وما عليها وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين . (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يـأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكـرهوا شيئاً ويجعل الله فيـه خيراً كثيرا ، وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظا) .

الحديث الرابع والسبعون

عن زينب بنت أبي سلمة ، قالت :

﴿دخلت على أم حبيبـة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيـه صفرة خلوق أو غـيره فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيهـا ثم قالت والله مالي

بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش رضي الله عنها حين توفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

رحم الله النساء المؤمنات اللاتى اذا أمرن بشيء فعلنه واذا نهينا عن شيء اجتنبنه عاملات بقول ربهن عز وجل (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا) . ومن أولئك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش اللتان مستا من الطيب ما لا يريدان بعد ثلاثة أيام من وفاة والد احداهما وشقيق الثانية امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايماناً بالله واليوم الآخر . ومن الحديث نعلم انه لا يجوز لامرأة مؤمنة أن تحد فوق ثلاث على ميت قريب ولا بعيد والد ولا ولد الا على زوجها المتوفى عنها دخل بها أم لا فتحد عليه أربعة أشهر وعشرا . وقد كانت النساء فى الجاهلية يمسكن عن الطيب والزينة اذا مات لهن قريب أو معروف مدة طويلة وعلى الزوج حولاً كاملاً تعصباً وتكبراً وحزناً على الميت الذى لا يعود ولا يدرى بما يصنع الناس بعده . وقصة الخنساء وأخويها معاوية وصخر معروفة وحزنها وما قالت من الرثاء فيهما لا يخفى على أحد . وقد جعل الاسلام بادئ الأمر لامرأة المتوفى متاعاً الى

الحول وعليها ملازمة البيت ولا حظ لها من الميراث ثم نسخ ذلك بما فرض لها من التركة ربعاً أو ثمناً وبأن عليها العدة أربعة أشهر وعشر أيام فقط وهي المدة التي يظهر فيها الحمل ويتحرك فيها الجنين ان كانت المرأة حاملاً ، فمن مات بعلها وجب عليها الاعتداد بوضع الحمل أو انقضاء المدة المعلومة وهى فى ذلك لا تلبس جديداً ولا تمس طيباً ولا تخرج من بيتها الا لحاجة ويحرم عليها الاكتحال والاختضاب ودهن الشعر وكل ما فيه زينة ولها مع الميراث أن تسكن حيث كانت حتى تنتهى عدتها ولا يجب عليها الاحتجاب الا كالعادة وليس لها لباس خاص من أبيض ولا أسود ولا بأس أن تمشي حافية أو منتعلة . وما يكون من النساء الجاهلات عندنا من الأمور التى نستحى من ذكرها والكتابة عنها فغير مطلوب ولا مأمور به فى كتاب ولا سنة وكذلك ما يفعلنه عند انقضاء العدة من زيارة القبور وأشياء يفعلنها يوم الزيارة . ومن المصائب احداد بعضهن زمناً طويلاً وكفها عن الزينة اذا مات أبوها أو أخوها أو من يعز عليها سنة وسنتين وأكثر واذا قيل لها فى ذلك صاحت وولولت وبكت واستبكت وندبت ميتها وأخذت تعد محاسنه وشمائله وتقول لا خير فى الحياة بعده والعيش بعده لا يطيب وربما كان ذلك مؤذياً له وسبباً فى عذابه كما جاء فى الحديث الشريف (ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) وذلك فيما اذا أوصى به أو رضى به أوكان معه من المدح والثناء عليه ما لا يستحق وما ليس من صفاته . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول وا جبلاه وا سيداه ونحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه هكذا أنت) . وربما كانت المرأة كاذبة فى دعواها ومتصنعة لهذا الحزن تبعاً للعادة وتقليداً لمن حواليها من النساء . ورحم الله أم أنس التى مات ولدها فجهزته ووضعته جانباً من البيت حتى أتى زوجها وسألها عن الولد فقالت قد استراح وهدأت نفسه فباشرها زوجها ونال منها فلما أصبح أخبرته بوفاة ابنه وان لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان

من أمرهما فأثنى عليهما وقال بارك الله لكما في ليلتكما فرزق بعد ذلك تسعة أولاد كلهم يقرؤن القرآن . وقاتل الله النوائح اللاتى يسربلهن الله يوم القيامة سرابيل من جرب ويجعلهن في النار ينبحن كما تنبح الكلاب وهن اللواتى يشققن الجيوب ويلطمن الوجوه وتبكي عيونهن وقلوبهن ضاحكات يهيجن أحزان الأمهات والزوجات ويذكرن من صفات الأموات ما يصح وما لا يصح وقد يكن مستأجرات على ذلك وليس فى الناس أقل عقلاً ممن رضى بذلك ، ومثلهن أو قريب منهن الرجال الذين يبكون بكاء الثكالى ويقيمون الحفلات والمآتم ويقعدون للتعزية أياماً كثيرة . ومن البدع والمنكرات تأبين الأربعين وما يقال فى الميت من الأشعار والمراثى التى كلها كذب وقائلها منافق وشاهد زور على الله . ولا بأس بانشاء القصائد والمراثى فى من يستحقها تخليداً لذكره وحفظاً لتاريخه وحثاً لسامعيها على التأسى به واقتفاء آثاره فى الخير وسد الفراغ الذى تركه . وقد رثي كثير من السلف والخلف وقيلت القصائد والخطب المؤثرة على قبور العظماء وأهل الفضل . ومن الشعراء من كثرت مراثيه كشاعر النيل القائل

اذا تصفحت ديوانى لتقرأه وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

وبقى علي فى الكلام على هذا الحديث ان انكر على من مات زوجها وهى فى سن الشباب وتائقة الى النكاح فتمتنع منه وتقضى بقية حياتها أرملة وليس لها أيتام تقوم على تربيتهم ولا مال فى يدها فتأكل منه وتستغني به عن النفقات الزوجية وانما ذلك الكبر وحمية الجاهلية . وما عليها لو تتزوج فتحصن فرجها وتطلب رزقها وتلتمس الولد وحبذا لو يكون الزواج بأحد أقارب الزوج الأول ولا سيما ان كان لها أولاد منه فيجمع الشمل وتصان أطفالهم من تعب اليتم وقهر عمهم الاجنبي الحال محل ابيهم ولا حق للملوك والوجهاء فى منع نسائهم من النكاح بعدهم وانما ذلك خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم . ولا يحل تحكم أهل الرجل فى امرأته اذا مات عنها واجبارها على أن تكون تحت أخيه

أو احد أقاربه فانها حرة ولها الاختيار وليست بمال موروث وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) وللعلماء فيمن مات زوجها وهى حامل قولان فى عـدتها : الأول أنها تمتد بأطول الأجلين الولادة أو الأشهر . والثاني ان عدتها بوضع الحمل ولو كان بعـد الوفاة بلحظة . والخلاف مبنى على دليلين من كتاب الله وهما قوله تعالى (وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن) وهذا عام فى ذوات العدة جميعهن والآخر وهو خاص بالمتوفى عنها قوله تعـالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) .

الحديث الخامس والسبعون

عن ابن عباس رضى الله عنهما :

﴿أن النبي صلى الله عليه وسلم أريد على ابنـة حمزة فقال انها لا تحل لى انهـا ابنـة أخى من الرضاعـة ويحرم من الرضاعـة ما يحرم من الرحم وفى لفظ من النسب﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

لهذا الحديث قصة مشهورة . وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة بعد عمرة القضاء لحقت به أمامة بنت حمزة بن عبدالمطلب ومعه علي ابن أبى طالب وأخوه جعفر بن أبى طالب ومولاهم زيد بن حارثة وكانت من المستضعفين الذين لا يستطيعون الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فلمـا رأت أهلها وعشيرتها لحقت بهم وقـــد قتل أبوها رضى الله عنه يوم أحد ففرح بها اهلها وتنـافسوا فى كفالتها فقال علي بن أبى طالب هى ابنـة عمى وأنا حملتها فأنا أولى بها وقال جعفر هى ابنة عمى وخالتها تحتى وقال زيد بن

حارثة هي ابنـة أخي وأنا أولى بها فقضى بها رسول الله صلى الله عليـه وسلم لجعفر بن أبي طالب وجعل حضانتها لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم . ومن الحديث نعلم أربعة أحكام ونبحث فيها مفصله وهي : خطبة الرجل الكفؤ للمرأة المستعدة للنكاح ، وتنزيل الخـالة منزلة الأم في الحضانة ، وانه يحرم من الرضاع ما يحرم بالنسب وما سوى ذلك والمصاهرة فجـائز لقوله تعالى (وأحل لـكم ما وراء ذلـكم) فهذا علي رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج ابنة عمك فأنت أولى بها ولا ينبغي إلا أن تكون تحتك . ومن الكفؤ الـكريم مثل النبي صلى الله عليه وسلم وقد أريد على ابنة عمه التي هي أجمل فتاة بمكة وبنت أسد الله وأسد رسوله عزيزة الجانب موفورة الكرامة في أهلها وذويها . وقـد صنع عمر بن الخطاب مثل ذلك في ابنتـه حفصة حين قتل زوجها يوم بدر فلما انقضت عدتها عرضها على أبي بكر الصـديق وكان قد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهـا فسكت ولم يرد جواباً وكره أن يفشي السر ثم عرضها أبوها على عثمان فلم يردها وكان يطمع بعد موت زوجته رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم في نكاح شقيقتها أم كلثوم وكبر ذلك على الفاروق حتى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له الصديق هذا خير لك مني وقال عثمان رسول الله خير لك مني وابنته خير لي من ابنتك ولا حرج على أحد أن يخطب لموليته رجلاً يثق بدينه وصلاحه وحسن اخلاقه . ولو فعل الناس ذلك وسهلوا أمر الزواج ولم ينظروا الى الرجال إلا من ناحية الشرف والقدرة على القيام بالحقوق الزوجية لتزوجت النساء الثيبات والأبكار ولما ظهرت الفاحشة والمصائب الناشئة من مشقة الزواج والعراقيل الموضوعة في سبيل من أراد اعفاف نفسه وحفظ دينه . وإذا طلقت المرأة ولهـا ولد ذكراً كان أو انثى فهي أحق بحضانته وأولى به من أبيه بشرط أن تكـون مسلمة حرة عاقلة عفيفة أمينة وخالية من النكاح (وقد جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تقول له إن ابني هذا كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له حواء وأن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني فقال لها رسول الله

صلى الله عليــه وسلم أنت أحق به ما لم تنكحي) . وإذا اختــل شرط وبطل حق الأم فى حضانة ولدها انتقل الحق الى امها ثم أختها لمزيد الشفقة وقدرة المرأة على الكفالة والتربية لكنها إذا سافرت أو كانت غير صالحة للتربية أخذ منها الولد وكذلك إذا ميز واختار فإنه يكون عنــد من يختار من أبويه إلا انه يستحب أن تكون البنت عند أمهــا لتعلمها شؤون النساء ويكون الولد عند أبيه ليعلمه شؤون الرجال . والخصومات عنـــــدنا كثيرة فى مسائل الحضانة وتنازع الزوجين بعد الفراق فى تربية الأولاد والانفاق عليهم . ولو علم الناس ما يقضى به الاسلام فى الحضانة ووقف كل عند حده لاستراحوا من المحــاكمة واراحوا القضاة والحكام من حل هذه المشاكل وفصل هــذه المسائل . ويؤسفنا من الرجال ما يتهمون به النساء أثناء المحاكمة من الفسوق وعـــــدم العفة وما يبذلون من الرشوة لبعض الاطبــاء الذين يقررون عدم صلاحية الأم للحضانة لخبل فى عقلها أو مرض معدى فى جسمها أو لأن منزلها غير صالح لتربية الأبنــاء لضيق مرافقه وسوء موقعه وانهم يحــاولون بكل وسيلة انتزاع أطفالهم الرضع من امهاتهم الرؤفات بهم والله تعالى يقول (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) . وفى النساء من تجادل بالباطل وتطلب ما ليس لها بحق وترهق والد المحضون بمــا لا يقدر عليه من النفقة والكسوة وهى مع ذلك لا تحسن التربية ولا تتعهد الصبى بما يحتاج اليه من التعليم والمحافظة على صحته والعناية التامة بطيب تغذيته . وحيث كان الرضاع يحرم ما يحرم بالنسب فتنبغى معرفة احكامه والعناية بشأنه ونحن مصــابون بجهل الرضاع وما يترتب عليــه من المسائل الشرعية ولذلك نقع فى الخطر وندخل فى المحذور كثيراً . وقد يتزوج الرجل بإحدى محــارمه من الرضاع اخته أو عمته أو خالته ويعرف ذلك بعد الدخول بها واستيلادها فتعظم المصيبــة ويتسع الخرق على الراقع ويفرق بينهما ويصبح الأولاد من وطء الشبهة فى عناء شديد وشقاء . وقد جعل الاسلام للرضاع شبهاً قوياً بالولادة وألحقه بالنسب فى حرمة المناكحة ، فقال الله عز وجل (حرمت عليكم

أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الآيات ، فعد المحرمات كلهن وقال (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم بالرحم . وللعلماء فى كتاب الرضاع ابحاث مهمة ومسائل استنبطوها من الأدلة الشرعية يجهلها كثير من المتفيهقين وأدعياء العلم فيفتون إذا سئلوا بغير علم فيضلون ويضلون . وأهم ما تجب معرفته من تلك المسائل ان الرضاع لا يحرم إلا إذا كان دون الحولين لقوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) والكبير اذا رضع من أية أمرأة كانت قريبة أو بعيدة لم يثبت التحريم بينهما إلا على قول ذهب اليه جماعة منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أنها إذا دعت الحاجة للاختلاط بالكبير الاجنبي رضع من المرأة التى يريد مواجهتها أو من أحدى أقاربها ولا يكون الرضاع محرماً إلا إذا تكرر خمس مرات عند الشافعية وهو عند الحنفية والمالكية فى قلته وكثرته على حد سواء والسنة ناطقة بخلاف ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تحرم الرضعة والرضعتان والمصة والمصتان) ومن أرضعت احداً حرمت عليه وصارت أمه وآباؤها وأمهاتها أجداده وجداته وابناؤها وبناتها المتقدمون والمتأخرون من زوجها صاحب اللبن أو غيره يكونون أخوان الرضيع واخواته ، وأخوات امه من الرضاعة خالاته واخوات أبيه من الرضاعة عماته وهكذا . ومن رضع أخوه من امرأة أجنبية لم تحرم عليه ويحل له نكاح من شاء من بناتها وامهاتها وإذا تزوج الرجل بإمرأة وقيل له ان بينك وبينها رضاعة ولم تكن ثمة بينة كافية استحب له تركها ومجانبتها اتقاء للتهمة وتباعداً عن الشبهة ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام . وقال عقبة بن الحارث وقد تزوج بأم يحي بنت أبى اهاب أن امة سوداء جاءت اليه فذكرت له أنها قد ارضعتهما تعنى الزوج والزوجة ، قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنى ثم ذكرته له فقال دعها عنك وفى رواية أنه قال له كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما . ولكن إذا فسد

الزمان وحاول الفساق من الرجال والنساء احراج المؤمنين وإيقاعهم فى الاثم فلا ينبغي الالتفات الى قولهم وليس على أحد أن يفارق امرأته لكذب الفساق وشهادة أهل الزور . وقد ذكرت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قصة عقبة ابن الحارث وما كان له مع امرأته فلم يحكم بها وقال لو فعلنا ذلك ما أرادت امرأة أن تفرق بين زوجين إلا وقالت قد ارضعتكما ، وهذا فى زمان العدالة وأيام الصلاح فكيف بالحال اليوم وكيف نصدق خبر المرأة الجاهلة أو صاحبة الغرض السيء والله تعالى يقول (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) ويقول أيضاً (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وأعلم انه لا يحرم الا نكاح الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت ومثلهن من الرضاعة وزوجة الأب وزوجة الإبن وأم الزوجة سواء دخل بهن أم لا وبنت الزوجة المدخول بأمها وهى الربيبة لقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) . ويحرم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها لما فى ذلك من الايذاء وايجاد العداوة بين الضرتين اللتين لكل منهما حق على الأخرى . وغير ما ذكر حلال ولا بأس على المسلم أن يتزوج بمن شاء من النساء غير اللواتى حرم الله ورسوله نكاحهن . ولا كفاءة بين المسلمين ما استقامت أخلاقهم وقدروا على القيام بحقوق الزوجية . وقد تزوج زيد بن حارثة بثلاث قرشيات إحداهن زينب بنت جحش التى كانت بعده من أمهات المؤمنين ، وتزوج بلال ابن ابى رباح وأخوه خالد من عربيات قرشيات ، وكانت فاطمة بنت قيس القرشية تحت أسامة بن زيد الذى اختاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما خطبها أبو جهم ومعاوية ابن ابى سفيان . وفى الحديث الشريف (يا بني بياضة زوجوا أبا هند وتزوجوا منه) وقد تقدم شيء من هذا . نعم ليس على أحد أن يزوج موليته من أى رجل كان إلا برضاه ورضى موليته ، والتعصب مذموم ، والتساهل فى الأمور الى حد الاهمال والتقصير لا ينبغي للمؤمنين ، والمرأة أمانة الله عند أبيها وسائر أوليائها

ينظرون لها الأصلح ويلتمسون لها الكفؤ الكريم (والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم) .

الحديث السادس والسبعون

عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

﴿سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله قال الصلاة على وقتها ، قلت ثم أى ، قال بر الوالدين ، قلت ثم أي ، قال الجهاد فى سبيل الله﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث السابع والسبعون

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه :

﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث الثامن والسبعون

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

﴿جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس

بحسن صحابتي ، قال أمك ، قال ثم من ، قال أمك ، قال ثم من ، قال أمك ، قال ثم من ، قال أبوك﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

بر الوالدين فريضة لازمة وواجب محتم وعقوقهما حرام وذنب عظيم وقد جعل الله برهما قرين توحيده وعبادته وبين ما يجب لهما وما لا يحل فعله معهما (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) فشكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً ولله سبحانه وتعالى نعمة الخلق والإيجاد وللوالدين نعمة الإيلاد والتربية الصالحة والعناية التامة بالأولاد . وأعظم الناس منة وأكبرهم نعمة على المرء والداه اللذان تسببا فى وجوده واعتنيا به منذ كان حملاً الى أن صار رجلاً ، فأمه تحمله تسعة أشهر فى بطنها تعانى به ألم الوحام وثقل الحبل ثم تضعه كرهاً تشاهد الموت وتقاسى من الأسقام والآلام ما الله به عليم وترضعه حولين كاملين فتقوم به مثقلة وتقعد به متململة تضيق فى أول الحمل بالطعام والشراب أحشاؤها وتضعف عند الوضع أعضاؤها فحمله كرهاً ووضعه كرهاً ، ثم هى بعد ذلك تجوع ليشبع وتسهر لينام وتتعب ليستريح وتترك كثيراً مما تشتهيه خشية أن يتغير لبنها فيمرض ولدها وكم تعانى من الأتعاب عند فصاله ووقت فطامه فهي به رحيمة وعليه شفيقة تفضل موتها على حياته وتود لو يقبل الموت فداء فتفدي بنفسها ولدها الذى يجهل حقها ولا يؤدي اليها شيئاً مما لها عليه ، والجنة تحت أقدام الأمهات وهي أحق الناس ببر ابنها وحسن صحابته . (وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان) (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الي المصير) . وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لى أماً بلغ منها الكبر انها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها

مطية فهل أديت حقها قال لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها . أما أبوه فيجد ويسعى فى طلب العيش وتحصيل النفقة يظل نهاره يكد ويبات ليله يساعد الأم على التربيـة فيهز بطفله المهد ويسكته اذا بكى ويحاول دفع الأذى عنه بكل ما فى وسعه حتى الذى ينـاله من البق والبعوض :

ويخشى عليه الثقل من وطأة الذر

وكلاهما يقول :

وإنمـا أولادنـا بيننـا   أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى من الغمض

ولذلك أمر الله تعالى بطاعة الوالدين وبرهما جزاء لهما على ما صنعاه ومكافـأة لهما على جميل ما فعلاه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يستأذنه فى الجهاد فقال (أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد) وهاجر اليه رجل من أهل اليمن فقال (هل لك أحد باليمن قال أبواى قال أذنا لك قال لا قال فارجع اليهما فاستأذنهما فإن أذنا فجاهد وإلا فبرهما) . وبعض النـاس لا يكتفى بتقصيره فى الواجب نحو أبويه بل يعقهما ويؤذيهما ويجاهرهما بالسوء وفاحش القول فيقهرهما وينهرهما ويرفع صوته عليهما ويتأفف منهما ويقول لأحدهما أراحنا الله منك وأخذ عمرك وعجل بزوالك ياشيبة النحس ويا عجوز الويل وفيه يصح قول الشاعر :

أريد حيـــاته ويريد موتى   عذيرك من خليلك من مرادى

ولو صنع شيئاً من الاحسان من به على أبويه وظن انه الولد البـار الذى لا يوجد مثله وليس على الأرض أعرف بحق الوالدين منه . والعـاق الشقى يسمع والديه ما يسوؤهما وتضيق به صدورهما تكره معه الحياة ويتمنى لأجله المسكين انه لم يكن له ولد ويقول ياليتـه كان عقيماً فكلامه قبيح تئن له الفضيلة وتبكي له المروءة وتأباه الديانة ولا ترضى به الانسانيـة وفعله منكر تكاد تخر له الجبال هدا وتضيق به الأرض حدا فنهب مال أبيه ويخرجه

من بيته ويمنع عنه النفقة وربما رفسه برجله ولطمه على وجهه واستبد بالأمر من دونه وتحكم فى المال والبنين بغير اذنه وقال لأبيه قد أخذت حقك واستوفيت أجلك وسئمتك الحياة وملك الزمان

وما ذا تريد اليوم منا وأنت فى بقيـة أيام ورجلك فى القـبر
لقد ملك الدهر الطويل وأنت لم تمل حياة السوء فى آخر العمر

وقد لا يسب أبويه مباشرة ولـكنه يسب أم هذا وأبا هذا فيسبون أمه وأباه ويصبون على والديه من اللعنات أضعاف أضعاف ما صدر منه والبادئ أظلم . وفى الحديث لعن الله من لعن والديه . وما أكثر السب والشتم عندنا وما أسهل احتقار الآباء ولعن الأمهات فى الأسواق والشوارع والبيوت والمطاعم والقهوات . فليتق الله من كان يؤمن بالله ويخاف من غضب الله ومخالفة القرآن وسنة رسول الله وليعلم الذين تعيش أمهـاتهم ان حقهن عليهم عظيم وان طاعتهن من طاعة الله . ولن يدخل الجنة مدمن خمر ولا ديوث ولا عاق لوالديه . وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمعـاذ بن جبل رضى الله عنه (لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك) . وخرج صلى الله عليه وسلم يوماً على اصحابه وهم مجتمعون فقال يامعشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسير الف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زانـ ولا جار ازاره خيلاء إنمـا الـكبرياء لله رب العالمين . والكذب كله إثم إلا ما نفعت به مؤمناً أو دفعت به عن دين (الحديث) . ومن أشراط الساعة أن يطيع الرجل زوجته ويعق أمه وأن يبر صديقه ويجفو أباه . وبر الوالدين والسعي فى مرضاتهما شيء يحبه كل انسان لنفسه ومن كان فى يومه ولداً باراً أو عاقاً فسوف يكون فى غده والداً محتاجاً الى بر أبنـائه وبناته وسيفعلون معه كما فعل ، وكما تدين تدان ، والجزاء من جنس العمل . وفى الحديث بروا آباءكم تبركم أبناؤكم

وعفوا تعف نساؤكم . ومن كلامه صلى الله عليه وسلم كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة قبل الممات . ويذكر ان عاقاً كان يجر أباه برجله الى الباب فكان له ولد أعق منه وكان يجره برجله الى الشارع واذا بلغ به البـاب قال حسبك ما كنت أجر أبي إلا الى هذا المـكان فيقول له ولده هذا جزاؤك والزائد صدقة مني عليك . وبالجملة فحق الوالد على ولده حبه واحترامـه وتوقـيره وطـاعته والتأدب له والدعاء له والانفاق عليه . فأما الحب والاحترام والتوقير فهو واجب لـكل مسلم على أخيه وهو من الصغير للـكبير والمأمور للأمير والوالد من الولد . واذا كانت القلوب مجبولة على حب من أحسن اليهـا فلا أحد أكثر احساناً بعد الله على الانسان من والديه .

وقيدت نفسي فى هواك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

والطفل يظهر حبه لأمه قبل كل أحد فإذا غابت عنه دعاها وإذا أعرضت عنه ناجاها وإذا أصابه المـكروه استغاث بها وناداها يحسب أن الخير كله عندها ويظن أن الشر لا يخلص اليه ما دامت تضمه بيديها وترعاه بعينيها . وقد جعلت لها حضانته إذا فارقها زوجها حتى يميز الولد ويختار من شاء منهمـا بشرط أن تكون مسلمة حرة أمينة عفيفة عاقلة غير منكوحة لأجنبي ، وذلك من أجل أن تنشئه نشأة إسلامية وتبتعد به عن الفساق والخونة ولا تشتغل عنه بحق سيدها أو زوجها . ثم الولد لا يحب بعد أمه إلا أباه الـذي إذا دخل هش وبش له وإذا خرج تعلق به وإذا حضر قعد على حجره وصدره وإذا غاب سأل عنه وانتظر مجيئه يرى أنه إذا رضي أعطاه كل شيء وأنه إذا غضب قدر على كل شيء يخوف الناس كلهم بأبيـه ، ولو قيل له من ربك لقال أبي وأي حب واحترام بعد هـذا ولـكنه إذا كبر نسي الجميل وأنكر المعروف ولم يتذكر بعطفه على بنيه وتحكمهم عليه إنه كان كذلك فى صغره بين أمه وأبيه

إن للوالدين حقـاً علينـا بعد حق الإله فى الاحترام

أوجدانا وربيانا صغاراً فاستحقا نهاية الاكرام

أما الأدب والطاعة لهما فيحصلان بإمتثال الأمر واجتناب النهي في غير
ة الله وبالوقوف عند ما أراده والعمل بما يرضيهما وفيه موافقة لرأيهما
يصدق والده إذا تحدث وينفذ رغبته ويغدو عليه ويروح وقت ما يريد ولا
يوالي عدوه ولا يجانب صديقه والولد وما ملك لأبيه . وروي أن رجلاً
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أبى أخذ مالي ،
فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : إذهب فأتني بأبيك ، فلما جاء الشيخ
قال النبي : ما بال إبنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ، فقال له : سله
يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي ، فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم : دعنا من هذا أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك
ما سمعته أذناك ، فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك
يقيناً لقد قلت فى نفسي شيئاً ما سمعته أذناي ، فقال : قل فأنا أسمع

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما أحنو عليك وتنهل
إذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنني لأعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلاً له :
أنت ومالك لأبيك . وكما أن الله قد فرض على الأبناء بر آبائهم فانه تعالى
قد أوجب على الوالد أن يساعد ولده على البر وأن لا يكلفه من الطاعة ما
يشق عليه ويرهقه به من الأمر عسرا ، شأن بعض الذين لا يعرفون من
الحقوق إلا ما لهم ولا يبالون بما لأحد عليهم ، فهم يريدون التصرف فى
شؤون أبنائهم ويتحكمون فى أفكارهم فلا خير عندهم إلا فيما رأوه ولو كان

خطئاً بينا ، ولا شراً إلا فيما كرهوه وإن خالف المصالح العامـــة وأضر بأولادهم البررة ومـا أظن طاعة هؤلاء بواجبة فيما ليس لهم بحق ولا يعود عليهم بمصلحة . ولا حرج على الولد إذا خالف أمه وأباه فى ما لا يضرهما ولا يفوت به غرض شريف . ولا يخفى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شكا ولده عبدالله الى النبي صلى الله عليه وسلم حين أمره بطلاق زوجته فأبى وإنه عليه الصلاة والسلام قال له : طع أباك وحمله على الطلاق وهو كاره . ولكن ذلك لسوء خلق فى المرأة ولشيء يخالف رأي عمر الذى كان ينزل بموافقته القرآن . ولا يحل لأب يؤمن بالله أن يجبر ابنه على نكاح إمرأة لا يرغب فيها ولا يطيق العيش معها ، ولا ينبغي لمؤمنة أن توقع ابنها فى العقوق بمخاصمة زوجته وضرب أبنائه والتحكم فى بيته وما له كما تفعل الأمهات الجاهلات ، والله تعالى يقول (ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) . ومن البر ما يقدر عليه كل من الأولاد الذكر والأنثى والغنى والفقير والقوي والضعيف وهو الدعاء للآباء والأمهات أحياءاً وأمواتا ، وقد أمر الله به فى قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) . وقال نوح عليه السلام : (رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات) ، (وما كان إستغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم) . وفى الحديث الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) . والله يأمرنا بدعاء بعضنا لبعض ويرغب الآباء فى الدعاء لأبنائهم وبالعكس ويعد على ذلك بالإجابة وفضله عظيم وسائله لا يخيب ويثني على أهل قوله تعالى (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) ، ويمدح القائلين (ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان) . والقرآن يذكر الأنبياء ويصفهم بالبر كما يقول تعالى حكاية عن يحيى بن زكريا (وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا ، وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيا) . وقال عيسى ابن مريم (وأوصانى

بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبـــاراً شقيا) .
ويحسن أن يسمع الوالد ولده الدعاء له وبالعكس حتى يزيده نشاطـاً فى الخير وزيادة من البر ويزداد بذلك الأب شفقة عليه ورفقاً به . وكان بعض الصالحين كثيراً ما يقول فى دعائه (اللهم بارك فى أولادى ولا تضرهم ووفقهم لطاعتك وارزقنى برهم) ، وكان والدى رحمه الله يكثر من هـــذا الدعاء ويسمعنا إياه . وكما ينتفع الميت بالدعاء له فكذلك ينتفع بالصدقة عليه وهي على الوالد أجل وأفضل . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها قال نعم ، قال : فإن لي مخرفاً فأنا أشهدك إنى قد تصدقت به عنها) . ومن البر أن يتعهد الرجل أصدقاء أبيه وأن يحسن اليهم كرامة له ووفاء بحق أصدقائه ليذكروه فيترحموا عليه . وفى صحيح مسلم (عن عبدالله بن دينار ان رجلاً من الأعراب لقي عبدالله بن عمر ابن الخطاب فى طريق مكة فسلم عليه وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينـار فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير ، فقال عبدالله بن عمر : إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب وانى سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول إن أبر البر صلة الولد أهل ود ابيه) . ونفقة الوالد واجبة على ولده ان كان فقيراً عاجزاً عن الإكتساب لجنون أو زمانة تقعده عن العمل أو كان قادراً على الاكتساب فأعيته الأسباب لقلة ذات يده أو لعـدم العمل الذى يعيش به ولا فرق بين أن يكون الوالد مسلماً أو كافراً لقول الله تعالى (وصاحبهما فى الدنيا معروفاً) . ولـما روي عن النبي صلى الله عليـه وسلم (إن أولادكم هبة من الله وأموالهم لـكم إذا احتجتم اليها) ، وفى قوله إذا احتجتم اليها دليل على وجوب النفقة اذا عجزوا عن تحصيلها وانه لا يجوز لهم العبث بأموال بنيهم والتحكم فيها وصرفها فى غير ما يحتاجون اليه من الضروريات الا اذا كان بسماحـة نفس الولد ورضي بذلك . والنفقة على النفس والعيـال مقدمة على نفقة الآباء والأمهات ولو كانت الأم مزوجة لم يجب الانفاق عليها وان اسقطت نفقتها بالنشوز . ولا حق

للولد أن يمنع امه من الزواج ما دامت ترغب فيه وهو متيسر . ومن الاثم ما تلاقيه بعض الأمهات من غيرة ابنائهن عليهن إذا تزوجن وما تسمع من شتائمه وتعييرها بالنكاح . ولا يجب عليه أن يزوجها أو يلتمس لها الزوج وان طلبت ذلك . وعليه نفقة زوجة أبيه وان يعاملها معاملة لا تسوؤه . والبر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب وان افتاك الناس وأفتوك . والبر أيضاً حسن الخلق والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) . ووأد البنات مما كانت الجاهلية تفعله خشية العار وخوف الفقر والفضيحة . أما الآن فلا تطيب نفس المسلم ولا غيره بوأد ابنته لنهى الدين عن ذلك ونفور الطبع السليم عن مقارفة هذا الذنب المظيم إلا أن ترك البنت جاهلة كالبهيمة لا تعرف شيئاً من امور الدنيا هو عندى أشد من قتلها وأضر عليها من الوأد إذ لا خير فى حياة كثير من النساء الجاهلات اللاتى قصر آباؤهن فى الواجب نحوهن وتركوهن كالأنعام لا يهمهن من الحياة إلا الأكل والشرب وشراء الثياب والمبالغة فى ذلك .

خذ بالكتاب وبالحديـ	ث وسيرة السلف الثقاة
وارجع الى سنن الخليـ	قة واتبع نظم الحياة
هــذا رسول الله لم	ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة	لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا	سة والشؤون الأخريات
ولقد علمت بناته	لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأ الـ	دنيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت	آى الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنـ	طق عن مكان المسلمات

والحرص على المال وجمعه من كل وجه مع البخل به عن الانفاق فى سبيل الله ومواساة المحتاجين منه هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومنعاً وهات

وكما أنه لا يجوز البخل والاقتار فكذلك لا يجوز السرف والتبذير وصرف المال فيما لا يحل ولا تعود به مصلحة ولا يقع به نفع ولا ثواب كالذى يصرفونه فى القات والدخان وعلى المغنيين ولاقامة الحفلات والولائم التى لا يراد بها وجه الله ولا يقصد منها إلا المباهاة والتظاهر بالجود والسخاء وكذلك الخمر والميسر وما يقع فى القهوات من الحكم على المغلوب فى لعب الشطرنج والنردشير أو الدامة والدمنة والبطة بتسليم قيمة ما يشرب زملاؤه فى اللعب وما يكون من النجش فى الأسواق وهو المزايدة فى الثمن من دون رغبة فى السلعة ولكنه ضياع المال والتغرير بالغير وهو المعروف عندنا بالحراج ولا بأس به إن كان لغرض شريف ورغب المتنافسون فى المبيع كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذى جاء يسأله فقال (أما فى بيتك شيء ، قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتني بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشتري هذين ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع) .

وما ضرنا من الأمر شيء مثل القيل والقال والإشتغال بما لا فائدة فيه من الكلام ، وما أكثر هذا فى مجالس الفقهاء ومبارز القات وعند الذين لا يحسبون فى العير ولا فى النفير تسمعهم يخوضون فى السياسة ويتناولون أشخاصها بالنقد والتحليل ويعلقون على ما تنشر أمهات الصحف من الأنباء

والمعضلات الدولية ، وعلى السيارات وفى الطرقات ومن أفواه العامة ومن لا يؤبه له تسمع الأخبار وما يدور فى البرلمان ومجلس النواب وهل تمت المعاهدة بين الملك فلان ورئيس الجمهورية فلان وكيف كان توقيع مندوبى الدول على ميثاق كيت وكيت وهل تم عقد الشركة الفلانية والى أى حد بلغت المفاوضة بين الأمة والحكومة . وتسمع أيضاً من الجهال ذكر الخلاف بين الأئمة والفقهاء والمحدثين وأصحاب الرأي وانهم ليتفلسفون فى الآلهيات والطبيعيات وبديعيات ابن المعتز وحكم المتنبي ولزوميات المعرى . وفى المساجد من القيل والقال غيبة ونميمة واعتراض على الامام وعتب على متقدم ومتأخر وتال وذاكر ومصل ومتطهر وقد يحصل فيها البيع والشراء وترتفع الأصوات حين تسرق النعال أو يسأل عن الضالة وربما كان فى المسارعين الى الجمعة والمبكرين اليها من يتكلم والخطيب يخطب . وقد ذكرهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا صعد الخطب المنبر فلا أحد يتكلم ومن تكلم فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له . وكثرة الكلام والإشتغال بالقيل والقال مرض يصاب به الذين لا يفكرون فى ما يقولون ولا يتعقلون فى ما ينقلون وأطنه أشد ما يكون فى رواة الحديث وأهل الجرح والتعديل عافانا الله وإياهم من مخالفة الحق والاعتداء على الخلق آمين (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) .

الحديث التاسع والسبعون

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما :

﴿إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعلت هذا بولدك كلهم قال لا

قال اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم فرجع أبى فرد تلك الصدقة ﴾
(رواه البخارى ومسلم)

الحديث الثمانون

عن أبى هريرة رضى الله عنه :

﴿ان الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لا يرحم لا يرحم﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

النحلة : المطية . وفى الحديثين الأمر برحمة الأولاد والشفقة عليهم والتودد اليهم والتسوية بينهم فى الهبة والمطية . ووالد النعمان هو بشير بن سعد الأنصاري كان له أولاد من نساء متعددات وأحدهم راوي الحديث وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة الشاعر المشهور رضى الله عنهم وكان من أمر عمرة انها أرادت لولدها النعمان أن يحوز شيئاً من أبيه يختص به دون اخوته لصغر سنه أو لكونه وحيداً منهـا فطلبت من زوجها ذلك فجعل له غلاماً أو حديقة كما فى بعض الروايات ولم تكتف المرأة بما صنع الرجل حتى قالت له أشهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب بولده ليشهد على ما وهب له ولكن رسول الله المبعوث بالعداله والمساواه عاب ذلك وأبى أن يشهد عليه وعده من الجور وقال اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم وفى بعض الروايات قال له ألك ولد غيره قال نعم قال ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم فلا تشهدنى على جور أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء قال بلى قال فلا إذاً وربمـا قال سووا بين أولادكم فى المطية كما تحبون أن يسووا بينكم فى البر . واختلف العلماء فى هبة الوالد لولده وهل يجوز فيها

الرجوع أم لا وهل تجب التسوية بينهم أم لا` وهل يجوز تخصيص أحدهم بالهبة اذا كان له فضل على اخوته أو كان فقيراً عاجزاً عن الاكتساب أم لا . وظاهر الحديث يدل على وجوب المساواة بينهم الا اذا رضوا ووافقوا على ما صنع أبوهم كما وقع ذلك من أولاد أبى بكر وعمر فى ما جعله الصديق لعائشة ثم رجع عنه عند موته لأنها لم تقبضه وكذلك جعل الفاروق لولده عاصم بن عمر . ومن اراد بر أبنائه وأن يترحموا عليه اذا مات ولا تكون بعده خصومة فليتق الله وليسوي بينهم وليجعلهم عنده بمنزلة واحدة لا يفضل أحداً على أحد الا بعلم أو عمل صالح . واذا وجبت التسوية بينهم فهل يجعل الذكور كالأناث أم يجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، خلاف بين العلماء فى المسألة والظاهر وجوب التسوية بين الذكور والأناث . والذين يقصدون حرمان أولادهم وأن لا يكون لبناتهم شيء من التركة بعد الموت فيهبون للذكور أو ينذرون لهم فأولئك لا يجدون رائحة الجنة ولا يقر صنيعهم الا فاجر يعينهم على المعصية . وقد حكم بصحة النذر لأحد الأولاد بعض الفقهاء وجعلوا الكراهة لأمر خارج كصيام الدهر والواقع انه مكروه كراهة شديدة ان لم يكن حراماً وكيف يصح به النذر وهو لا يكون الا قربة أو مباحا . ومن الناس من يقول نذرت بهذا أو وهبت هذا لولدى فلان دون اخوته ثم يبقيه فى يده وتحت تصرفه الى أن يموت أو يقول اذا كان قبل مرض موتى بثلاث أيام فقد جعلت كذا وكذا لفلان من أولاده وهى حيلة وضعها علماء السوء للذين لا يخافون الله ولا يتقونه أحياء ولا أمواتا فتقوم الخصومات وتثور الأحقاد ويقع الظلم وتقطع الأرحام ويقولون لميتهم لا رحمه الله ولا غفر له . وقد تحسن نية الانسان أو يريد حفظ التركة لأولاده فيجعلها وقفاً عليهم ولكنها لا تمر الا مدة قصيرة فتكثر الأسرة ويتعدد الأولاد وتتشعب الأنساب ويتنافس النظار فيتنازعون ثم يتقاتلون أو يدلون بأموالهم الى الحكام ولذلك أبطلت الأوقاف الأهلية فى كثير من البلاد الاسلامية ، والله تعالى أعلم بمصالح عباده . وما جعل الفرض والتعصيب وتولى قسمة

المواريث بنفسه الا ليأخذ كل ذى حق حقه ولئلا يخرج الناس من حزن على ميتهم الى مخاصمة ومحاكمة بين البنين والبنات والآباء والأمهات والأخوة والأخوات وهو القائل جل ذكره (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) «الآيات» . والأقرع بن حابس رجل غليظ الطبع قاسى القلب قد استغرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الحسن بن علي ابن أبي طالب وذكر انه لم يقبل أحداً من أولاده العشرة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ رد وقال له أو لغيره أو أملك لك ان كان الله قد نزع من قلبك الرحمة . ومنه نعلم رحمة الأولاد وكيف ينبغى أن يعاملهم آباؤهم يقبلونهم صغاراً ويحسنون اليهم كباراً ، والولد ريحانة الجنة . وقال بعض الحكماء ذهبت من الدنيا ملذاتها الا ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلوة مع النسوان . وقيل لآخر من أحب أولادك اليك فقال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر . وقال الأحنف بن قيس أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فإن غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزراً فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك . وكان السلف الأولون من عظماء الصحابة والتابعين يداعبون أطفالهم ويرقصونهم بالأشعار التي تفيض رحمة وحناناً كما يقول الزبير بن العوام لبعض أولاده

أزهر من آل بني عتيق
مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقي

وكان يقول العباس بن عبدالمطلب لولده تمام

تموا بتمام فصاروا عشرة
يا رب واجعلهم كراماً بررة
يا رب زكيهم ونمي الثمرة

ويوم مات ابراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه بالدموع ، وقال :

(إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون) . وأصدق شاهد على حب الولد تعليمه وحسن تربيته وأن يمرنه على طاعة الله وأن يبغض اليه المعصية ومصاحبة الأشرار ومن لا خير فيه . وقد ذكر الغزالي فى تربية الأولاد من كتابه الاحياء طرفاً صالحاً ، وأفرد ذلك بعض العلماء بالتأليف ثم التربية تختلف باختلاف الأزمان والبلدان وما يصلح عند قوم لا يصلح عند آخرين وما يحسن فى بلد لا يحسن فى بلد آخر والعاقل من كان عنده لكل مقام مقال ولكل آن شأن .
وليس من الرحمة ما يصنعه بعض الآباء من تدليل أولادهم ورفع المسؤولية عنهم وترك الحبل لهم على الغارب يفعلون ما يشاءون وينشأون كما يريدون ولا يليق أن يأخذ الرجل ولده معه إذا دخل أو خرج ولا أن يذهب به معه الى بيوت الولائم ويقول كما يقول بعض المغفلين املأوا لي صحني ، واطرحوه فى حضني ، وادنوا ابنى مني ، واقعد عندي يا بني ، ويقول الذي لا يصبر على أولادى أنا لا أصبر عليه ولا أحب أن يدعونى . ومنهم الذين يغضون أبصارهم عن عبث أطفالهم بحقوق الناس وكراماتهم ويسمعون منهم كلاماً قبيحاً وفحشاً وبذاءة فيسكتون ولا يعيرون الأمر أى اهتمام واذا تعدى بنوهم على أحد اعتذروا لهم وقالوا صغار لا يفهمون وأطفال لا يؤاخذون وإن تعدى عليهم أحد أو دفع عن نفسه أذيتهم غضبوا لذلك وأرغوا وأزبدوا وقالوا صغير وحبة عين ومثله لا يضرب وإن أساء لا يعاقب والويل والثبور لمن تألم منهم أو شكا بهم الى الأمهات الجاهلات أو آبائهم الحمقاء . وانهم ليلبسونهم الذهب والحرير ويعدون لهم الفراش الوثير ولا يردون لهم طلب ولا يمنعونهم من شيء وإن كان فقرهم ظاهراً وبؤسهم مشاهداً فينشأون مترفين لا يصبرون على مكروه ولا يثبتون لحادث ولا يكتفون بما تيسر ولا يشكرون على نعمة ان اغتنوا كانوا مسرفين وان افتقروا كانوا مساكين بائسين تخور قواهم وتضعف عزائمهم لأصغر مصيبة وتضيق قلوبهم وتفيض عيونهم بالدمع لو اتسخت ثيابهم أو بات أحدهم بغير

عشاء وما ذالك الا نتيجة التربية السيئة وعاقبة الحب الكاذب والرحمة المزيفة وخير الأمور أوساطها ، والذى لا يرحم أولاده لا يرحم أحداً بعدهم أبدا .
وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب عهداً لبعض عماله فجاء أحد الأطفال ووقع فى حبية الخليفة فأخذه يقبله وقال العامل كيف تقبل يا أمير المؤمنين الأطفال وهـذا يجرؤهم عليك وأنا والله ما قبلت أحداً من أولادى قط فزق الكتاب وعزله عن العمل وقال انك ان لم ترحم أولادك لا ترحم غيرهم . وما كانت الصبيان تحضر المساجد ومجالس الخـــير الا ليتعودوه ولينطبع فى نفوسهم الإيمان وتألف أعضاؤهم العبادة . ولبت اخواننا الذين يذهبون بأبنائهم الى السينما ومجالس الفساق يعلمون ما تترك المشاهدات من الآثار فى نفوس أبنائهم وبناتهم

والطفل يحفظ ما يلقى اليه ولا ينساه إذ قلبه كالجوهر الصافي
فانقش على قلبه ما شئت من خبر فسوف يأتي به من حفظه وافي

والأولاد أمانة الله عند آبائهم وفى صحائفهم يكتب ما يفعلون وإنهم عنهم عند الله لمسؤولون .
(يا أيهـــا الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا انما أموالـكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) .

الحديث الحادي والثمانون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :
﴿إن زينب بنت أبي سلمة كان اسمها برة فقيل تزكي نفسها فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

لنا فى الحديث بحثان : أحدهما التزكية والآخر التسمية ، وقد نهى الله جل ذكره عن تزكية الإنسان نفسه ، فقـال تعالى (فلا تزكوا أنفسكم

هو أعلم بمن اتقى) ، وقال أيضاً (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) . وقالت أم العلاء الأنصارية لعثمان بن مضعون حينما مات عندهم رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما يدريك إن الله أكرمه فقالت : بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله ، فقال عليه السلام : أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بى ، قالت : فوالله لا أزكي أحداً بعده أبدا) . وبما ذكر نعلم أن أحداً لا يزكي نفسه ولا غيره إلا بما يعلم ولا يثني الإنسان على آخر إلا بالحق وما يشاهد من صدقه إذا تكلم وما يسمع منه إذا خطب أو درس أو تحدث بالخير وإلا بما يعرف من عمله الصالح فى عبادته ومعاشرته ومعاملته فيقول نعم الصائم القائم الخاشع القانت الصادق المصدق الصابر فى البأساء الشاكر على النعماء الأمين إذا اؤتمن العادل إذا حكم المنجز إذا وعد الموفي إذا عاهد والجاد إذا عزم والعابد البار التقي إذا علم بشرط ألا يغالي فى المدح ولا يفتن من يثني عليه بما يقول ومن مدح إنساناً حاضراً فقد ذبحه ولا سيما إذا وصفه بما ليس فيه . ومر أحد العباد بقوم يذكرونه بقيام الليل كله وكان لا يقوم إلا نصفه فاستغفر الله مما قيل فيه وعاهد ربه أن يقوم الليل كله . وإذا لم يكن المدح من شهادة الزور فهو مطلوب لمن يستحقه حياً وميتاً والمسلمون شهداء الله فى أرضه . وفى الحديث الشريف (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قالوا وثلاثة يا رسول الله قال وثلاثة فقالوا واثنان قال واثنان ثم لم يسألوه عن الواحد) . وقد مدح صلى الله عليه وسلم شعراً ونثراً وما عاب ذلك ولكنه كان يكره الإطراء ويقول لا تطرونى كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم ولكن قولوا عبدالله ورسوله ، ولله در القائل :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وكان يجيز الشعراء ويصلح ما يسمع منهم من الخطأ كما قيل أنه أصلح فى بيت كعب بن زهير

إن الرسول لسيف يستضاء به

فقال صلى الله عليه وسلم :

لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وكان يذكر أهل الخير بالخير ويثني عليهم ويمدح الأنصار ويقول فيهم لو سلك الناس فجاً أو شعباً وسلك الأنصار فجاً أو شعباً آخر لسلكت فج الأنصار أو شعبهم . ويا قبح الله كثيراً من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ، وفى كل واد يهيمون ، ويمدحون الأنذال بما لا يستحقون فطوراً يرفعون الملوك الى حد الألوهية وتارة يتجاوزون بالعلماء والصالحين حد النبوة وحيناً يشبهون أمراء السوء وشياطين الظلمة بالملائكة السفرة الكرام البررة كقول بعضهم فى الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله

فسدرة المنتهى لا شك حضرته لقد تناهى اليها علم جبريل

ترى المحبين صرعى تحت قبته وقلبهم عن هواه غير مشغول

أما تراهم وفي أطارهم ربضوا ببابه كأسود الغيل بالغيل

وقول الآخر فى سيده الميت فلان

لا تلمنى على الوقوف بباب تتمنى الأملاك فيه وقوفي

هو باب مجرب ذو خواص كان منها إغاثة اللهوف

من يروم الفتوح مما سواه طرقت بابه أكف الحتوف

وقول أبي الطيب المتنبي

فما ترزق الأقدار من أنت حارم ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

ولا تفتق الأيام ما أنت راتق ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق

وفى الناس من يزكي نفسه ويتحدث دائماً عن أعماله ومفاخره ، فاذا ذكر الناس أحداً فى الجود ادعى أنه حاتم وإن ذكروا بالعلم أحداً زعم أنه البخاري فى الحديث وأبو حنيفة فى الفقه ، يعد للناس مناقبه ويقول فعلت وتركت وأعطيت ومنعت وتكلم القوم فما أحسنوا وقمت أنا فأتيت بفصل الخطاب يصم أسماع جلسائه بأنا وأنا ويزكي نفسه ويروي ما قيل فيه من

المدح والثناء ولو طلب منه شيء لاعتذر عنه ولو انتدب لأقل شيء لتأخر عنه . ومن أولئك من يقول دعاني الملك وتحدثت مع الحاكم وجلست مع فلان وفلان وقلت للوالي وقال لي وتخرج على يدى المئات من الطلبة وكتبت فى المجلات والجرائد المقالات الكثيرة المسهبة فى الدين والأدب والسياسة والوطنيات والاجتماعيات ، وحقيقة حاله إذا عرفته كسول لا يعمل وعاجز لا يستطيع وقادر لا يريد وأنانى يحب أن يقال فيه ما لا يستحق ويدعي ما ليس له بحق لسانه أطول من يده ولا قلب ولا نفس ولا عزم عنده وقاتله الله حين يقول أنا لا آكل إلا حلالاً ولا أطعم إلا من كسب يدى ولا أفطر إلا نادراً ولا أنام من الليل إلا قليلا ومادح نفسه كذاب ولو صدق فكيف بمن يدعي الكرامة والمكاشفة والعلم بالمغيبات وخوارق العادات .
ومن تزكية النفس منامات الذى يقول رأيت فيما يرى النائم إنى جلست على كوكب الشمس أو صليت فى السماء أو اجتمعت بطائفة من النبيين والمرسلين وقد يكون صادقاً فى شيء من ذلك ولكن الحديث به من التزكية المنهي عنها فى الكتاب والسنة . وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزكى الانسان نفسه بالاسم فكيف إذا كان بالصفات والدعاوى الكاذبه . وقد كره من المرأة أن يكون اسمها برة كما علمت من الحديث وكما قالت هي رضى الله عنها سميت برة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم فقالوا بما نسميها فقال سموها زينب .
وأحب الأسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن وأصدقها الحارث وهمام وخيرها ما عبد وما حمد كعبدالرحيم وعبدالكريم واحمد ومحمد ومحمود وحامد . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يسمي كثيراً من أولاد الصحابة ويعجبه الاسم الحسن ويكره الاسم الخبيث ويقول أخنع الاسماء عندالله رجل تسمى ملك الأملاك وهى كما يقول الفرس شاهنشاه . قال العلماء وتحرم التسمية بضيف الله وجار الله وعبد النبي وعبد الرسول وعبد محمد وكلب علي وفدا علي وعبد علي وعبد الحسين ونحو ذلك مما فيه جرأة على الله وإضافة العبودية

الى سواه . وكانت لعمر بن الخطاب ابنة سماها عاصية فسماهـا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم جميلة . وغير أسماء خبيثـة كان النـاس يتسمون بها كالعاصي وعزيز وعتلة وشيطان والحـكم وغراب وحباب وشهاب فسمى شهاباً هشاماً وسمى حرباً سلمـاً وسمى المضجع المنبعث وسمى بني الزينة بنى الرشدة وسمى بنى مغوية بنى رشدة أيضاً ، وحتى الأماكـن والبقاع كان يغير أسماءها فقال فى شعب الضلالة شعب الهدى وأرض يقال لهـا عفراء سماها خضرة . وليس القصد من التغيير إلا إستبدال الطيب بالخبيث والحسن بالقبيح لا كما يظن الذين يعتقدون فى النجوم ويتوهمون أن للأسمـاء تأثير فى النحس والسعادة فيسمون الولد زيداً وعلوان بعد مـا كان محمداً وعبدالرحمن لأن نجمه الأول كان القوس أو الجدى والثانى السنبلة أو الحوت ومنهم من يغير اسم المرأة عند عقد النكاح عليها توهماً منهم أن اسمها الأول لا يتفق مع اسم زوجهـا الجديد والخير والشر بيد الله والمنجم لا يعرف شيئاً من قدر الله ولو كان يملك بالأسماء نفعاً أو ضراً لغير اسم نفسه وحاول أن يـكون نجمه أسعد البروج الإثنى عشر . وعندنا أسماء كثيرة معانيها خبيثة وغير مفهومة كدهش وملهي ومكرد وكليب وردمان وشمسان وذئاب وداغم ونحوهـا ، وألقاب كـذلك مثل بومة وغراب وحرمل وزنبور ودهيس وقهيد وبملول ونحوهـا . والناس تختلف أذواقهم وتتباين رغباتهم فيستحسن هذا مـا يستقبح الآخر وبالعكس . وهـذه الأيام شرع الأدباء والمتعلمون فى إحياء أسماء العرب الأولين كطارق ومنذر وأسامـــة وهشام وكاد أكثر الآباء والأمهات ينسون أسمـاءهم المعتادة ويحتقرون اسم احمد وصالح وقاسم وحسن وعلي ونحوها ويسمون أبناءهم وبناتهم فيصل وغازى وفؤاد وفاروق وشوقي وحافظ وشكيب وزكي وفهمي وحلمي ، وفائزة ونائلة وطرب ورجاء وفريدة ورباب وفريال . ولا مانع شرعاً ولا عقلاً من إختيار الأسماء والألقاب متى كانت شريفة ومعانيها جميلة وإنمـا العيب على من يسمي ولده ثلاثة أو أربعة أسمـاء قبل أن يتجاوز سن الفطام ولا يستطيع أن يسجل اسم ابنه أو ابنته

فى دفتر المواليد أو السكونية وقد يكون المسجل شيء والاسم المستعمل شيء آخر . ولن يفوتنى بهذه المناسبة أن أعيب على الذين يهملون تاريخ المواليد ويقصرون فى تسجيل أبنائهم بدفاتر الحكومة فيحرمونهم حق الوطنية ويفوتون عليهم بذلك مصالح كثيرة . وقد ثبت فى الحديث (إن لله عز وجل كتابين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وبأسماء أهل النار وآبائهم وقبائلهم) . وقد بشر الله نبيه زكريا بغلام سماه قبل أن يخلقه ، فقال تعالى (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا) . وقالت إمرأة عمران (رب إني وضعتها أنثي والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

الحديث الثانى والثمانون

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

أدب وارشاد وتربية وتعليم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى حديث قصير من جوامع كلمه يأمرهم فيه بخمسة أشياء من أدب المبيت وكلها تعود بالنفع

العاجل والمصلحة الحسية واتقاء البأس من الجنة والناس وهى كف الصبيان عند غروب الشمس واغلاق أبواب البيوت وتوكية القرب وتغطية الآنية واطفاء المصابيح من أجل ان الشياطين تنتشر عند الغروب فتعيث فساداً فى الأرض وتصيب الأطفال الذين يعبثون بالحشرات اذا خرجت من اجحارها ويرمون طيور الليل اذا انبعثت من أوكارها وتقوم المعارك بينهم فى الشوارع وعلى الأبواب اذا اشتغل أهلهم بصلاة المغرب وتدبير المنازل ، وقد يلعبون بالوضف والمزراق والكرة والقله والخذروف فيصيبون بها وجوه المارة وأعينهم ويدفعها الشيطان بأيديهم الى حيث يكون الخطر ويحصل الضرر فينبغي كفهم والمحافظة عليهم فى تلك الساعة ساعة المغرب وسيغلبهم النوم بعد ذلك فإن كانوا صغاراً استراحوا وأراحوا وإن كانوا كباراً اشتغلوا بالصلاة والعشاء ومطالعة دروسهم أو استمعوا لأحاديث آبائهم التى يعرفون بها الماضى ويستعدون بها للمستقبل . ويجب على الأمهات فى السمر تجنب الحكايات المخيفة والروايات المفزعة كيلا يتخيلها الأبناء فى المنام وينطبع فى نفوسهم تصديقها . وكثيراً ما تسمع الصغار وهم يروون قصة العفريت مع الصياد والسندباد البحرى وأمثالها من الأشياء التى تخوفهم من طلوع السقف ودخول الخلاء بغير مصباح أو مؤانس فيبول أحدهم فى فراشه وهو مستيقظ خشية أن يرى ما ليس له فى الخارج وجود . ويجدر بالآباء عند فساد الزمان الاحتفاظ بأولادهم الشبية من الخروج ليلاً ومرافقة الأشرار والسمر فى بيوت السنما وأندية الفساق ومجتمعات الأنذال لئلا تصيبهم العدوى ولأن داعى الفساد مجاب . ثم الهداية بيد الله يضل من يشاء ولو كان من ذرية الأنبياء ويهدي من يشاء ولو كان من أولاد الفراعنة

إذا المرء لم يخلق سعيداً تخلفت ظنون مربيه وخاب المؤمل

فموسى الذى رباه جبريل كافر وموسى الذى رباه فرعون مرسل

وحفظ البيوت باغلاق أبوابها يرد عنها شياطين السراق الذين يستترون بالظلام فيدخلون المنازل مع الصبيان والبهائم وحين يغفل سكانها ، وإذا

ذكر اسم الله وأغلق الباب فقد حفظ الانسان نفسه وأحرز ماله حساً ومعنى وقالت شياطين الجن بعضها لبعض لا مبيت لكم ها هنا ولا عشاء . ومهما تكون قوة الأبواب واحكام أقفالها فلا بد من التسمية التي يدفع الله بها من البأس ما لا يدفع بالمسامير والغلق والشيطان لا يفتح باباً مغلقاً إلا السارق الذى بضاعته المفاتيح المختلفة والمبرد والمنشار وآلة النقب والحفر فيخذله الله ويخيب آماله بالتعاويذ والتحصن بالتسمية وذكر الله فاذا جاء فزع وإن حاول الدخول لم يجد الفرصة يحس به الجار ويزعجه المار ويستيقظ النائم فيعود بخفى حنين أو يقبض عليه فيكتف ويضرب وتجازيه العدالة بما يستحق .

والمبعوث بسعادة الدنيا والآخرة وحفظ النفوس والأموال يأمر باتخاذ الأسباب فى طلب الخير والابتعاد عن المكروه بتوكية الأسقية وتغطية الآنية فلا يفسدها الهواء ولا تدخلها الحشرات . وقد روي ان رجلاً شرب من فم السقا فانسابت الى بطنه حية كانت فى الماء وما دخلت فيه الا لإهماله وتركه مفتوحاً وكذلك نهينا عن الشرب من ثلمة الاناء التى لا يستحكم الشرب منها ولا يقع عليها الغطاء . وفى أدب الشرب من كتب الحديث النهي عن التنفس فى الاناء والشرب قائماً وفائدته مع الامتثال العناية بالصحة والابتعاد عن المخاوف . وعليك لنفسك ولغيرك الاتقان فى العمل والاحكام فى ما تفعل وتترك ، فلا يكن بابك ضعيفاً قفله ولا تنم وهو مفتوح ولا تأكل من كل طعام وتشرب من كل اناء وتعد ذلك توكلاً على الله . فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم هل أعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل على الله فقال صلى الله عليه وسلم أعقلها وتوكل . ثم لا إفراط فى الشكوك والأوهام والفزع ولا تفريط بالاهمال والتقصير واتخاذ ما يلزم وابتغ بين ذلك سبيلا .

وكان الناس يستضيئون بمصابيح الزيت وفيها الفتايل واذا غفلوا عنها أو ناموا وهى توقد نزف الزيت واحترقت الذبالة وربما أخذتها الفأرة فأحرقت بها البيت على أهله ولذلك أمروا باطفاء المصابيح وكانوا لا يفهمون من سر الأمر الا هذا . والواقع انه مطلوب لما فيه من الاسراف واضاعة المال

وتعريض السراج للتلف بسقوطه أو احتراقه . وأخطر ما يكون مصابيح الكهرباء التي لا تؤمن غائلتها وخطرها عظيم . ويلحق باطفاء المصابيح دفن النار والمبالغة فى اخمادها عند النوم (ومعظم النار من مستصغر الشرر) . وشارب الدخان لا يلقى بسجارته الا بعد اطفائها ثم لا يضعها فى كل مكان وكيفما اتفق له فربما أحرق بها الفراش والأثاث ، ويا للهول ان كان بقربه الغاز أو البنزين أو شيء آخر من المواد المشتعلة . ولو كنت أنا أدخن لذكرت بهذه المناسبة ضرر الدخان وما يعود به على شاربيه من الآلام والأسقام والخسارة وخبث الرائحة ، ولكن أهله يعرفون جميع ذلك وهم به خبراء ، وحبك الشيء يعمي ويصم

محضتني النصح لكن لست أسمعه ان المحب عن العذال فى صمم

وسيأتي لنا مزيد كلام فى الدخان فى الحديث الثالث والتسعين . وما أحسن ما جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من أدب الدنيا والدين ومنافع طبية يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا ، واذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما ، ولهديناهم صراطاً مستقيما) .

الحديث الثالث والثمانون

عن المعرور بن سويد ، قال :

{ رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل

وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه ﴾ (رواه البخاري ومسلم)

رحمك الله ورضي عنك يا أبا ذر العابد الزاهد الصادق الذى لا تأخذك فى الله لومة اللائمين وحسبك من المدح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر . فلقد كنت قوالاً بالحق صبوراً على الأذى فى الله ومبدأك فى الاشتراكية الاسلامية معروف ، ترى الناس كلهم أخوة فى المال وانه لا يستأثر أحد على أحد بثروة بل المال منفعة مشتركة بين المسلمين ، ومن أجل صلابتك فى الرأي وثباتك على المبدأ تموت غريباً منفياً وطريداً مقلياً وممنوعاً من الفتيا وكل عامل بعلمه لا يفعل الا كما فعلت حيث لبست النفيس من الثياب وألبسته غلامك امتثالاً لما رويت أنت من حقوق المماليك على أسيادهم . ومرة يصير بين أبى ذر وبلال المؤذن خصام فيذكر أمه الحبشية ويعيره بها ولئن تكن كافرة فأم أبى ذر كذلك كافرة وإن كان عيبها السواد فى جلدها فالله أعلم بقلبها ولعلها المستحقة والأولى بقول الشاعر

أشبهك المسك واشبهته قائمة فى لونه قاعدة
لا شك اذ لونكما واحد انكما من طينة واحدة

وقد عاتب النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر على ما كان منه ولامه على ما قال ونسبه الى الجاهلية حيث قد علم انه لا فضل لعربى على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بتقوى الله ، ثم أخبره بأن العبيد اخوانكم فى الدين والبشرية لهم نفوس كنفوسكم وعواطف تتأثر بإساءتكم اليهم كما تتأثرون أنتم بإساءتهم اليكم وما جعلهم الله تحت أيديكم الا ليساعدوكم على أعمالكم فلا تغلظوا لهم فى القول ولا تكلفوهم من الأعمال فوق طاقتهم وإن كلفتموهم فأعينوهم لأنهم لم يخلقوا حجارة ولا حديدا ولكنهم بشر تتألم أجسامهم بالأعمال الشاقة وتجرح مشاعرهم بسيئ القول والكلام البذىء والاسلام لا يرضى

قول الشاعر

لا تشترى العبد إلا والعصا معه   ان العبيد لأنجاس منا كيد

ولا يؤمن بقول الآخر العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة ، الا اذا كانت الحرية فى النفس وأريد بالعبيد الذين طبعوا على الذل والامتهان وصارت نجاستهم باطنية وخبثهم نفسانى . فاتقوا الله فيهم واعلموا ان لهم مثل الذى عليهم بالمعروف . وكم كان صلى الله عليه وسلم يوصى بالضعيفين العبد والمرأة حتى كان ذلك من آخر كلامه فى مرض موته ولم يكتف بطلاقة الوجه ولين الجانب من السيد لعبده وأمته فحسب ولكنه يأمر أن يأكل هذا الضعيف مما يأكل سيده. وأن يلبس مما يلبس . ولم يكن فى الأرض دين كالإسلام يأمر بمعاملة الرقيق كما فى هذا الحديث بل كانت الأديان سابقاً تهمل ذكره البتة أو تبيح للسيد أن يتصرف فيه كما يتصرف فى سائر أعيان ماله . وقبل وقت قصير كانت أوروبا وأمريكا تعذب الأرقاء وتقتلهم ببقر البطون واحراقهم بالنار . ومعاملة الهنود الحمر من الدخلاء فى أمريكا غير خافية على أحد . وبين الشريعة المحمدية والشريعتين الموسوية والعيسوية فى شأن الرقيق فرق كبير وبون شاسع . وهذا كتاب العهدين القديم والحديث بين أيدينا وفيه كثير من تحكم الأسياد فى عبيدهم . والقرآن يحث على العتق وفك الرقاب ويجعل من الزكاة سهماً مفروضاً لهذا الغرض ويعده من أفضل القربات المكفرة لسيئات الآثام (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة) ومن قتل نفساً أو جامع امرأته فى نهار رمضان وهو صائم أو حنث فى يمينه فعليه عتق رقبة ومن قال كذا أو فعل كذا من الخير فكأنما أعتق رقبة ولو زنى المملوك أو شرب الخمر فإنما عليه نصف الحد ولا رجم أبداً ولا جمعة ولا حج ولا جهاد عليه لاشتغاله بحق سيده . ومثل الرقيق فيما ذكر من حسن المعاملة وجميل المعاشرة الخادم والأجير لا يضرب ولا يشتم ولا يكلف فوق ما فى وسعه ولا يظلم فى أجره ولا يبخس فى حقه بل تجب معاملته

بالحسنى فيشكر اذا أحسن ويعاتب اذا أساء بالتي هى أحسن . ومن الناس اليوم من يعامل خادمه بالعنف والشدة ويخاطبه بما لا يجوز ولا يليق بأدب المسلم ومروة الأشراف فلا يسميه الا الغـلام ولا يقول له الا هات يا خدام وخذ ياسفيه وافعل كذا واترك كذا ياقليل الحياء . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدى وأمتى ولـكن يقول فتاي وفتاتى . فليتق الله من ولي أمر غيره وكان تحت يده رقيق أو أجير فإن عليه قبل كل شيء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتوصيته بتقوى الله فى سره وعلنـه وفعله وتركه . ومن أراد أن يطاع فلا يأمر بمعصية ولا يكلف النفس إلا وسعها فرب معصية غير مقصودة وإساءة لا يريدها الخـادم ولـكنه عجز عن تنفيذ ارادة سيده أو ضعف عن العمل لجوعه وشقائه . وقد فرض الله نفقة المملوك عبداً كان أو دابة وجعل ذلك بحسب حال السيد ايساراً واعسارا . وصرح الفقهاء بأنه لو عجز عن الانفاق أمر بالبيع أو الاعتاق فان امتنع أجبره الحاكم على ما لا بد منه . وما ينبغى لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستأثر بالطيبات وينهمك فى الملذات وخادمه بائس منكود . وفى الحديث (اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه ودخانه فليجلسه معه فـإن لم يجلسه معه فليناولـه أكلة أو أكلتين) يعنى لقمة أو لقمتين . (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملـكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخورا) .

الحديث الرابع والثمانون

عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه ، قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل

الـكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران ﴾

(رواه البخارى ومسلم)

من كرم الله عز وجل أنه يثيب على العمل الصالح مرتين وثلاثاً وأكثر وثوابه عظيم ولا يعلم مقدار ما يكون من جزاء المحسنين إلا هو سبحانه ومن الذين يؤجرون مرتين هؤلاء الثلاثة رجل آمن بنبيه المبعوث اليه وصدق برسالته والتزم ما جاءت به شريعته ، ثم جاء نبي آخر محمد أو غيره ومعه كتاب آخر القرآن أو غيره فآمن به وقال كل من عند ربنا لا نفرق بين أحد من رسله سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . فذلك يؤجر مرتين ويثاب على الإيمان بالنبيين والتصديق بالكتابين كعبدالله بن سلام الإسرائيلي ومن على شاكلته من الذين عرفوا الحق واتبعوه واستمعوا له وأطاعوه راغبين فى ما عندالله من الخير ومصدقين بناموس الطبيعة ونظام الخليقة الذى تقتضيه الحكمة الإلهية وسنة النشوء والإرتقاء . وإن الزمان يتطور بأهله أطواراً مختلفة ويدور بهم دوراب متباينة . فالانسان الأول ما كان ليحتاج الى الأحكام والأنظمة الإجتماعية كما يحتاج اليها الانسان الذى بعده ، فشريعة ابراهيم مثلاً هى أقل فى أحكامها وتكاليفها من الشريعة الموسوية وهكذا . والأديان السماوية كلها متفقة على الإيمان بالله وحده والتصديق بالمصير اليه ليجزي كل نفس بما تسعى ، وتحث على الأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق كما أنها تحذر من مساوي الأمور والتقصير فى الواجب . وكلما تقدمت الحضارة واتسعت المدنية وامتلأت الأرض بالانسان دعت الحاجة الى وضع الشرائع وسن القوانين وتختلف الأساليب فى الأمر والنهي والترغيب والترهيب والثواب والعقاب المعجلين فى الدنيا والمؤجلين الى يوم القيامة . ومن عرف الأديان وما جاءت به من التخفيف والتشديد

والتحليل والتحريم علم أن الله ما كان يبعث بها رسله إلا لحاجة الناس اليها ، وكثيراً ما ندرك هذا فى الأمور الاجتماعيــة ونفهمه من المسائل المشتركة . أما التعبد وما يكون بين الانسان وربه فقليلاً ما يعرف سره وقليلاً ما تدرك العقول مغزاه . فالمعـاملات والأنكحة والجنايات والحدود فى التوراة ثم فى الانجيل الذى جاء مصدقاً لما بين يديه هى أوسع مما كان فى الشرائع القديمة والأديان السابقــة وهى فى القرآن أكثر ممــا فى غيره من الـكتب السماوية كلها يقر بعضها لما فيه من المصلحة العامة واحترام الحقوق الانسانية وينسخ بعضها لعدم صلاحيته فى آخر الزمان أو لأنه ليس مما تدين به الشعوب والأمم التى عرفت من الاسلام عظمته وإنه صالح لـكل زمان ومكـان ومتكفل بسعادة الأول والآخر وحمـاية الحقوق وكف الأذى . ومن أمثلة ذلك الدماء واحترامها فى التوراة والقرآن كما يقول تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بمـــا أنزل الله فأولئك هم الظالمون) . وكذلك الأموال والأعراض محترمة فى الـكتابين فلا يحل الربا لما فيه من الظلم والإجحاف بحق المستدين ولا يحل الزنا لما فيه من الإعتداء على الحرمات والكرامات والعقوبة عليه واحدة فى جميع الشرائع المعروفة أحكامهــا ، وتفاصيل ما جاءت به من العقوبات والحــدود ونظام المعاملات وتعدد الزوجات مثلاً يختلف بإختلاف الشرائع وحاجة النـاس اليها . وإذا وقع التحريف والتبديل وتغيير ما تنص عليه الشرائع والقوانين إستخفافاً بواضعها أو تلاعباً بها من الأحبار والرهبان وتحكماً فيها من الملوك والرؤساء فإنهـا تزول وتمحى آثارها وتصبح غير نافذة السلطان ولا سارية المفعول . والمتدين بها المتمسك ببقاياهــا يكون فى محنته كالقابض على الجمر وله مع ذلك أجر خمسين عامل بها يوم تشريعها وحين التزام أهلها لها فـإذا ظهر له الحق واتضح له السبيل وسمع منادي الله أجاب ولبى وسار على الطريقة المثلى وصدق بقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها

ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ، ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) . والذين عرفوا كتاب الله كما يعرفون أبناءهم منهم الذين لا يشترون بعهد الله وآياته ثمناً قليلاً ولا يكتمون ما أنزل الله من الكتاب طمعاً في الدنيا وتحكماً في الأميين وأولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب . ومنهم آخرون يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ، يبغضون الحق ويكرهون من جاء به لا لشيء سوى أنهم حسدة مردة نفعيون يتسترون بقولهم نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، ويدعون ما ليس لهم بحق فيقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويقولون لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة .
وإذا غلبوا على أمرهم وفاتهم الذي كانوا يؤملونه وينالون منه أغراضهم دخلوا في الدين مكرهين يكيدون لأهله ويدسون عليهم ويكذبون على الله ورسله عامدين عالمين ليشفوا بذلك غيظ صدورهم وليقضوا بباطلهم على الحق يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ومنهم الزنادقة من الفرس وكذبة أهل الكتاب الذين دخلوا في الاسلام كذباً وتظاهروا به خداعاً لأهله ومحاولة للقضاء عليه فنقلوا اليه أساطير الأولين وأدخلوا فيه من الحكايات والروايات ما تعجز عنه الشياطين وجعلوا ذلك من تفسير الكتاب المبين ووضعوا أحاديث مكذوبة عن سيد المرسلين .
وجزى الله وهب بن منبه وكعب الأحبار وأمثالهما ما يستحقون ولعن الله عبدالله بن سبأ اليهودى وحزبه الذين أضرموا نار الفتنة بين المسلمين وفرقوهم شيعاً وأحزاباً فإنهم لم يألوا جهداً في محاربة الاسلام واغراء العداوة والبغضاء بين أبنائه الذين أطهروه على كل دين وأدخلوا فيه أهل الأرض أفواجا .
وأولئك الأدعياء والدخلاء الخبثاء ليس لهم عند الله أجر ولكن عليهم الوزر مرتين لأنهم كفروا بكتابهم الأول وهو يأمرهم بمتابعة نبي آخر الزمان والدخول في دينه (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم

ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) . وباسم الدين وبحجة ما كانوا عليه من العلم فقد وضعوا للسياسة ولطلب الشهرة واستمالة الناس اليهم من الزور والبهتان والكذب الصراح فى الترغيب والترهيب وطاعة الأمراء وحب أهل البيت وبغض الصحابة شيئاً كثيرا وجاء من بعدهم فقهاء السوء والصوفية الحلولية والفلاسفة المتشككون فزادوا الطين بلة والمريض علة ، وكانوا لمن لا يعرف الاسلام حجة على الاسلام ، وظن بسببهم الجهال والمغرضون ان هذا الدين مجموعة خرافات وأقاصيص مفتعلة لا نصيب لها من الصحة وليس عليها اثارة من علم ومثل من آمن بنبيه ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم من اجتهد فى شيء يريد به وجه الله وأخطأ فى اجتهاده ثم بان له الحق فرجع اليه ولم يتعصب لباطله وقال ما أريد الا احساناً وتوفيقا اذا وجد الحكمة أخذها ولو من غير أهلها واذا ثبت عنده الدليل صار اليه وتمسك به لا جامداً ولا مقلدا ولا خفيفاً طائشاً تعبث به الرياح اذا ثارت ويدور مع الزجاجة حيثما دارت اذا دعي الى الله ورسوله لم يكن من الذين اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا قل أو لو كان آباؤكم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، واذا رأى الباطل وكثرة أهله ثبت على الحق كما تثبت الجبال وصبر على ما يناله من الأذى صبر الرجال وتذكر قول الله جل ذكره (ألم تر إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) أما العبيد فلا بقاء لشأنهم اليوم ولا نعرف أحداً يصح تملكه والتصرف فيه باسم الرق والعبودية لا بالتناسل ولا بأسر النساء والصبيان أو الرجال الذين تضرب الرق عليهم الأئمة والخلفاء . وما يوجد الآن فى بعض البلدان من الرقيق فمشكوك فيه ولا نعلم أحر ذلك المملوك أم عبد بمعناه فى الشريعة الاسلامية . وليس لنا أسارى فنسترقهم ولا تسمح الأوضاع والقوانين الحالية بشراء المماليك الأصليين إن كانت لهم بقية فى أي مكان . وقد جاء من تعاليم الاسلام ما يقضي على الرق والإسترقاق فمع وجوب العتق على القاتل والحانث فى يمينه والمظاهر من إمرأته والمجامع فى

نهـار رمضان بشرطه فقد خصص سهم من الزكاة لفك الرقاب . ومن أعتق نصيبه من العبد عتق عليه كله وسلم قيمته لشركاه إن كان موسراً ومن استولد أمــة صارت حرة بموته الى غير ذلك من الأمور التى يتشوف بها الشارع الى التحرير وعتق العبيد ولذلك عبثاً نقرر أحكام الرقيق وما يتعلق بعبادته وتصرفاته إلا اذا تغيرت الأوضاع وجاء الزمان بما ليس فى الحسبان فسيكون لكل مقام مقال ولكل يوم دولة ورجال . وفى الشريعة المحمدية من القوانين ما يسع الحوادث كلها مولها من القواعد والأصول ما يستطيع به أهلها استنباط الحكم لما كان وما يكون . وأيما عبد عرف الله وعبده حق عبادته وأحسن الى مواليه فله الأجر مرتين لقيامه بالواجبين وتأدية الحقين فى آن واحد ومثله الأجير والخادم الصالح الأمين يقوم بصلاته وصيامه وما يجب عليه لربه ثم يعمل فى حق سيده بـأمانة وجد واجتهاد واخلاص وما يحصل الخير والبركة وتجنى من الأعمال ثمراتها الطيبة الا اذا أخلص العمال والأجراء وسلمت اليهم حقوقهم مكملة وافية . وكانت الحالة بين السيد وخادمه والأجير ومستأجره كما كان بين موسى وصاحب مدين (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن اتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بينى وبينك أيمـا الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) . والرجل يثاب مرتين أيضاً اذا كانت له أمة مملوكة فأدبها وأحسن تأديبها ثم اعتقها ولو باعها لـكان ثمنها كثيراً والراغبون فيها يتنافسون ثم يتزوجها بعد ذلك فتصبح ربة البيت وسيدة العائلة بعد ما كانت أمة ضعيفة يتحكم فيها الصغير والكبير وتقهرها الرجال والنساء وبعد ما كان يقال لها افعلي كذا أو اتركى كذا ياجارية تصبح والأولاد يقولون يا أماه وأهل البيت يقولون هاتي وخذى يا سيدتى وفى ذلك من سمـاحة الاسلام وتصديق ما يدعو اليه من المساواة والقضاء على المفاخرة ما لا يخفى . وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم لأمته المثـل الأعلى بعتق صفية بنت حيي واستيلاد مـارية

القبطية أم ولده ابراهيم عليه السلام . والخلفاء وأهل الفضل من سلف الأمة كانوا يمتقون الإماء ثم يتزوجون بهن أو يستولدونهن فينجبن أمثال محمد بن الحنفية وأبي جعفر المنصور والمأمون بن الرشيد . وماكانت قريش ترغب فى أمهات الأولاد حتى رأوا منهن ثلاثة من عظماء الرجال وأبناء العظماء وهم علي بن الحسين بن علي وسالم بن عبدالله بن عمر والقاسم بن محمد ابن ابى بكر رضى‌الله عنهم . ومثل من أعتق الأمة فتزوجها الذى تكون عنده اليتيمة فى حجره فيحسن تربيتها ويتزوجها ليسعدها بعد الشقاء وليعزها بعد الذلة لا طمعاً فى مالها وحباً لجمالها ولكن لغرض شريف ومقصد حسن ، وهذا هو الذى يثاب على فعله وحسن نيته . وسأل عروة بن الزبير خالته السيدة عائشة رضى‌الله عنها عن قول الله تبارك وتعالى (فإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) الآية فقالت يا ابن أختى هذه الينيمة تكون فى حجر وليها تشركه فى مالها ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن وان الناس قد استفتوا رسول‌الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله (ويستفتونك فى النساء) قالت عائشة وقول‌الله فى الآية الأخرى (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم فى يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى ماله وجماله من باقي النساء الا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال . اهـ . وكذلك الخادمة تكون فى البيت وهى صغيرة فتبلغ مبالغ النساء وتصبح غير صالحة للخدمة ولا يليق طردها من البيت واحراجها من الأسرة التي ألفتهم وألفوها فيتزوجها أحدهم لسهولة أمرها وقلة مهرها ووفاء لها بسابق حقها فأجره مضاعف وعمله مشكور إذا لم يكن باغياً ولا عادياً ولا متعرضاً لفتنة ولا خائفاً من تهمة ولكنه لا يليق من بعض الرجال معاملة نسائهم الطيبات وزوجاتهم الصالحات بمثل هذا والضرة

مبغوضة على كل حال ولو حازت المـــال والجمال وكانت من بنات الأقيال فكيف بهـا إذا كانت على خلاف ذلك تأكل من يد المرأة عيشها وملحها وتعرف سرها وجهرها ثم تكفأ ما فى انائها وتحل محلها فيتزوجهـا الرجل فيوغر بها صدر امرأته الأولى أو يستغني بها عنها فيطلقها . ومن الأنذال من يعشق خدامته ويحبها حباً شديداً فيغازلها ويداعبها وربما أصابها ونال منها شيئاً فيستحي ويخاف ثم يستر زلته ويمحو اساءته بنكاحها والتزوج بها والخطب هين إن لم تكن حاملاً منه . وأيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فعليها لعنة الله . ولا بارك الله فى الفاحش المتفحش الذى يواقع الأجيرة ومن فى معناها حتى اذا حملت منه وسلبها العفاف والشرف أخرجها مطرودة شقية تائبة بائسة أو فاجرة بغية والله المستعان (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) .

الحديث الخامس والثمانون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ، وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

من سبق لى مباح فهو أحق به ومن بوأ من المكان مقعداً لنفسه فهو أولى به من غيره ولو كان فى الصف الأول وهو من ذوي الأحلام

والنهى كره له أن يتأخر عنه ويؤثر به سواه والايثار بالقرب كلها مكروه إلا ما جاء فى السنة على خلاف ذلك . بيد أنهـا تخلى صدور المجالس وما وراء الامام فى الصلاة لمن يوجه اليه الـكلام ويفهم عن الامام والمدرس والرئيس ما يقول وما يفعل ، ولا يليق بأدب المسلم أن يقيم أحداً من مجلسه ثم يقعد فيه وإن كان سيداً أو عظيماً إلا إذا رضي الأول وسمح للداخل بمكانه ، ومن وضع ثوباً فى محل فارغ صار أحق به من غيره حتى تقام الصلاة أو يمتلىء المسجد ، ولا يجد القـادم إلا هذا المحل فينحى الثوب ويقعد فيـه ويحرم تخطي الرقاب وإيذاء الجالسين بالمرور بينهم ورفع النعال التى يتناثر منها التراب عليهم . وجاء رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فرآه يتخطى الرقاب فقـال له اجلس فقد آذيت وآنيت وفى رواية آذيت وأوذيت . ولا بأس بالمرور واختراق الصفوف مع الأدب لسد الفرجة وإيصال شيء الى الامـام ومن حواليـه ، وليس من الأدب ما يحدث عند توزيع المصاحف وجمعها وصنع الذين يدورون بالمجامر والقهوة من المرور بين يدي المصلي وتلويث الفراش والثياب وإحراقها وصك المناكب والظهور بالركـب والأقدام ، وإذا أقبل الفاضل أو جاء العالم استحب أن يوسعوا له ويقابلوه بمـا يستحق من الاحترام والتقدير ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، وفى الحـديث الشريف (أنزلوا الناس منازلهم) . ودخل جرير بن عبدالله البجلي وهو سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجلس غاص بأهله فقعد حيث انتهى به المـكان ولـكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى اليه رداءه وقال له اقعد على هذا يا جرير . والقيام للقادم يختلف باختلاف النـاس وعاداتهم فمرة يحرم إذا كان فيه من التعظيم ما لا يحل أو كان يعجب به القادم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) . ومرة يباح إذا كان لملك أو أمير أو صاحب جاه لا يبالي بمن قام أو قعد . وحين أقبل سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اليهود . قال عليه الصلاة والسلام : قوموا الى سيدكم سعد ، وكان كعب

ابن مالك الأنصاري يقدر لطلحة بن عبيدالله قيامه وبشارته له بتوبة الله عليه ، ولنتعلم عزة الاسلام ولا نجاوز الحد فى تعظيم أحد من الخلق كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصنعوا بي كما تصنع الأعاجم بملوكها) ويكره أن يقوم له أصحابه وإذا جلس بينهم فكأحدهم لا يستأثر عليهم بشيء ولا يقعد على سرير ولا فراش خاص به وإذا دخل عليه من لا يعرفه سأل عنه كما قال ضمام بن ثعلبة أيكم محمد فقيل له هذا المتكئ الأبيض وكان يقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . ومن المنكر العظيم ما يعامل به المتغطرسون من الأغنياء وبعض أدعياء العلم أخوانهم فى المساجد والمجالس العامة من الكبرياء والجلوس بين أيديهم وإخراجهم من الصفوف وفرض إحترامهم على من لا يحبهم ولا يعرف لهم فضلاً فيتركون لهم المجالس ويتنحون عنهم إستثقالاً لظلهم وتبرماً بصنيعهم المخالف لاحترام الكبير ورحمة الصغير . ولوالدك وأستاذك والأكبر منك سناً والأرفع منك قدراً حق عليك إذا دخل تقوم له وتقدمه وتأخذ من يده النعل والعصا وتفرش له السجادة وتصغي له إذا تكلم ولا ترفع صوتك عليه ولا تقطع عليه حديثه والفاضل الأديب لا يخص بأدبه أحداً دون آخر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (لجليسي علي ثلاث : أرمقه إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغي له إذا تحدث) . وشر الجلساء ثلاثة : عالم لا يمكنك من أن تقول ، وجاهل لا يفهم عنك ما تقول ، وبين بين ذو فضول . وفى الأدعياء من إذا سمع الناس يتكلمون بما لا يعلم ويخوضون فى ما لا يفهم تشدق وحمحم وجعل نعم فى موضع لا وقال لا فى مكان نعم ولو كان بين الزمخشري والغزالي لفند رأي الأشعري ورد على الجبائى ، ولا يليق بحسن المعاشرة الإعراض عن الجليس والإستهزاء به والضحك عليه إذا تكلم أو فعل شيئاً ولا أن تقص حكاية قد سمعت عنك مرات ولا أن تذكر أعمالك الصالحة ولو كانت كثيرة فربما سئموك أو كذبوك كما قيل :

إذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم ... من الحديث بما يمضي وما يأتي

فلا تكرر حديثاً إن طبعهم   موكل بمعاداة المعادات

ثم المجالس بالأمانة فلا تفش سر جليسك ولا تنقل عنه ما يكره ولا تذكر له ما يسوؤه والجلساء شركاء فى الهدية . وشر المجالس مجلس لا يذكر فيه الله ولا يؤمر فيه بمعروف ولا ينهى عن منكر ، (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) ، وإذا رأيت من جليسك الاعراض عنك أو الاشتغال بأمر آخر فلا تكلمه ولا تكلفه الاستماع لك وإذا تحدث مع غيرك والتفت اليه فلا تكن أنت الثالث ولا تدخل بينهما إلا إذا أشركاك وطلبا منك أن تقول ولا تتبوأ صدر المجلس إلا فى بيتك ومحل نفوذك وإذا أعدت المقاعد والكراسى فلا تعد قدرك ولا تقعد فى مكان تقام عنه ولا تحتفل بصديقك إذا أقبل إلا بشيء لا يؤذي الجالسين ولا صاحب المكان وتحفظ هذه الأبيات ولا تكن من أهلها :

لا لوم في واحد منهم إذا صفعا   يستوجب الصفع في الدنيا ثمانية

وداخل البيت تطفيلاً بغير دعا   المستخف بسلطان له خطر

وداخل في حديث إثنين مندفعا   ومتحف بحديث غير سامعه

وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا   ومنفذ أمره في غير منزله

وطالب الفضل من أعدائه طمعا   ومبتغي الود ممن لا خلاق له

واحذر من الكريم إذا أهنته واللئيم إذا أكرمته والعاقل إذا أحرجته والأحمق إذا مازحته والفاجر إذا عاشرته وإذا نزلت بك مصيبة أو حاجة فلا تذكرها لأصدقائك وجلسائك فتسر بها عدواً وتحزن بها صديقاً وتصبر على النوائب ولا تطلع الناس على عيوبك ولا تخبرهم برأس مالك وديونك وما يكون فى البيت بين النساء والأبناء واصلح أمورك بنفسك وهش وبش واظهر السرور لمن يخالطك واستعد لجليسك بقضاء حاجته وكل ما تقدر عليه من المساعدة ولا تمن عليه بمعروف قدمته اليه وإن أسدى اليك خيراً فاشكر له صنيعه واذكره فى المجالس بما يستحق من الثناء والتقدير . وروي

أن من أخلاق النبيين البشاشة إذا تراؤوا والمصافحة إذا تلاقوا . وقال أبو الفتح الأبشيهي رحمه الله : (لا تجالس العامة فإن فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وإياك أن تمازح لبيباً أو سفيهاً فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك) . وآداب المجالسة كثيرة وقد أرشدت اليها السنة النبوية وبينتها الكتب الاسلامية وكتب عنها الفقهاء والمحدثون والأدباء والمتصوفون باسهاب ولم يدعوا منها شيئاً إلا ذكروه ، وخير الكلام بعد كلام الله كلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وقد قال : (إذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس. ثم إذا قام فليسلم فلبست الأولى بأحق من الآخرة) ، وقال : (إذا انتهى أحدكم الى المجلس فإن وسع له فليجلس وإلا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه) ، وقال : (إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع فهو أحق به) ، وقال أيضاً : (جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء) ودخل عليه وهو يتكلم ثلاثة نفر وجد أحدهم فرجة في الحلقة فجلس فيها وجلس الآخر من وراء الناس وأعرض الثالث عن الخير فولى مدبراً ، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من حديثه : (ألا أنبئكم عن الثلاثة : أما الأول فآوى الى الله فآواه الله اليه ، وأما الثاني فاستحى فاستحى الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه) . وأمرنا أن نقول إذا قمنا من المجالس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك ، والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) .

الحديث السادس والثمانون

عن أبي موسى الأشعرى رضي‌الله عنه ان النبي صلى‌الله عليه وسلم قال :

﴿ إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحاً منتنة ﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

جليسك الصالح يأمرك بالخير وينهاك عن الشر ويسمعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البالغة ويبصرك آلاء الله ويعرفك عيوب نفسك ويشغلك عما لا يعنيك ، واذا كان ملكاً أو صاحب دنيا رفع قدرك وأعلى منزلتك وسد خلتك ثم لا تحتاج بعد الله الى سواه وان ذكرته بالله طمع فى ثوابه واستعد بالصالحات للقائه وان خوفته عذاب الله وعاقبة الظالمين ومصارع الجبارين كف عن الاساءة وترك الظلم وهو قادر عليه واستغفر لذنبه وامتنع من الشر وهو ميال اليه ورعيته كلهم راضون عنه ومحبون له اذا دخلوا عليه أكرمهم واذا خرجوا من عنده سأل عنهم وفكر فيما يعود بالخير عليهم وزيره وأميره وحاجبه وخادمه وسائر حاشيته ومن فى ولايته جميعهم صالحون ولربهم عابدون ولمليكهم طائعون مخلصون ، والناس على دين ملوكهم ، واذا صلح الراعى صلحت الرعية . وكان الخلفاء الراشدون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً يقف الواعظ بين يدي أحدهم فيقول ما يشاء ويطلب اصلاح الأخطاء ويهدي الى سبيل الرشاد فربما رأى من بكاء السامعين ما يبكيه وشاهد منهم ما يرضيه . وقال أبو جعفر المنصور يوماً لواعظ دخل عليه عظني وأوجز فقال لو كان الذى فى يديك بقى لك ما وصل اليك فأعجب المنصور بموعظته وأثنى عليه

وكذلك يقول لك ويسمعك جليسك الصالح . وأستاذك الصالح أيضاً يجهد نفسه فى تعليمك وتفهيمك واصلاحك وتقويمك يطالبك بالعمل وينتظر من ظاهرك ثمرة ما يغرس فى باطنك اذا غفلت ذكرك واذا أهملت أو مللت بشرك وأنذرك لا يخاطبك الا على قدر عقلك ولا يكلفك من الأمر الا ما تطيق يجيبك سائلاً ويذكرك غائباً ويعتني بك حاضراً ويراك أحد أولاده وليس فى الجلساء من ينفعك خيره ويضرك شره كالأستاذ الذى يعد لك أباً ثانياً وكما يكون هو تكون أنت

واذا المعلم لم يكن عدلاً مشى	روح العدالة فى الشباب ضئيلا
واذا المعلم ساء لحظ بصيرة	جاءت على يده البصائر حولا
واذا أتى الإرشاد من سبب الهوى	ومن الغرور فسمه التضليلا
واذا أصيب القوم فى أخلاقهم	فأقم عليهم مأتماً وعويلا

أما اذا كان الجليس مثلك أو دونك فهو الذى يسد خلتك ويغفر زلتك ويقيل عثرتك ويستر عورتك واذا اتجهت الى الخير حثك عليه ورغبك فيه وبشرك بعاقبة المتقين وأجر العاملين وقام فيه معك وكان لك عوناً عليه واذا تكلمت سوءاً أو عملت قبيحاً زجرك عنه ومنعك منه وحال بينك وبين ما تريد وطهر قلبك من الخبث ولسانك من الفحش وقال لك أعرض عن هذا واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين وصالح اخوانك لا يمل قربك ولا ينساك على البعد يسرك اذا حضرت بحديثه ويرضيك بأفعاله ويشهد بك مجالس العلم وحلق الذكر وبيوت العبادة ويزين لك الطاعة بالصلاة والصيام والحج والانفاق فى سبيل الله وكف الأذى واحتمال المشقة وحسن الجوار وجميل المعاشرة ويقبح لك المعصية ويذكر ما يعود به الفساد عليك من الويل والشقاء فى عاجل الأمر وآجله ويضرب لك الأمثال بفلان الذى شقي بعد السعادة وذل بعد العزة وافتقر بعد الغنى ومرض بعد العافية لأنه كان يصرف الأموال فى الفساد ويستعين بسلطانه على الظلم والاستبداد وكان صحيحاً قويا وشاباً فتيـاً فشرب الخمر وزنى ولاط فاحترقت كبده وتمزقت

رثتاه وأصيب بالسيلان والجذام ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وما يزال ينفعك ويرفعك ويزجرك ويردعك حتى يكون كبائع المسك وأنت المشترى ولصلاحه لا يبيع عليك الا طيبا ولا يعطيك الا جيدا ولا يأخذ منك الا ثمناً قليلا . وان ابيت الشراء وامتنعت من الأخذ طيبك بيديه وصب عليك العطر فلا تمر بشارع ولا تسلك طريقاً الا وعبق منك الطيب وملأت به المعاطس والأنوف فتعود اليه مشترياً أو ليحذيك بعطره ومسكه وعنبره وهكذا . وهذا مثل العالم الذى لا بد أن تحفظ عنه شيئاً اذا تكلم فإن عملت به فقد استريت والا فقد اعجبك ما عنده وستعود اليه . أما مثل العابد فهو مثل من لا يعطيك شيئاً من المسك ولكنك تجد منه العرف الشذي والرائحة الطيبة فإذا رأيت زهده وتقواه واستقامته فى دينه ودنياه اقتديت به وكانت لك فيه اسوة حسنة

واذا نظرت اليه عند قيامه   فى الليل قلت البدر بات مصليا

ويظل يكتسب الحلال وانه   لعلى الشريعة مقبلاً ومموليا

وأولئك هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم تنزل عليهم الرحمة فيشاركهم فيها ويهم بالسوء فلا يقوله ولا يستطيع فعله أما مخافة من الله وأما حياء منهم . وأما قرين السوء فإنك إذا لم تشاركه فى اساءته أخذت بنصيب وافر من الرضا بما يصنع والسكوت على شره تخاف منه وتحذره وتحتاط لحفظ كرامتك من أن يعرقها أو يسمعك عن نفسك وفلان الآخر ما لا تحب وأنت لا تبدي ولا تعيد ، وإن رضيت بصنيعه فهو كنافخ الكير على الفحم الخبيث وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك ويملأ أنفك بالروائح الكريهة وأنت واياه فى الإثم سواء ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكاً فيها والسكوت على الشيء رضاء به . وكل ما لا يحل فهو من اللغو الذى مدح الله تاركيه بقوله تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) . وقد يكون جليس السوء فاجراً قوياً لا تستطيع نهيه عن المنكر ولا تقدر على مراجعته فخير لك الابتعاد عنه

لئلا تكون فى معصيتين السكوت على البـاطل ومرافقة أهله . وفى مجالس الشر تقع الغيبة والنميمة والـكذب واللعن وكل كلام فاحش ويقع اللهو والطرب وممـالاة الفساق ومجاراتهم على الاسراف فى الانفاق والخوض فى الباطل (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)

الحديث السابع والثمانون

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

﴿ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

أخبث الناس نفساً وأجرأهم على الله الذين لا يستحون من محـاربة الله ومبارزته بالمعـاصى يتبجحون بإنتهاك الحرمات ويقول أحدهم فعلت البارحة كذا وكذا واتصلت بفلانة وبتنا على طرب ولهو وأنس يستره ربه فيأبى الخبيث إلا الفضيحة . ومن ألف المعصية وتعودها هان عليه أمرها وظن أنه شجاع بالاقدام عليها وقلة المبالاة بها يقول له الشيطان إذا لم تخف من الله فلم تخاف من الناس ، وإذا اجتمع الفساق وتحدث بعضهم الى بعض أفتخر كل منهم بجريمته ودكر معصيته وقد لا يكون له ذنب ولـكنه يسمعهم قولون فعلنا كذا وصنعنا كذا فيختلق ذنبـاً ويدعي على نفسه شراً ما فعلته ولا وقعت فيـه . والمسلمون كلهم فى عافيـة من الامر مشمولين بعفو الله على ما كان منهم من الذنوب والآثام يريدون شراً وتميل بهم الشهوات الى

المخالفة فيذكرون الله وتوجل قلوبهم ويعلمون ان الله كان عليهم رقيبا (وكل شيء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر) فلا يتبعون أنفسهم هواهـا ولا يعطونها مناها وان اقترفوا من الآثام شيئاً ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون الا المجاهرين الذين لا يتحرجون من خطيئة ولا يتوبون منها ولا يستترون معها بستر الله عليهم فإنهم مفضوحون عاجلاً وآجلا وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة يحاسبون على ما صنعوا ويهتك الله ستره عنهم يوم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه والمؤمن الستير الحيي يسبل الرحمن عليه ستره ويرخى عليه كنفه ثم يقرره بذنوبه أتذكر ذنب كذا وذنب كذا وهو يعترف ويقول نعم يا رب فيقول له تبارك وتعالى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أسترها عليك اليوم . ومن عجز عن كتمان سر نفسه فهو عن سر غيره أعجز . ومن الشهامة والمروءة كتم السر وعدم افشائه . وصدور الأحرار قبور الأسرار . وفى الحكمة استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أفشيت سرى الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدرى به أضيق . وقال عمر بن عبدالعزيز القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسنة مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره . وفى الناس من لا يستطيع كتمان شيء فعله أو قيل له فهو كالمنخل أو الغربال لا يمسك شيئاً ولو عهد اليه بأمر يخفيه أو سر يكتمه لضاق به صدره وكلما قيل له اكتم الخبر بالغ فى افشائه وادنى صفات الشريف كتمان السر وأعلاها نسيان ما أسر به اليه .

انى كتمت حديث ليلى لم أبح ... يوماً بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا ... فى حبها برشاده أو غيه
ولها سرائر فى الضمير طويتها ... نسى الضمير بأنها فى طيه

وأعظم سر يجب كتمانه هو ما يقع بين الزوجين من رفث القول والفعل وفى

الحديث عن النبي صلى الله عليه (ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه) وفى رواية (ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها) واجتمع يوماً عنده الرجال والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فسكت القوم فقالت امرأة أسيء والله يا رسول الله انهم ليفعلون وانهن ليفعلن قال فلا تفعلوا فانما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون . وكذلك لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخبر زوجها أو انساناً آخر بجمال فلانة المحجبة فتغريه بها وتشوقه اليها أو تذكر له قبحها ودمامتها فيمقتها أرملة ويعيب على زوجها معاشرتها والصبر عليها . وقد قال صاحب الخلق العظيم وخير هاد الى الصراط المستقيم محمد صلى الله عليه وسلم لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر اليها . ولا بأس أن تذكر المرأة حال الأخرى وما هى عليه من خلق فاضل أو صفة تستحق معها المساعدة والمعاونة ، وإنما الذى يحرم ذكر أوصافها الجسمانية من قوام وقد وخد وفم وأنف وطرف وكف فكأنها مصور فنان تنقش بريشة لسانها على قلب الرجل صورة يكاد يراها كلما قام وقعد . وكذلك الأجراء والوكلاء الذين يطلعون على سر المهنة وشئون التجارة لا ينبغى لهم الحديث بما صنع الموكل أو المستأجر فانهم يعدون بذلك خونة لا يحفظون حق الصحبة ولا يؤمنون على قليل ولا كثير . ونتائج الإمتحان فى المدارس والمقالات المبعوثة للنشر فى الجرائد من السر الذى يجب كتمانه الى أن يؤون أوانه . والطبيب يطلعه المريض على ما به من العاهات أو يعلم من حاله الخطر عليه لا يحل له هتك ستره وافشاء سره بل يعالجه ويجتهد فى العناية به ما دام يطمع فيه واذا يئس منه اعتذر اليه بعدم الأدوية وكثرة مشاغله التى تعوقه عن الحضور اليه . واذا أتتك النعمة فلا تخبر الحسود بها فيتمنى زوالها عنك وإن أصابتك مصيبة فى أهل أو مال فلا تسر بها عدواً ولا تحزن بها

صديقاً واكتم السر ما استطعت الى ذلك سبيلا واعمل بقول يعقوب لولده يوسف عليهما صلوات الله وسلامه (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ان الشيطان للانسان عدو مبين) .

الحديث الثامن والثمانون

عن جرير بن عبدالله البجلي رضي‌الله عنه ، قال :

﴿ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

رأس الإسلام وعموده وذروة سنامه ثلاثة أشياء لا قيام له بدونها ولا وجود له إلا بها من حافظ عليها وجاء بها على المطلوب فهو المسلم المؤمن المتمسك بالشريعة المحمدية والملة الابراهيمية ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وهى الصلاة والزكاة والنصح لكل مسلم ، .أما الصلاة فهي العهد الذى بيننا وبين من خالفنا ولا دين لمن لا صلاة له . وفى الحديث الشريف (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى) وانك لتجدّ فى معظم السور القرآنية ذكر الصلاة والزكاة مقرونة احداهما بالأخرى وذلك من أول ما بعث به النبي صلى‌الله عليه وسلم كما يعلم من ترتيب التنزيل وهى من الشرائع القديمة وكان يتعبد بها قبل الاسلام سائر الكفرة من أهل الكتاب والمشركين . ومنذ بعث الله نبي الاسلام وهو وأتباعه يصلون صلاة غير مفروضة عليهم ولا ذات كيفية مخصوصة ولا فى وقت معلوم (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى

للذاكرين) (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعــا الا المصلين الذين هم على صلاتهم داٸمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فلما أراد الله أن يتم نعمته ويظهر فضله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى بورك حوله ثم رفعه اليه وقربه منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى فـأعطاه من الخير حتى رضي وأوجب عليـه وعلى أمته فى اليوم والليلة خمسين صلاة وما زال يراجع ربه تعالى حتى جعلها خمساً وجعل الحسنة بعشرة أمثالها الى أضعاف كثيرة وعلمه بعد ذلك كيفية الصلاة وحدد له أوقاتها كما يقول تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) وجعلها أساساً لدينه وأحد أركان الخمسة وبشر القاٸمين بها بقوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئـك سنؤتيهم أجراً عظيما) وسماهم المؤمنين حقاً ووعدهم بالخير والدرجات العلى فقـال سبحانه فى وصفهم (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وحذر من تركها والتهاون بهـا فقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وتوعدهم بالويل فقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤن ويمنعون المـاعون) وجعل للقاٸمين بها والمحافظين عليها حرمة أهل الاسلام فلا تراق دماؤهم ولا تباح أموالهم ولا أعراضهم ولو كانوا منافقين أو مبتدعين مخالفين . وقد استأذن رجل من الأنصار فى قتل أحد المنافقين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أليس يصلي قال بلى ولا صلاة له قال فانى نهيت عن قتل المصلين) لـكن الزنديق الذى يبطن الـكفر ويستهزئ بالأديان لا يصان دمـه ولا يكون له عهد عند الله والناس وان صام وصلى . واختلف فى قبول توبته لأنه لا يصدق بثواب

ولا عقاب ولا يؤمن بالبعث والجزاء . وحكم على تارك الصلاة مطلقاً بالكفر استدلالاً بالحديث الشريف (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وجاء قوم يبايعون على الاسلام بشرط أن تحط عنهم الصلاة فأبى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا دين لمن لا صلاة له . ومن ترك فريضة حتى يخرج وقتها التى تؤدى أو تجمع مع غيرها فيه وهو جاحد لوجوبها قتل كفراً بالإتفاق ، وإن كان متكاسلاً استتيب عند الأكثرين فإن تاب وإلا قتل ، وجاحدها أيضاً لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يقبر فى مقابر المسلمين وإن كان يزعم انه مسلم . وذكرت الصلاة عند عبدالله بن عمرو بن العاص فقال رضى الله عنه (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف) . وإذ أوجبت على المسلم البالغ العاقل الطاهر عن الحيض والنفاس لم تسقط بعد ذلك عنه أبداً الا بالموت فلو مرض وعجز عن الصلاة قائماً صلى قاعداً فإن عجز فمضطجعاً على جنبه فإن عجز فستلقياً على ظهره فإن عجز أومأ برأسه ثم بأجفانه ثم أجرى الأركان على قلبه إلا النائم والناسي فيعذر بتأخيرها وعليه القضاء إذا ذكر أو استيقظ لقوله صلى الله عليه وسلم (من نسى الصلاة أو نام عنها فليصليها إذا ذكرها) فالله تعالى يقول (وأقم الصلاة لذكرى) ومن تاب من تركها وصدق فى التوبة سقط عنه ما مضى والمرجو له عفو الله عما سلف وأن يدخل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبدالله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) . وإذا أسلم الكافر أو بلغ الصبي أو أفاق المجنون أو طهرت الحائض فلا قضاء عليهم إجماعاً ولا يؤمرون بها وقت المانع إلا الصبي فيؤمر بها لسبع ويضرب على تركها لعشر ليتعود الخير وليتمرن على طاعة الله . ومن المؤسف جداً ان المسلمين يعرفون كلهم ما جاء فى أمر الصلاة عن الله ورسوله ويمرون بذلك

فى أكثر من مئة آية من القرآن وهم اليوم يتهاونون بشأنها ويخرجونها عن أوقاتها ويرونها عادة قديمة وطقوساً دينية لا يهتم بها الا العاطلون الرجعيون فيمرون بالمساجد ويسمعون الأذان ويشاهدون المؤمنين فى الركوع والسجود فيولون معرضين وعن الخير مدبرين (وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤاً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ومنهم من اذا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح يقول فى جرأة وقلة حياء حي على المال والعمل يا ذوى العجز والكسل (فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى ، ثم ذهب الى أهله يتمطى ، أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) وقد يعتذر عن الصلاة وإجابة داعى الله بنجاسة ثيابه وقصر سراويله وجهله بالأحكام والكيفية وإنما الدين يسر وأهم شيء فيه هو الامتثال . وقد تساهل الامام مالك وجماعة من العلماء رحمهم الله فى إزالة النجاسة وصحة الصلاة مع شيء من ذلك وثبت جواز الصلاة فى التبان وهو السراويل القصير . وكان المسلمون يصلون فى نعالهم ولا يخلعونها إلا اذا كانت عليها النجاسة العينية . فيا معشر الشباب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وعندنا لكم من الرخص والتسهيلات ما يجعلكم فى سعة ويحط عنكم الأصر والأغلال التى كانت عليكم . ومن دخل المسجد وقام بين يدي الله لمناجاته فعليه أن يتعقل سر صلاته وأن يتدبر ما يقول وما يتلو لينتفع بهذه العبادة وليظهر عليه أثرها فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . وليس لله حاجة الى عبده أن يقوم ويقعد ويركع ويسجد فحسب وإنما يريد تعالى من الخلق أن يذكروه منيبين اليه ورافعين حاجاتهم اليه متخشعين بين يديه متجردين عن كل معبود سواه طالبين منه العون بألسنتهم وقلوبهم وسائر جوارحهم . (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون) (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) . ثم الصلاة أما أن تكون تامة فى الإقامة أو مقصورة فى السفر لأنه مظنة المشقة فأذن الله

للمسافر أن يصلي الرباعية ركعتين وأن يجمع العصرين والعشاءين احداهما مع الأخرى تقديماً وتأخيرا . والجمعة ركعتان فقط ولا تعاد بعدها الظهر كما يفعل بعض أدعياء العلم فى بعض البلاد لتوهمهم أنها لا تصح بدون الأربعين ولو أنهم تركوها وصلوا الظهر فقط لكان خيراً من التلبس بعبادة فاسدة أو مشكوك فى صحتها . والأرض كلها مسجد إلا المقبرة وقارعة الطريق والأماكن المستقذرة فحيثما أدركتك الصلاة فثمة مسجدك الا الفريضة فهي فى المسجد المعد للعبادة ومع الجماعة أفضل منها فى أي مكان آخر ، وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة . ولا عذر فى التخلف عن الجماعة إلا لأشياء مذكورة فى كتب الفقه كالمرض والمطر والوحل . والنافلة فى البيت أفضل للابتعاد عن الرياء والسمعة . وفى الحديث الشريف أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ، وفيه أيضاً : اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً . والصلاة خير موضوع أكثر منها العبد أو أقل ، ونوافلها كثيرة كالضحى والتراويح والوتر ورواتب الصلاة وتحية المسجد وسنة الوضوء وللتوبة من أي ذنب وللاستخارة عند التردد فى الأمر وهى أن تصلي ركعتين تقرأ فيهما بالفاتحة وسورتى الإخلاص ثم تقول بعد السلام اللهم انى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي فى ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لي ويسره لى ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي فى ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به ثم يذكر حاجته .

أما الزكاة فهي مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص ثم يوزع على طائفة مخصوصة وهى قرينة الصلاة كما تقدم وثالث أركان الاسلام ، وقد مدح الله فاعليها وذم تاركيها ونسبهم الى الكفر ، فقال تعالى : (فويل

للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) ، وحين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتد كثير من العرب ومنعوا الزكاة فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عليها وقال والله لو منعوني عناقاً أو عقالاً كانوا يدفعونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه . وهي كذلك في الشرائع القديمة وقد أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) ولن تكون محددة في بادئ الأمر ولا من شيء دون شيء بل كان أمرها كما في الآية الكريمة (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ولكنها بعد عينت وبينت بياناً تاماً وأوجبها الاسلام على أهله في الإبل والبقر والغنم والنقدين الذهب والفضة وفي عروض التجارة وفي الركاز والمعدن وفي الحبوب والثمار ولها مسائل كثيرة مفصلة في كتب الفقه والحديث ، ومن أهمها نبات الأرض وما يخرج منها وأي شيء تجب فيه من ذلك . فالشافعية لا يوجبونها في الثمار إلا على التمر والزبيب ولا في الحبوب إلا على ما يؤكل حالة الإختيار والحنفية والزيدية وطوائف أخرى يوجبونها في كل ما أخرجته الأرض وكان مالاً لصاحبها إستدلالاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) (الآية) ومن الزكاة الفطرة التي هي صاع من غالب قوت البلد تجب على كل مسلم صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد يخرجها عن نفسه وهي عليه لمن تلزمه نفقته إذا كان موجوداً عند غروب الشمس آخر يوم من رمضان . ومن لم يجد قوت يومه وليلته فلا شيء عليه . ولا تجب الزكاة كلها إلا مرة في السنة الواحدة . بيد أن نتاج المواشي وربح التجارة يعد حوله بحول أصله ويأخذها الإمام جوازاً إن لم يطلبها ووجوباً إذا طلبها ومثله الأمراء وسلاطين المحميات اليوم الذين فرضوا على رعتهم دفعها اليهم منذ عهد قريب . وقد وقع في جواز دفعها اليهم سؤال قدمه بعض وجهاء عدن وغيرها الى جماعة من العلماء وخلاصة القول ما أفتى به بعض متأخري الشافعية حيث قال : (يجوز دفع الزكاة للسلطان

وإن كان جائراً أو يصرفها فى غير مصارفها إذا أخذها بنية الزكاة وقد صحت ولايته وقويت شوكته وانعقدت إمامته باستخلاف أو بيعة أو تغلب لكن التفريق بنفسه أو وكيله أولى ما لم يطلبها الامام من الأموال الظاهرة وهى النعم والعشرات والمعدن وإلا وجب الدفع اليه فضلاً عن الجواز وإن صرح بصرفها فى الفسق ا. هـ) . وإذا أخذها الولاة فعليهم صرفها فيما أمر الله بصرفها فيه ولا يحل لهم أن ينفقوها فى شهواتهم ويستهلكوها فى ملذاتهم فهم أمناء الله فى أرضه وخلفاؤه على عباده وواجب عليهم أن يعرفوا مصالح المسلمين ونظام المالية وكيف تجبى الضرائب وتؤخذ الزكاة وفى أيى شيء تصرف وأن يجعلوا لها عمالاً وكتاباً أقوياء أمناء على حد قول يوسف عليه السلام للملك (اجعلني على خزائن الأرض إنى حفيظ عليهم) . وحرام عليهم وظلم عظيم ما يأخذونه باسم زكاة الباطن وكذلك الخرص والتخمين الذى يجعل فيه عمالهم الفجرة وأجراؤهم الخونة الواحد بعشرة وربما طلبوا تسعة أعشار أموالهم لا يرقبون فى ضعيف إلاً ولا ذمة ولا يرعون لمسلم كرامة ولا حرمة . واختلف العلماء فى نقل الزكاة من بلد الى آخر فقال الشافعية لا يجوز ذلك إلا إذا غني فقراء البلد وفقد المستحقون فيها فتنقل الى أقرب مكان منها ودليلهم قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الزكاة أنها تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم وتفسير ذلك فى حديث معاذ بن جبل القائل : (من خرج من مخلاف الى مخلاف فإن صدقته فى مخلاف عشيرته) ، وقال الحنفية وآخرون : يجوز نقلها الى بلد آخر وبلاد المسلمين كلها واحدة وفقراؤهم كلهم مستحقون وهذا الذى تميل اليه النفس وتقضى به حاجة البؤساء المعوزين من الأهل والأقارب فى البلاد الأخرى . والدليل عليه أن معاذ ابن جبل رضى الله عنه ، قال لأهل اليمن : آتوني بكل خميس ولبيس فإنه أنفع لأهل المدينة . وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله ثوباً معافرياً ، وبه استدل أيضاً من يقول بأخذ القيمة فى الزكاة والجزية ، وأهلها المستحقون لها هم الذين ذكرهم الله عز

وجل فى قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) . وصنفان من هؤلاء الثمانية غير موجودين فى زماننا وهم المؤلفة قلوبهم والمكاتبون فى عتق رقابهم ، أما العاملون عليها فيأخذون منها الكثير ولا يسلمون الى الملوك والأئمة إلا ما زاد عن حاجتهم وطابت به أنفسهم . وسبيل الله من الوجوه التى تصرف فيها الزكاة وهى فيه للغزاة والمجاهدين والى ذلك ذهب أكثر أهل العلم ، وقال جماعة منهم الحج والعمرة والمساجد والمدارس والطرقات وسائر وجوه الخير كلها من سبيل الله حتى كفالة الأيتام وتجهيز الموتى . وحبذا لو تجمع الزكاة وتصرفها الرجال الأمناء الى الفقراء والمساكين الذين لا مال ولا كسب لهم يكفيهم ويضعونها فى المشاريع التى يتناولها قول الله جل ذكره (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) (الآية) وقوله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا إن الله يحب المحسنين) . وفى الناس من يمنع الزكاة أو يخرج بعضها ويدفعها الى الأغنياء وأصدقائه القدماء والذين تسجلت أسماءهم فى قائمة المستحقين وإن زال عنهم الفقر والمسكنة وصاروا من الذين تلزمهم الزكاة فى أموالهم . وقد تدفع الزكاة الى الولاة والحكام والموظفين فى دوائر الحكومة كرجال الشرطة وكتاب الموانى وأصحاب الجماريك . وما يدفعه التجار الى بعض الولاة وأعوانهم الظلمة بنية الزكاة لا يحل ولا يجزيهم عنها بل هي باقية فى أعيان أموالهم . ومن الخطأ الفاحش فى أداء الزكاة تسليمها الى الأخدام والشحاذين والأقوياء المكتسبين وأكثرهم قطاع صلاة وصارفون لما يأخذون باسم الزكاة فى معصية الله . والفقراء الأعفاء والمساكين البؤساء لا ينالون منها شيئاً ولا تسمح لهم كرامتهم بالوقوف على أبواب الأغنياء ولا يفطن لهم فيتصدق عليهم ويأتيهم نصيبهم الذى فرض الله لهم . وفى الأغنياء من تكون عليه لله عشرات الآلاف ومئات الآلاف فيبخل بما آتاه الله من فضله ولا يدفع من ذلك إلا قليلاً . وفى الحديث عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي فى نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله أما الى الجنة وأما الى النار) (الحديث) ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) . أما النصيحة الواجبة لكل مسلم فهي التى يعز الله بها الحق ويخذل بها الباطل وينصر بها المظلوم ويزال بها المنكر ويدعى بها الى الخير وقد جعلت أساس الدين فى قوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) . وحق أخيك عليك إذا استنصحك أن تمحضه النصح وتجتهد له فى إصابة الصواب وهي تختلف باختلاف الناس فعلى العالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإخلاص فى وعظه وإرشاده وتعلمه وتعليمه ، وعلى التاجر النصح لعميله وزميله فلا يغشه ولا يخدعه ولا يبيع منه معيباً ولا يغرر به فى الارسال الى الخارج وتصدير ما تحتاج اليه البلاد واستيراد ما لا يفيد وما لا حاجة للناس فيه والصانع والعامل ينصح للناس فى صنعته وعمله ليكسب ثقتهم به ويستميل قلوبهم اليه وليعينه الله بالصحة فى بدنه والتوفيق فى عمله . وإذا نصح الملوك لرعيتهم وبالعكس استتب لهم الأمن وظهر العدل وسعدت البلاد وأبناؤها . ومن أجل ذلك كانت البيعة تؤخذ على المسلمين بالسمع والطاعة والنصح لكل مسلم . وإذا نصحت أخاك وأخلصت له فيما تقول وتفعل فقد أطعت ربك وأرضيت ضميرك وإن قيل فيك ما لا تحب وإن أتهمت بالسفاهة والحمق وضعف الرأي ولك فى ذلك أسوة بنبي الله هود عليه السلام (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) .

الحديث التاسع والثمانون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

الحديث التسعون

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم عزيز عليه ما أعنتهم حريصاً على هدايتهم رؤوفاً رحيماً بهم لا يكلفهم من الأمر عسرا ولا يحملهم من المشقة نكرا (فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) إذا حمي الوطيس واختلط الأعداء وارتعدت فرائص الشجعان فهو صلى الله عليه وسلم الأسد الغوار والبطل المقدام ، والقائل فى حومة الوغى :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبدالمطلب

وإذا ما رأى الضعفاء ونظر الى الشيوخ والنساء والأطفال والمرضى فهو الرحيم بأتباعه والمتحنن عليهم والمقدم لهم فى المصالح على نفسه يخفض للمؤمنين

جناحه ويوطىء لهم كنفه واذا دعوه لباهم وان اتجه بهم الى الله فى العبادة ساعد الضعيف وانتظر العاجز وبشر الراغبين وأنذر الكسالى . وهذان حديثان شريفان يدلان على رفقه بأمته وشفقته عليهم وينبغى لأئمة المساجد حفظهما وفهم معناهما لأنهم المقصودون بهما ولم ينقلا الينا لنتعبد بتلاوتهما ونتبرك بقراءتهما كما نفعل فى رجب عند قراءة صحيح البخارى مع الغفلة عن الآداب والأحكام التي بعث بها سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وإنما حفظ الحديثان ليتخلق الأئمة بأخلاق نبيهم وليراعوا فى المساجد أحوال المصلين .
وإنمـــا يؤم القوم خيارهم وأفقههم فى دين الله وأعرفهم بسنة رسول الله وأكثرهم حفظاً لكتاب الله . ومن أدب الاسلام وتهذيبه لنفوس أهله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد فى بيته على تكرمته الا بإذنه) . وما كان صلى الله عليه وسلم يؤم الرجال والنساء فى مسجده الشريف ويسمع بكاء الطفل فيخفف الصلاة ويتجوز فيها الا رحمة به وشفقة على أمه لأنها اذا سمعت بكاء ابنها انصرف قلبها اليــه واشتغلت به عن استماع القرآن والخشوع المطلوب فى الصلاة ، والمرأة ضعيفة القلب سريعة الانفعال لما يصيب أولادها اذا بكى طفلها ردد فؤادها صداء بكائه واذا تحرك فى مهده تحرك فى صدرها قلبهــا لحكمة من الله لولاها لضاع الصغار وأهمل شأنهم . ومن ذلك نعلم حضور النساء المساجد فى عهده صلى الله عليه وسلم وأنهن كن يشهدن معه الجمعة والجماعات ودعوة الخيــر فيسمعن خطبه ويتعلمن منــه الدين ، الا انه ثبت فى السنة نهيهن عن الاختلاط المباشر ومزاحمة الرجال . وخير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وشر صفوف النساء أولهــا وخيرها آخرها . وكان النساء فى العصر الأول يذهبن الى المساجد ويقعدن من وراء صفوف الرجال وحلقهم فيسألن ويعترضن ويناقشن العلماء وكل ذلك من وراء حجاب ومع التزام

الآداب وربما طلب العلم عليهن وتردد الأجلاء على أبوابهن للرواية عنهن .
وإذا خيفت الفتنة وظهر الفساد فصلاة المرأة فى بيتها أفضل وأجرها عند الله أعظم واتقاء الشر أهم من طلب الخير . وفى الحديث الشريف (أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء الأخيرة) ، (وعن أم سلمة مرفوعاً خير مساجد النساء قعر بيوتهن) وإنما أمرت الأئمة بتخفيف الصلاة لئلا يشقوا على كبار السن والمرضى وذوي الحاجات الذين لم يحضروا الجماعات إلا رغبة فى الخير وحرصاً على مضاعفة الحسنات مع أن أحدهم قد يعجز عن الوقوف فى مصالحه الحيوية لحظات قصيرة وقد يكون الوقت محسوباً على العمال وأصحاب الوظائف بالدقيقة والثانية ولهم أشغال كثيرة بعد الصلاة فتجب مراعاتهم وعدم التطويل بهم بحيث لا يخرج الامام فى إسراعه بالصلاة عن آدابها ولا يخل بشيء من أركانها وشروطها . وفى الحديث (إن رجلاً من بني سلمة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أن معاذ بن جبل يأتينا بعد ما ننام ، ونكون فى أعمالنا فى النهار فينادي بالصلاة فنخرج اليه فيطول علينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاذ لا تكن فتاناً أما أن تصلي معي وأما أن تخفف على قومك) . وبعض الأئمة حفظهم الله يعلم هذه الأحاديث ثم يؤولونها بغير المراد منها فتجده يطول تطويلاً مملاً ويقول هذا كله دون ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتج بقراءته فى صلاة المغرب بسورة الأعراف مثلاً وتلك واقعة حال لا يحتج بها .
ومنهم من إذا دخل الصلاة طواها طياً وركض فيها ركض الرهان فلا سكينة ولا وقار ولا خشوع ولا اطمئنان ولو خشع قلبه لاطمأنت جوارحه ، يهذ القراءة هذاً وينقر فى السجود نقر الغراب ، وأكثر ما يقع ذلك فى صلاة التراويح التي يصلونها عشرين ركعة فى أقل من ربع ساعة ولو صليت ثمان وأتم فيها الركوع والسجود لكانت أحب الى الله وأوفق للسنة . وما جمع الناس عمر بن الخطاب على أبي بن كعب رضى الله عنهما فى صلاة التراويح إلا لحسن قراءته وعمله بقوله تبارك اسمه (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وقوله

تعالى (يا أيهـا المزمل قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) . وللامامـة آداب كثيرة وأحكام شهيرة فى كتب السنة وفروع الفقه ولا بد من معرفتها والعمل بها . والإمام ضامن ومسؤول وعليه ما ليس على غيره يتحمل فاتحـــة المسبوق وينتظر الداخل لإدراك الركعة أو الجماعة بالشروط المعلومة . ومن أم قوماً وهم له كارهون لم يقبل الله صلاته ولا نصيب له من فضيلة الجمـاعة التى هي رمز الألفة والإتحاد . وثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة : عبد أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل أم قوماً وهم به راضون ، ورجل ينادي بالصلوات الخمس فى كل ليلة . وأهم آداب الإمام أن يكون حسن السيرة والسلوك محمود السجية محتسباً غير فاسق ولا مبتدع يحب النـاس ويحبونه حسن القراءة جميل الصوت نظيف الثياب طيب الرائحة عليه من الوقار آية وهو من العلم فى الغاية والنهاية ، وحيث كان كذلك فله على الناس حبه واحترامه ومساعدته وألا يؤاخذوه بكل زلة ولا يعاتبوه عند كل هفوة وليعلم الذين يتجرأون على الامامة ويحرصون على الوظائف ولو كان فيهـا مزلة أقدامهم وفتنة أحلامهم إنهم بين يدي الله تعالى مسؤولون محـاسبون فليصححوا قراءتهم وليتعلموا من الفقه ما يحسنون به صلاتهم ويتجنبوا من بدع الصلاة ومحدثات الأمور فى المساجـد ما يوقعهم فى قول رسول الله صلى الله عليــه وسلم من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ، وفى رواية من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وإن منهم لمن يجهل أحكام الطهارة ورفع الحدث وإزالة النجاسة ولو بطلت صلاته أو حدث له شيء وهو فى المحراب لاستمر فى عمله تكبراً أن يقال فيه شيء وجهلاً بأحكام الإستخلاف وبعضهم يلحن فى القراءة لحنـاً فاحشاً ويغلط غلطاً مكفراً لو تعمده وكان عالماً بمعناه فقد يبدل حرفاً بحرف ويجعل الحاء هاء والعين همزة والقـاف غين والضاد ظاء وهلم جرا وربمـا حذف حرفـاً أو خفف مشدداً أو شدد مخففاً أو مد فى غير موضع المد . أما الأذكار وتغيير صيغتها وحمل شيئاً منها مكان شيء آخر فدأب أكثرهم

وقد يكون لهم العذر فى جهلهم بذلك ، ولكن ما عذرهم فى تغيير القرآن وعدم تصحيحه . وفى الحديث الشريف (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) . ومن الأئمة عافاهم الله من يصم آذان المصلين ويزعج الواقفين والعاكفين والركع السجود بالتهاليل والتسابيح والرواتب التى قبل الصلاة وبعدها وقد ورد فى الخبر لا يشغلن قارئكم مصليكم وربما وقف وقال بأعلى صوته غفر الله لمن قال لا إله إلا الله فيضج معه الجمهور ضجيجاً يخالف آداب المساجد . وقول النبي عليه الصلاة والسلام (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ولكنكم تدعون سميعاً قريباً مجيبا) ، ومن كان منهم راتباً فى مسجد لزمته المحافظة على الأوقات وأن لا يترك لمعترض عليه سبيلاً جهد طاقته ورضا الناس غاية لا تدرك وإنما الكمال لله (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

الحديث الحادي والتسعون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، قال :

{ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة ، فقال أبو بكر ان أحد شقي ازاري يسترخى الا ان اتعاهد ذلك منه فقال انك لست ممن يفعل ذلك خيلاء } .

(رواه البخارى ومسلم ، الا ان مسلماً لم يذكر قصة أبي بكر)

الخيلاء الكبر وهو مذموم على كل حال ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذره من كبر . وللباس آداب اذا حافظ المسلم عليها فقد حافظ على جانب عظيم من الأخلاق . ومن حكم الآداب رفع الثياب عن الأرض

والاقتصاد فى طولها وعرضها ولينها وثمنها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما تيسر إزار وقميص وجبة وعمامة ورداء ويحب الأبيض من الثياب لنظافته وخفة مؤنتـه ولا يحرم غيره ولا يبـالي بلبس أسود ولا أحمر الا الثياب المزعفرة والمعصفرة فيبغضها وينهى الصحابة عن لبسها ولا يحرم من القماش الا الحرير على الرجال فقط وقـد رخص فيـه للحاجة وأذن فى القليل منه وأباحه للنساء مطلقاً . وقال لبعض أصحابه كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة . وعد اسبال الثياب من الكبر وحرم ما جاوز الكعبين . ودخل غلام على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعـد ما طعن فهناه بالشهادة وسابقته فى الاسلام ثم خرج من عنـده وطرف ازاره يمس الأرض فدعاه عمر وقال له وهو يعالج سكرات الموت ياغلام ارفع ازارك فـإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك . وظن الناس إذ سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الإسراف والغلو فى اللباس ان التجمل كله حرام وصاحبه متكبر ، فقال أحدهم يارسول الله ان أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فأقر ذلك وأخبر أنه ليس من الـكبر وقال ان الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبـده . وليس فى الاسلام ما يدل على الاختصاص بلبس خاص ولا حرج على أحد فى أن يلبس ما شاء وكيفما شاء إلا أنه يحرم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . وكان الصحابة يجتمعون وفيهم العارى والكاسى والمعمم والأقرع والمنتعل والحافى والدهن والأشعث ولا يعـاب أحد على شيء من ذلك إلا النساء فواجب عليهن ستر أبدانهن وإخفاء زينتهن إلا ما ظهر منهـا غير متبرجات بزينة ولا متعرضات لفتنه . ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وعليهـا ثياب رقاق فأعرض عنهـا رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقال (يا أسماء إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها الا هذا ، وأشار الى وجهه وكفيه) . وأمر أسامة بن زيد أن تجعل زوجته تحت ثوبهـا الرقيق غلالة تمنع من رؤية البشرة وحكاية

حجم الأعضاء . ومن الشر والبلاء ما حصل اليوم من خروج المرأة عن الفضيلة وتشبه المسلمة بغير المسلمة فى السفور وتبرج الجاهلية باللابس الفاضحة القصيرة الشفافة المشار اليها بقول الشاعر

لبست من الأثواب ثوباً فاضحاً　　فغدت تميس بثوبها الشفاف

يحكي عجيزتها ويحكي صدرها　　ويبين منها كل شيء خاف

وقد أشار الى ذلك المخبر بما وراء الغيب فقال صلى الله عليه وسلم (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن أمثال أسنمة البخت المائلة لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس) . فعلام تكونين أيتها المسلمة من أهل النار وتخرجين عن آداب دينك وتقاليد قومك بهذه الأزياء الخبيثة والملابس الملعونة وأنت العفيفة الطاهرة الصالحة القانتة الحافظة للغيب بما حفظ الله وأنت أيضاً ترين النساء الهنديات والصينيات واليابانيات وغيرهن محتفظات بعاداتهن وكرامة قومهن وبلادهن ، وإنما يجرف السيل ماخبث وخف . وليس إلا الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها تسير وراء مدنية الغرب وتقلد الأقوياء فى النقائص والرذائل ويجرفها السيل الى البحر وتدفعها الهمجية الى الهاوية (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) . وعورة المرأة جميع بدنها إلا الوجه والكفين وما يبدو غالباً عند المهنة . وتقدم شيء من ذلك . ولا مانع من التزين بالذهب والحرير ومختلف الثياب والحلي ما لم يكن ذلك مخالفاً للشريعة والآداب أو فيه تغيير لخلق الله كالوشم وهو الرقام ووصل الشعر والأخذ من الأسنان بالمبرد وهو الوشر الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة والواشرة والمستوشرة والنامصة والمتنمصة) وكذلك يحرم أو يكره خضب الشعر بالسواد على الرجال والنساء لما فيه من التغرير والتغيير ولا بأس فى الصبغ بالحمرة والصفرة . ولا حرج على المرأة فى الاختضاب بالحنا وتجميل وجهها بمختلف الأصباغ والبودرة .

أما الخضاب المركب من العفص ومواد أخرى فإن كان مانعاً من وصول الماء الى البشرة فحرام وإلا فلا ومثله الصبغ بعد الحنا بالحطم والشرعة . وبهذه المناسبة نذكر اختلاف العلماء فى تزين المرأة بخشف الأنف والأذنين للخرصة والتحاميل والوزغ فقد صرح جماعة منهم بحرمــة ذلك وأباحه الآخرون .
ولــكل أهل بلدة عادة وتقاليد تمــد مخالفتها من الخطأ وفساد الذوق إلا ما وافق الشرع وأمر به الكتاب أو السنة . وليس للرجل عورة يجب سترها الا ما بين السرة والركبة عند الشافعية وهى عند المالـكية السوأتان فقط ، وقد جوزوا الصلاة فى التبان والأزر التى لا تبلغ أطراف الركب ولـكن اذا وسع الله على عبده فليوسع على نفسه بما استطاع ولا ينبغى التقتير على النفس والعيال فى الملابس ومخالفة العادة المتبعة فى محل الاقامــة . ولا يلبس فى الصيف ملابس الشتاء وبالعكس الا جاهل مخبول . ومن الاسراف تلك الثيـاب الفضفاضة والجبب الطويلة والأكمام الواسعة والعمائم الـكبيرة التى أصبحت شمار العلماء وصار أحدهم يستحي من الخروج الا فيهـا ويرى أنه بدونها لا يعد عالماً ولا يقام له وزناً وهى عندى والشهادات المتحصل عليها بدون جدارة شيء واحد وقد أضر بها الأدعياء والمغفلون المجتمع وخدعوا بها العامة وصدق فيهم قول الشاعر

من كان يلبس جبة وعمامة ... فهو الذى بالدين والدنيا عليم
واذا تزين جاهل بثيـــابه ... سماه أهل الجهل لقمان الحـكيم

نعم لا يليق بالرجل الاجتماعى أن يظهر للناس بما يعاب عليه أو يبــدي من نفسه ما تشمته به الأعداء أو يغم به أصدقاءه وليس من الدين تقشف الزهاد والصوفية بلبس المرقعيات والأسمال الباليــة وانما الدين أن تعبد الله كأنك تراه والقوة والعزة شيء يحبه الله وهو من صفات المؤمنين . (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولـكن المنافقين لا يعلمون) . وظهر جماعة فى خلافة عثمان بن عفان يمشون فى أحد شوارع المدينــة المنورة مشي الهوينـا وعليهم ثياب الصوف فقالت امرأة من هؤلاء فقيل لها هؤلاء الزهاد فقالت رحم

الله عمر والله لو رآتم لأوجعهم ضرباً . واذا كان ربنا تعالى جميلاً يحب الجمال فما لك والتبذل وترك ما أخرج الله لعباده من الطيبات وقد قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) فكل طيباً والبس جديداً ونظيفاً واياك وبطر الحق وكفر النعمة وغمط النـاس والتكبر عليهم واحمد الله على ما أعطاك واشكره بإظهار نعمته عليك وتصدق بما بلي من ثيابك فإن ذلك من الشكر على الثوب الجديد . ولبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوباً جديداً فقال الحمـد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حيـاتى ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حيـاتى ثم عمد الى الثوب الخلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حياً وميتاً . (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

الحديث الثانى والتسعون

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

﴿ بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعهم يا عمر ﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

من الشجاعة والدين تعلم السبق والرمي والسبحـة وسائر أنواع الرياضة البدنية والمؤمن القوي الشجاع أحب الى الله من المؤمن الضعيف الجبان ، ولن يدفع الله غائلة الأعداء ويحفظ الدين والكرامة والحقوق إلا بالعزائم الماضية والنفوس الأبية والسواعـد القوية ، ولذلك يأمر الاسلام بالمسابقة ويحث

على الرمي ويأذن فى الرهان ومصارعة الأقران ويرخص فى لعب الحبشة بالحراب يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ويوم العيد فى المسجد ، ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم الفاروق من الانكار عليهم لأن صنيعهم من العبادة المأذون بها فى المسجد . وقد كانت السيدة عائشة تنظر اليهم ونبي الله صلى الله عليه وسلم يسترها ويطأطئ لها كتفه حتى شبعت وانصرفت . وسابق بين الخيل المضمرة لمسافة خمسة أو ستة أميال والتى لم تضمر فى مسافة ميل أو أكثر ، وكان يسابق على قدميه ويصارع الأبطال فيصرعهم قالت عائشة رضى الله عنها : (سابقنى النبي صلى الله عليه وسلم فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتيك) (رواه احمد وأبو داؤود) . وكان ركانة رجلاً شديداً لا يصرع فصارعه النبي صلى الله عليه وسلم وصرعه ويذكر أنه صارع فى مكة على مائة شاة فغلب المصارع ورد عليه غنمه . وكان يعجبه من أتباعه الشديد القوي الذى لا يصرع ولا يغلب ولا يأذن فى الجهاد إلا لمن عرف بطولته ورأى فيه صحة وقوة . وأذن مرة لأحد الفتيان فى القتال ، فقال آخر : وأنا يا رسول الله فرآه صغيراً ولم يجزه ، فقال : أنا أصرع فلان الذى أذنت له فأمره أن يصارعه ولما غلبه أذن له فى القتال وأجازه . ومر بقوم ينتضلون ، فقال : ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بنى فلان فكف القوم أيديهم كرامة له صلى الله عليه وسلم حتى قال ارموا وأنا معكم كلكم . وبما ذكر نعلم أن للاسلام عناية بالرياضة البدنية وأنه يقرها ويأمر بها ويجعلها من التفسير لقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وليس ما كان منها معروفاً هو المأذون فيه فقط وأنه لا يحل غيره . ولكن القمار والمراهنة التى بها تقع العداوة والبغضاء وتذهب الأموال فى غير مستحقها هو المحرم المحظور وما دون ذلك من السباق والمراماة فغير ممنوع بالطيارات والسيارات والدراجات والسفن البحرية ، ومثل اللعب بالحراب والسهام اللعب بالسيوف والبنادق ، ومثل المصارعة رفس الكرة والضرب بالصولجان وكل ما يلحق بذلك ،

وسباق الخيل الذى تقع عليه مراهنة المتفرجين لا يحل شرعاً لمـــا فيه من الإسراف ولدخوله فى القمار والميسر الذي نهى الله عنه بقوله (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وإذا كثر المال واستغرق الناس فى الترف شربوا الخمر ولعبوا القمار فخالفوا أوامر الله وأضاعوا عقولهم وأموالهم وضلوا عن سواء السبيل . ولا يمحق الأموال ويبدد الثروات شيء كالقمار الذى تحرمه الشرائع والقوانين ولا يجهل أحد خطره على المجتمع وما يسبب من الأضرار الخلقية . ومن ألف الشر وتعوده صعب عليه تركه وشقت عليه مفارقته ، فالمقامر إذا أفلس والسكير إذا لم يجد قيمة الخمر والزانى إذا لم يجد مهر البغي سرق ونهب واغتصب وتسول وشهد الزور وباع دينه وكرامته بأقل ثمن وأرخص قيمة . وفى الأعياد ومواسم الزيارة يلعب النـاس القمار ويقمدون له فى الشوارع وعند الأضرحة على الموائد المستديرة ويقع من شره ما تراه وتسمعه رجال الشرطة وحفظة الأمن فلا يحركون ساكناً ولا يغيرون منكراً . وأشباه العلماء يغضون عنه أبصارهم ولا يعيرونه إهتمامهم لأنهم يرونه سيئة مغفورة فى جانب حسنات الزيارة ويبشرون العامة بشفاعـة الأولياء لمن فى ساحتهم وإن من كرامتهم على الله أن لا يؤاخذ أحداً بما يصنع يوم الإجتماع المشؤوم عليهم . ومن عنـايه الإسلام بالصحة والرياضة الأمر بالمشي والصوم والإقلال من الأكل والصبر على الجوع ومشقة العمل وبحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فـإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، والحكماء يقولون العاقل يأكل ليعيش والجاهل يعيش ليأكل . ومن اخشوشن فى طعامه وشرابه ولباسه وحركته وسكونه ، لم يشق عليه الفقر ولم يتعبه السفر بل إن كان فى البر مشى وركب وأعان الضعيف وحمل الكل وقطع المسافات البعيدة بكل سهولة ، وإن كان فى البحر ركب وسبح وغاص واصطاد ولا مشقة ولا عناء . ومن ملح التنكيت (إن طالباً قال لملاح السفينة وهما فى البحر : أتعرف النحو ، فقال : لا ، قال : فقد ضاع نصف عمرك ،

وبعد قليل هبت الزوبعة وثار البحر وأوشكت السفينة أن تتحطم ، فقال الملاح للطالب : وهل تعرف السباحة ، قال : لا ، قال : فقد ضاع عمرك كله) . ومن سقط فى البحر أو جرفه السيل وأشرف على الموت لم ينقذه إلا السباح الرياضى . ويدل هذا الحديث على إعجاب النبى صلى الله عليه وسلم بلعب الحبشة بالحراب ومـا أقره فى المسجـد إلا ليراه العرب فيتعلموه وكل ما حدث من الخير فقد سبق الإسلام اليه . وقد كان فى الحرم النبوي للصحابة رضى الله عنهم المدرسة الحربية والنظام العسكرى ومنه تخرج القواد المشاهير والأبطال المغاوير . ونصيحتي لطلبة العلم وفقهاء الدين أن يأخذوا بحظهم الوافر من الرياضة البدنيـة وألا يكونوا كالكباش التى لا تأكل إلا لتسمن ثم تذبح ولن يستطيع أحد أن يكف عن نفسه الأذى ويقف فى وجوه الأعداء يناصر الحق ويحارب الباطل إلا إذا كان قوي الجسم والعزيمة ومـا كان الذين يقاتلون فى سبيل الله إلا من العلماء الأجلاء وحملة الشريعة كعلي ابن أبى طالب وخالد بن الوليد وأبى عبيدة وأمثالهم فهم الشجعان والعلماء والعباد فى آن واحد ، وكذلك كان كثير من الأئمة وسادات العلماء يحملون السلاح ويثبتون عند الكفاح ويسارعون الى النجدة إذا سمعوا الجلبة والصياح وإذا ذهب زمن القوس والفرس فهذا زمان المدفع والدبابة . ولا يليق بكل أحـــد التريض بالرقص والدنس وما يخل بالمروة أو يخالف الشريعة كسباحة العرايا واختلاط الرجال بالنساء فى شواطئ البحر وحيضان السباحة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) .

الحديث الثالث والتسعون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، قال :

﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة﴾

(رواه البخارى ومسلم)

أضر ما يكون من المعاصى على أصحابها ضرورة عاجلة بعد الزنا هو الخمر الذى يهيج المدة فبسبب القيء ثم يسبب إلتهابات مزمنة فيها وأخيراً يتلف الكبد تدريجياً ثم يكون بعده الإستسقاء القاتل . ومن أدمن الخمر تصلبت شرايينه وتأثر بها قلبه وكلاه ومخه وضعف جسمه ضعفاً يعجز معه عن مقاومة الأمراض المعدية ، وأولاده يصابون بالصرع والجنون والشلل وضعف الادراك ويفسد عقله ومزاجه ويذهب ماله وكرامته . وذكر بعض الأطباء من مضار الخمر أربعة عشر خصلة وهي :

(١) تخدر المراكز العصبية العليـاء ، فيصاب شاربها بجنون وقتي فيلحق الأذى بالناس أو بنفسه .

(٢) تنبه القلب تنبيهاً شديداً يعقبه ضعف وهبوط .

(٣) تضعف مناعة الإنسان ضد العدوى بالأمراض وهي تخدر الكرات الدموية البيضاء التى تعتبر حارسة الجسم من كل عدو خارجي يفكر فى الإعتداء على صحة الانسان .

(٤) مدمن الخمر معرض للاصابة بالسل أكثر من عيره ، وإذا أصيب بإلتهاب رئوي كان الأمل فى نجاته منه ضعيفاً جداً .

(٥) نسبة نجـاح العمليات الجراحية فى مدمني الخمر قليلة ، ولذا لا تؤمن شركات التأمين على حياة السكيرين .

(٦) أجري فحص دقيق فى عدة مستشفيات للأمراض العقلية فى أنحاء

مختلفة من العالم وقد أسفر هذا الفحص عن أن ما يقرب من ٥٠٪ من نزلاء تلك المستشفيات ، هم سلالة آباء اعتادوا شرب الخمر .

(٧) الخمر تتلف الكبد والكلى ، وتسبب الضعف العقلي والجثماني والعصبي .

(٨) المصابون بضغط الدم ، والبول السكري ، وأمراض القلب ، لو شربوا الخمر كانوا بمثابة المنتحرين .

(٩) إن الخمر لا تساعد على الهضم كما يشيع الواهمون هذا النفع عنها ، بل هي على النقيض تعرقل عملية الهضم .

(١٠) ليس لإبنة الحان ، وهي رجس من أعمال الشيطان ، أي قيمة غذائية ، ويكفيك أن تعرف عن مدى تفاهتها كغذاء ، إن زجاجة البيرة لا تحتوي على قدرة غذائية أكثر مما تحتويه ملعقة أرز واحدة .

(١١) مدمن الخمر الفقير ينفق على كؤوس الطلاء ، أضعاف أضعاف ما ينفقه على صحاف الطعام ، وهو يجوع ليسكر ، ولكن على حساب صحته وصحة زوجه وأطفاله الصغار ، فيتعرضون جميعاً للأمراض الفتاكة التى تتسبب عن نقص التغذية كالبلاجرا وغيرها ، وهم أيضاً يصابون بالسل .

(١٢) تدل الإحصاءات الطبية على أن نسبة كبيرة من الذين يصابون بالأمراض التناسلية ، تعرضوا لهذه الأمراض على أثر شربهم للخمر التى تضعف فى شاربها عقل الكبت الذى يختزن فيه الانسان تعاليم الدين والأخلاق .

(١٣) ما من مدمن للخمر أعقب نسلاً قوياً ، حيث أنها تورث صفات الضعف للجنين من الخلية الضعيفة السكرى التى تكونه .

(١٤) إن أكثر من ٤٠٪ من حوادث السيارات يرجع السبب فيها الى الخمر ، لأن أوقيتين وربع أوقية منه تنقص الاستجابة للمؤثرات الى النصف ، فلو أن خطراً يتطلب وقوف السيارة بعد ثانية ، أوقفها المخمور بعد ثانيتين ، ولذا فإن القانون يحتم سحب رخصة السائق إذا ثبت أنه كان

شارباً خمراً وقت وقوع الحـادثة (ا. هـ.) . وبالخمر تقع العداوة والبغضاء ويتصور شاربه خلاف الواقع ويتوهم وهو سكران القدرة على مصارعة الأسود وأنه السيد المطاع والحـاكم المطلق والبحر الخضم في الكرم والجود . والحقيقة أنه يكون وقتئذ أضعف من دجاجـة وأخبث من جمل وأبلد من حمار وأديث من خنزير ، يصده الشيطان بشرابه الخبيث عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقعه في معصية الله وسخطه يرتكب الكبائر ويقترف الجرائم ويقع في الآثام ويخبط في الحرام ويترك ما يجب عليـه من الأحكام فيفعل نكراً وينطق كفراً يسب ربه وأمـه وأباه ويطلق ويزني ويلوط ويعبث بالأعراض والكرامات ويتلف أثاثه ويوسخ ثيابه ويبول على نفسه ويبكي بلا سبب ويضحك من غير عجب فتهزأ به الصبيان ويسخر به السفهاء ويمقته العقلاء ويبغضه أهله وجيرانه . ورحم الله عدي بن حاتم وقيل له ما لك لا تشرب الخمر ، فقال : (ما أحب أن أصبح حكيم قومي وأمسي سفيههم) وقال أعرابي : (الخمر أس الشرور ، وأصل البلايا ، وسبب الدمار) . وأجاد يزيد بن محمد المهلبي حيث قال :

لعمرك ما يحصي على الكأس شرها ... وإن كان فيهـا لذة ورخـاء

مراراً تريك الغي رشداً وتارة ... تخيل إن المحسنين أساءوا

وإن الصديق الماحض الود مبغض ... وإن مديح المادحين هجـاء

ولا شك أن فتك الخمرة بالنـاس أشد من فتك الطاعون والحرب والمجاعات لأن ضررها أخلاقي بحت وشاربهـا عضو مسموم في جسم أمته ومواطنيه إن لم يعالج أو يقطع سرى سمه الى سائر الأعضاء وأثر على الجسم كله . وقد حرم الله الخمر على المؤمنين في كتابه المبين وعلى لسان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبالغ في تحريمها وشدد في الحكم على متعاطيها وجعل حد شارب الخمر أربعين جلدة وللحاكم أن يعزره بأربعين جلدة أخرى فإن تاب تاب الله عليه وإلا فإن عذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . ولعظيم ما كان الناس يحبون الخمر ويشربونهـا نهى الله عنها ثلاث مرات في ثلاث آيات من كتابه

العظيم وجعل التحريم تدريجاً فقال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) ، وذلك فى السنة الثانية من الهجرة ثم قال فى حوالي السنة الخامسة (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، وفى السنة السابعة قال تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) ، ولما حرمت الخمر تحريماً نهائياً قال أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه يا رسول الله : إن عندنا خمراً لأيتام أفنتخذها خلاً ، فقال : لا وأهريقت الخمور حتى اصطفقت بها شوارع المدينة . وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مرة الى السوق ومعه جماعة من أصحابه رضى الله عنهم وبيده مدية قد أرهفت فكان يشق بها زقاق الخمر وأوعيته ثم دفعها الى ابن عمر وقال للذين كانوا معه أمضوا معه وأمرهم أن يعاونوه فما تركوا زقاً ولا دن خمر فى أسواق المدينة إلا قطعوه وأتلفوه حسماً لمادة الشر وسداً لذريعة الفساد . وكانت الخمر تتخذ من التمر والزبيب والذرة والشعير والعسل وغير ذلك فظن الناس أن المحرم منها ليس إلا ما اتخذ من التمر والزبيب فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بحرمة ذلك كله وإن كل مسكر حرام . .(وقال رجل من أهل اليمن : يا رسول الله شراب نشربه بأرضنا يقال له المزر يتخذ من الذرة ، فقال : أو مسكر هو ، قال : نعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قال يا رسول الله : وما طينة الخبال ، قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار) . ومن هذا نعلم أن النبيذ والبيرة والبوزة والحشيشة وكل ما أسكر أو خدر أو فتر فهو حرام وهو والخمر شيء واحد ، وما أسكر كثيره فملء الكف منه حرام . والشراب المعروف عندنا بالطاري وهو لبن النارجيل والبهش حرام لاسكاره وفعله بعقول شاربيه ما تفعل بها الخمر ولا فرق بين قليله وكثيره إلا أن يكون ذلك عند تحلبه من الشجرة وقبل أن يكون مسكراً . وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر

شاربها وبائعها وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها ومسقاها ، وقال إن الله أخبره بذلك . ومنه نعلم أنه لا يجوز حمل الخمر الى من يشربها ولو كان الحامل أجيراً أو خداماً إلا أن يكون شاربها ممن يعتقد حلها فلا بأس بحملها اليه والله أعلم . ولا ينبغي لمن يجد عملاً غير الخدمة فى بيوت اليهود والنصارى أن يكون عندهم وتابعاً لهم يصب الخمر ويشقص الخنازير ، ومن طلب الحلال كفاه الله ومن أراد الرزق الطيب أغناه الله . والمؤمن المعتز بإيمانه الراضى بما قدر الله له لا يتحمل هذا الضيم ولا يقبل ذلة الخدمة فى بيوت الكفرة وتحكمهم فى إرادته (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) . والخمر نجسة كنجاسة البول يغسل منها البدن والثوب والإناء لقول أبى ثعلبة الخشني رضى الله عنه يا رسول الله أنا بأرض قوم أهل كتاب يأكلون الخنزير ويشربون الخمر أفنأكل فى آنيتهم ، قال : لا إلا أن لا تجدوا غيرها فاغسلوها ثم كلوا فيها) . وأخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بما يكون فى آخر الزمان من شرب الخمر والعكوف عليها وما يوشك بما ينزل بأهلها من عقاب الله ، فقال : (يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم الريح حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عاداً على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم) . وقد يقرأ أحد هذا الحديث فيكفر به ويشك فيه لجهله بمعناه وعدم فهم المراد منه فلا يتصور المسخ ولا يصدق بأن إنساناً يحوله الله قرداً أو خنزيراً . والحقيقة أنك ترى كثيراً من الناس وعلى وجوههم شبه بين ببعض الحيوانات وقد يكون المسخ فى طباعهم والتحول فى أخلاقهم عافانا الله من كل مكروه . والخسف والغرق والزلازل والطوفان والزوابع والحوادث الكونية التى ينسبونها الى

الطبيعة وتقلبات الأيام هي كثيرة ومشاهدة ومسموع بها فى سائر الأقطار ونواحى المعمورة من القارات الخمس (ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) ، وثلاثة لا يدخلون الجنة : (مدمن الخمر وعاق والديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله) . ولو دخل الجنة شارب الخمر لم يتمتع بشراب أهلها من أنهار الخمر الذى لا يتغير طعمه ولا تفسد رائحته وهو لذة للشاربين . وقد انتشر اليوم هذا الداء وعمت المصيبة به الأقطار الاسلامية وغير الاسلامية وابتلي بأم الخبائث الشيوخ والشباب والرجال والنساء إلا من عصمه الله . ومن المؤسف أن أطفالنا الصغار يشربون الخمر ويعلم آباؤهم بسوء صنيعهم فلا ينكرون عليهم ، ورجل يشرب فى بيته ويعلم به أولاده ، وأستاذ يروح ويغدو الى مدرسته ورائحة الخمر تفوح من ثيابه ومن فيه وهو يتحدث عنها كثيراً ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره لهو أسوة سيئة وقدوة لأولاده وتلاميذه يحسن لهم الشر ويفتح لهم أبوابه ويوم القيامة يورد قومه النار وبئس الورد المورود . وقد يقوم الخطيب فى المسجد محذراً لمستمعيه من الخمر ومصائبها فيقولون له نحن لا نشربها ولا نحبها ، وهذا الكلام جدير به أن يكون فى الأندية والقهاوى ومجتمعات الفساق وهم صادقون فى ذلك ولكن على الشاهد أن يبلغ الغائب وليس كل شيء هو على الخطباء والوعاظ وعلماء الدين . ومن أحسن تربية أبنائه وعلم أهله الخير وجنبهم الشر كان عوناً لأمته ودينه على اصلاح المجتمع وتقويم أخلاقه ، وليس على الواعظ إلا الدعوة الى الله بقلمه ولسانه ثم على الناس أن يعملوا بقوله وأن يساعدوه على تنفيذ فكرته وتحقيق ما يدعو اليه أو يحذر منه . وقد خرج أيام كنت أكتب هذا جماعة من الفقهاء وأهل الفضل بعريضة يطلبون من الوجهاء والأعيان التوقيع عليها لتقدم الى الجهات المختصة وفيها يطلبون منع المسكرات وبيع الخمر على المسلمين ولكنها صرخة فى واد ونفخة فى رماد . وإذا عظم المطلوب قل المساعد . وان رجائى لعظيم فى تحقيق ما دعت اليه مجلة الأفكار المدنية فى عددها

السابع من محاربة الخمر وتكاتف العلماء على إزالة هذا المنكر ومحاربة أهله ، ولكني أطلب مساهمتهم فى العمل وأن يكونوا لنا عوناً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكلام فى المساجد وعلى صفحات الجرائد لا يفيد شيئاً إلا اذا كان مقروناً بالعمل . ويلحق بالخمر فى حكمها وضررها الحشيشة التى يحد متناولها كما يحد شارب الخمر وهى أخبث من الخمر من جهة أنهـا تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد وانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى داخلة فى ما حرم الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً أو معنى . وقال ابن تيمية رحمه الله فى فتاويه ما خلاصته (إن هـذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ففيهـا من المفاسد ما ليس فى الخمر فهي بالتحريم أولى . وقـد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام . ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وإن القليل منهـا حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر) (انتهى)

وهنا أجد مناسبة وفرصة سانحة للحديث عن القات والتنباك والابتلاء بهما عندنا كثير وهما من المصائب والأمراض الاجتماعية الفتاكة وان لم يكونا من المسكر فضررهما قريب من ضرر الخمر والميسر لمـا فيهما من ضياع المال وذهاب الأوقات والجنـاية على الصحة وبهما يقع التشاغل عن الصلاة وكثير من الواجبات المهمة ولقائل ان يقول هـذا شيء سكت الله عنه ولم يثبت على تحريمه والامتناع منه أى دليل وانما الحلال ما احله الله والحرام ما حرمه الله وقـد قال جل ذكره (هو الذى خلق لـكم ما فى الأرض جميعـاً) وقال تعال (قل لا أجـد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه الا أن تكون

ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير) الآية . وصواب ما يقول هذا المدافع عن القات والتنباك ولكنه مغالط فى الأدلة ومتغافل عن العمومات الدالة على وجوب الاحتفاظ بالمصالح وحرمة الخبائث والوقوع فى شىء من المفاسد ومعلوم من أمر القات انه يؤثر على الصحة البدنية فيحطم الأضراس ويهيج الباسور ويفسد المعدة ويضعف شهية الأكل ويدر السلاس وهو الودى وربما أهلك الصلب وأضعف المنى وأظهر الهزال وسبب القبض المزمن ومرض الكلى . وأولاد صاحب القات غالباً يخرجون ضعاف البنية صغار الاجسام قصار القامة قليل دمهم مصابين بعدة امراض خبيثة وهذا مع ما يبذل أهله فيه من الأثمان الغالية المحتاج اليها ولو أنهم صرفوها فى الاغذية الطيبة وتربية أولادهم وتصدقوا بها فى سبيل الله لكان خيراً لهم وصدق شاعرنا القائل :

عزمت على ترك التناول للقات — صيانة عرضى أن يضيع وأوقاتى
وقد كنت عن هذا المضر مدافعاً — زماناً طويلاً رافعاً فيه أصواتى
فلما تبينت المضرة وانجلت — حقيقته بادرته بالمناواة
طبيعته اليبس المسلم ببردة — أخا الموت كم أفنيت منا الكرامات
وقيمة شاري القات فى أهل سوقه — كقيمة ما يدفعه فى ثمن القات

وانهم ليجتمعون على أكله من منتصف النهار الى غروب الشمس وربما استمر الاجتماع الى منتصف الليل يأكلون الشجر ويفرون أعراض الغائبين ويخوضون فى كل باطل ويتكلمون فيما لا يعنيهم ويزعم بعضهم أنه يستعين به على قيام الليل وأنه قوت الصالحين ويقولون جاء به الخضر من جبل قاف للملك ذى القرنين ويروون فيه من الحكايات والاقاصيص شيئاً كثيراً وربما رفع بعضهم عقيرته بقوله :

صفت وطابت بأكل القات أوقاتى
كله لما شئت من دنيا وآخرة — ودفع ضر وجلب للمسرات

ومن الشيوخ الذين قضى القات على أضراسهم من يدقه ويطرب لسماع صوت

المدق ثم يلوكه ويمص ماءه وقد يجففونه ثم يحملونه معهم فى أسفارهم واذا رآهم من لا يعرف القات سخر بهم وضحك منهم وان أحد المصريين ليقول فى قصيدة يهجو بها اليمنيين :

اسارى القات لا تبغوا على من يرى فى القات طباً غير شافى

أما التنباك وهو التبغ فضره أكبر والمصيبة به أعظم ولا يبعد أن يكون من الخبائث التى نهى الله عنها ولو لم يكن فيه من الشر الا ما تشهد به الأطباء لكان كافياً فى تجنبه والابتعاد عنه وقد أفرط جماعات من المسلمين فى حكمه حتى جعلوه مثل الخمر وحاربوه بكل وسيلة وقالوا بفسق متعاطيه كما أن آخرين قد بالغوا فى استعماله الى حد بعيد وهو شجرة خبيثة دخلت بلاد المسلمين فى حوالى سنة ١٠١٢ هـ. وانتشر فى سائر البلاد واستعمله الخاصة والعامة فمن الناس من يأخذه فى لفائف السجارة ومنهم من يشعله فى المشرعة ومنهم من يشربه بالنارجيلة وهى المداعة التي عم استعمالها سائر البلاد اليمنية حتى اصبحت زينة المجالس وعروس البيوت واستصحبها المدخنون فى حضرهم وسفرهم وانشدوا لها وفيها القصائد والمقطوعات الشعرية

مداعتي نديمتى انيستى فى وحدتى
تقول فى قرقارها يا صاح خذنى بالتى

وأخبث من ذا وذاك من يمضغ التنباك ويجمعه مطحوناً مع مواد أخرى ثم يضمه بين شفتيه وأسنانه ويسمى ذلك بالشمة فيبصق متعاطيها حيث كان بصاقاً تعافه النفوس ويتقذر به المكان ولربما لفظها من فيه كسلحة الديك فى أنظف مكان وللناس فيما يعشقون مذاهب . وبعضهم يستنشق التنباك بعد طحنه وهو البردقان يصبه فى أنفه صبا نفسد به دماغه ويجنى به على سمعه وبصره ثم لا ينفك عاطساً ويتمخط بيده وفى منديله أو على الأرض وأمام الجالسين . وأخبرنى أحد أصدقائى ان قريبه الذى كان يستعمل البردقان لما مات مكث ثلاث ساعات وانفه يتصبب خبثاً ولو اقتصر الناس على ما لا بد منه للحياة لاستراحوا من التكاليف والنفقات الشاقة ولما عرضوا

أنفسهم لشيء من هـذه الشرور . وأنا لا أقيس القات والتنبـاك بالخمر فى التحريم وما يترتب عليه من عقاب الآخرة ولـكن أقول هذا قريب من هذا وكل مضر بصحة الانسان فى بدنه أو عقله أو ماله فهو حرام . والبر مـا اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان افتاك المفتون والله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمـل الشيطان فاجتنبوه لعلـكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) .

﴿ استدراك ﴾ هذا الحديث نسبه الحافظ المنذرى الى البخارى ومسلم وبعد ما كتبته وعلقت عليه لم أجده بهذا اللفظ فى صحيح البخارى وهو بلفظ قريب منه عن أبى موسى الاشعرى والله أعلم .

الحديث الرابع والتسعون

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما :

﴿أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عـام الفتح وهو بمـكة ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فانهـا تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـد ذلك قاتل الله اليهود ان الله تعالى لمـا حرم عليهم شحومهـا جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

طلب الحـلال فريضة بعـد الفريضة ، وخير ما يحصل به الرزق عمل

الانسان بيديه ثم البيع المبرور . وقد أذن الله لعباده فى البيع والشراء وأباح لهم التعامل به وشرع له أحكاماً كثيرة فى القرآن وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وأحل الله البيع وحرم الربا) (واشهدوا إذا تبايعتم) . ومن أحكامه اشتراط الصيغة وهى الايجاب والقبول الحاصلة بقول المتعاملين بعت واشتريت وملكتك وتملكت ونحو ذلك . ولو لا ان بعض العلماء يكتفى بالمراضاة ويقول بجواز المعاطاة فى القليل والكثير لأثم الناس فى ترك الصيغة . وإنما المقصود تبادل المنافع واذن كل من الآخذ والمعطي لصاحبه فى التملك والتصرف . والبائع شرطه أن يكون بالغاً عاقلاً مختاراً مالكاً للمبيع أو وكيلاً فى بيعه وكذلك المشتري . والثمن والمثمن شرطه أن يكون طاهراً منتفعاً به معلوماً مقدوراً على تسليمه . فالخمر والميتة والكلب والخنزير والدم والزبل نجس لا يجوز بيعه ، والأصنام والأزلام وآلة اللهو طرباً ولعباً كالمعازف ومعدات القمار والحشرات غير منتفع بها شرعاً فكذلك لا يجوز بيعها . ومن أجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام . وقد استأذنوه فى بيع هذه الأشياء النجسة لما يحصل بها من الإنتفاع فى دهن الجلود وطلاء السفن والإستصباح بها ، وقد تصير الخمرة خلاً وقد يدبغ جلد الميتة وقد ينتفع بشعر الخنزير فأبى وقال أنه لا يحل ، ولعن اليهود الذين حرم الله عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها . ومن الحديث نعلم أنه لا يجوز بيع كل شيء وأنه لا بد من معرفة أحكام المعاملات التى بينها الاسلام بياناً شافياً ووضع لكل شيء منها قانوناً وقسم البيع الى حاضر مشاهد وغائب موصوف فى الذمة وحرم منه الربا وبيع الغرر والمنابذة والملامسة وعسب الفحل ومهر البغي وثمن الكلب وحلوان الكاهن . ونعلم أيضاً إن الله إذا حرم تناول شيء حرم سائر وجوه الإنتفاع به . وبعض الفقهاء يجيئون بحيل لإباحة المحرم وإبطال الحق وإسقاط الواجب ما أنزل الله بها من سلطان . وما لعن اليهود عليها إلا لأنها ممقوتة وصاحبها مخادع مكار وما وقع التلاعب

بالدين والخروج عن حدوده وآدابه إلا بتلكم الحيل التى أوجدوها لإستباحة المحرمات . ولا شك أن فى الشريعة الاسلامية جواز التخلص من المحذور بشيء من الحيل كبيع صاعين من طعام رديء ثم يشترى بثمنه طعاماً جيداً وكذلك لو حلف ألا يشتري شيئاً من فلان فاشترى من وكيله أو وارثه فلا بأس بذلك . وفى تحفة المحتاج لابن حجر المكي التصريح بكراهة كل بيع اختلف فى حله كالحيل المخرجة عن الربا وكبيع دور مكة والمصحف الشريفين . وبيع العهدة غير محكوم به ولا يلزم المشتري رد ما اشتراه ببيع العهدة وحرام عليه خلف الوعد وأخذ حق الغير بغبن فاحش . وقد أفرط المتأخرون فى الحكم بها وجعلوها من البيوع الصحيحة الثابتة ولا سيا فى حضرموت وزبيد وذلك على خلاف مذهب الشافعى رحمه الله ووضعوا لها كتباً وجمعوا فيها من الأخضر واليابس والحق والباطل أشياء لا تحصى ولفقوا من أقوال العلماء أقوالاً حكموا وأفتوا بها وهي لو انصفوا لعرفوا أنها تفريعات تعود على أصولها بالنقد . وكان الناس يتعاملون بها فى الحجاز واليمن حتى جاءت الحكومتان الحاضرتان السعودية والمتوكلية فألغت العهدة وجعلت المبيع لمن اشتراه إلا ان تطيب نفسه بردة . ومن أقال عثرة مسلم أقاله الله عثرته يوم القيامة . ومثل العهدة الرهن الذى يكون فى يد المرتهن قبل أن يلزم الدين ذمة الراهن ثم ينذر صاحب العين بمنافعها للمرتهن ما بقي الرهن فى يده أو يأذن له فى زراعة الأرض وكراء الدار وله نصف غلتها وأجرها ولا يحسب ذلك من الدين ولا يرى فاعله ان عليه فى ذلك أي حرج . وكل قرض جر نفعاً للمقرض فهو ربا .

أما الصرف ذهباً بفضة أو بالعكس فجائز بشرط الحلول والتقابض ، ولكن اذا اتحد النقد فلا بد من الحلول والتقابض والمماثلة . ومصارفة الريالات بالربابي وعكسه لا تحل لمخالفتها الشروط المعتبرة شرعاً ولكن المشقة تجلب التيسير . ولو منعنا معاملة النـاس بذلك لأحرجناهم والحاجة داعية اليه وكل من الطرفين راض بما يأخذ . ومعرفة المماثلة أمر يختلف باختلاف

النقود فمرة تكون العملة فضة خالصة صرفاً ومرة تكون غير خالصة . وكل بيع فاسد لا يترتب عليه أثر ولا يملك به المشتري عيناً ولا منفعة . والربا كله حرام قليله وكثيره لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . وروى الامام احمد وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدقة والمرتد أعرابياً بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . والأحاديث بذلك كثيرة وهو من أكبر الكبائر عندالله يوم القيامة وحسب المرابي من الشر أنه محارب لله ولرسوله ومتوعد بالخلود فى نار جهنم (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . والتعامل به عندنا كثير والناس متساهلون بأمره يتعاطونه مع المسلم والكافر لحاجة ولغير حاجة ، ومن أخذ الربا فى غير ما ضرورة فهو شريك فى المعصية ومعين عليها . وفى الحديث الشريف الآخذ والمعطي فى الربا سواء (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) وشيء من القمار والمعاملة المحرمة يقع فيه العامة وكثير من الخاصة وهو البيمة أو اليانصيب ، يكون المبيع مساوياً لثمن أربعين روبية مثلاً فيكتبون مائة ورقة بمائة روبية وعلى كل واحدة اسم مشتريها ثم تصير اللعبة ومن طلع سهمه أخذ المبيع بأقل ثمن وربح البائع ضعفي الثمن أو أكثر وربما جعلوا ذلك للمدارس والمستشفيات كما تفعل جمعية المواساة فى مصر ، وما أخذ بالحرام أو جاء من طريق غير مشروعة فعاقبته المحق فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ولو تصدق به صاحبه فهو رد عليه وإنما يتقبل الله من المتقين ، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . ونصيحتي لله ولرسوله وللتجار الذين يجمعون المال من الحرام والحلال أن يتقوا الله فى معاملتهم وألا يكونوا من أهل قوله تعالى (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة

من نصيب) ، وألا يقولوا كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل وألا تغرهم الفائدة والأرباح التي يكسبونها ببيع الخمر والمسكرات كلها والافلام السينمائية التى يقتلون بها الفضيلة ويهدمون بها الأخلاق ويسوقون بها الأمة والبلاد الى الهاوية وليعلموا أن الله لا يبارك لهم فيما كسبوه ولا ينفعهم بما جمعوه ورحمة ربك خير مما يجمعون .
والاحتكار حفرة من حفر النار يسقط فيها كثير من التجار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بئس العبد المحتكر ان ارخص الله الأسعار حزن وان أغلاها فرح وفى رواية ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح) .
وشره ما كان فى الأطعمة وما يحتاج اليه الناس غالباً والأسعار بيد الله يرفعها أحياناً ويضعها أحياناً فليس لحكومة اسلامية أن تحدد القيمة لأية بضاعة ولكنها إذا رأت الاحتكار المضر وتحكم الأغنياء فى الفقراء بالغبن الفاحش ونهب حقوقهم والاستئثار بالمصالح العامة فلها أن توقف المتهورين عند حدهم ولها أن تضع لرعيتها حدوداً فى المعاملة لا يتجاوزها الفوضويون وبلسان الشريعة وبالرحمة الاسلامية وبالشعور الديني والوطني نناشدكم الله يا أثرياء الحرب وأهل (البرشوت) أن تتقوا الله فى اخوانكم ومواطنيكم وألا تأخذوا ما ليس لكم بحق فهو لا يحل لكم شرعاً ولا قانوناً والذى لا يرحم الناس لا يرحمه الله . ولا ينبغي لكم أن تملأوا خزائنكم بالنقود ودكاكينكم بالأرز والدقيق والسكر والشاى ومختلف أنواع الأقمشة والفقراء يتضورون جوعاً ولا يقدرون على شراء الملابس الضرورية ، يالله ، ومن غشنا فليس منا .
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا اؤتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا) وصاحب الهمة العالية والنفس الطيبة والضمير الحي لا يبخس الناس أشياءهم ولا يستحل من أموالهم وأعراضهم ما حرمه الله ولا يتحدث إلا صادقاً ولا يحلف إلا باراً ولا يأخذ إلا متساهلاً ولا يعطي إلا وافياً

وكاملاً لا يطفف مكيالاً ولا يبخس ميزاناً (والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) .

الحديث الخامس والتسعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء فأمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا في هذه البهائم لأجراً فقال في كل كبد رطبة أجر﴾

(رواه البخاري ومسلم)

الحديث السادس والتسعون

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها اذ هي حبستها

ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

اصنع المعروف وضعه حيث شئت فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا واعلم بأنك إذا تصدقت بقليل أو كثير تريد به وجه الله على مستحق أو غير مستحق بأن أجرك فى ذلك على الله وان لك فى كل كبد رطبة صدقة ولا تحقرن من الخير شيئاً فرب لقمة فى جوف جائع أو شربة ماء يبل بها الظمآن غلته لا تكلفك عسراً ولا تضر بك فى مطعمك ومشربك وأنت لا تلقي لها بالاً تقع منك عند الله بمكان ، يدفع بها عنك البلاء ويجيرك بهـا من سوء القضاء ويجعلها لك حجاباً وستراً من النار . وأفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وإن الله ليربي لأحدكم الكسرة يتصدق بها حتى تكون أعظم من أحد . وانظر الى رجل رحم الكلب ورق له وعلم أنه قد أصابه من الظمأ ما جعله يلهث ويعض الثرى فنزل البئر وملأ خفه ماء ثم سقى الكلب العاجز عن النزول فى البئر والوصول الى مائها كيف شكر الله له صنيعه وغفر له ذنبه وأجاره من النار مكافأة له على رحمة الكلب واجارته من الموت وحرارة الظمأ . وقد عجب الصحابة رضى الله عنهم من هذا وسألوا عن الاحسان الى البهائم وهل يكون فيه أجر ، فأخبرهم نبي الرحمة وصاحب الشفقة بخلق الله أن لهم فى كل كبد رطبة أجراً كما أنه عليهم إذا أساءوا الى البهائم ومنعوها حقها الإثم والوزر العظيم . وذكر فى الحديث الآخر أن الله قد عذب إمرأة بالنار جزاء لها على إساءتها الى هرة حبستها ولم تؤد اليها ما يجب لها عليها ولا هى خلت سبيلها فتأكل من حشرات الأرض وتطلب رزقها حيث كان . وفى الحديثين وما جاء على مثالهما من التعاليم المحمدية ما لو عمل الناس به لأغنى عن جمعية الرفق بالحيوانات ولسد أفواه الذين لا يعرفون عن الاسلام إلا أنه دين القسوة واحتقار الضعيف ، وما علموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أرحم الناس بالضعفاء وأكثرهم رفقاً بالبهائم وكل

ذي روح يفتح لهرة الباب وهو يصلي حين سمعها تحكه بأظفارها وينظر الى حمار قد وسم فى وجهه فيقول لعن الله من فعل به هذا . وروي أنه عالج كلباً أجرب وديكاً مريضاً وأنه أمر قوماً من الأنصار بالتخفيف عن بعيرهم الذى كبر فى خدمتهم . وقال عليه الصلاة والسلام ان الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته . (وقال ابن مسعود : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من فجع هذه بولدها ، ردوا ولدها اليها ، ورأى قرية نمل قد حرقناها ، فقال : من حرق هذه ، قلنا : نحن ، قال : انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار) ، لكن إذا كثر النمل والحشرات الأخرى كالذباب والبعوض والبق ولم تتأت إزالتها إلا بالنار والأدوية المحرقة فلا بأس بذلك . (ومر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ، لعن الله من فعل هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً) . ويحرم تكليف الدواب فوق طاقتها من شدة السير وثقل الحمول وضربها بالسياط الموجعة والأخشاب الغليظة والتقصير فى علفها وسقيها واستخدامها إذا كبرت أو مرضت فى ما لا تطيق كما يفعل كثير من أصحابها الذين لا يخافون الله ولا يرحمون ضعيفاً . ومن لا تفيد فيه الموعظة ولا تنفعه النصيحة فواجب أن يخاطب باللغة التى يفهمها لغة الوعيد والتهديد والعقوبة العاجلة الصارمة فيخسر أو يسجن أو تخلص دابته من تعذيبه وسوء معاملته . وحرام على أحد أن يسيب البهائم التى ينتفع بها ، ومن عجز عن حقها فليبعها أو يذبحها أو يهبها لإنسان آخر وكل حيوان مؤذي يحل قتله بل يجب عليك إذا قدرت كالثعبان والفأرة والكلب العقور . ومما حرم إقتناء الكلب إلا لنجاسته المغلظة ولأنه

يصاب بأدواء خبيثة لا تصيب غيره من الحيوانات ، وفى ريقه من الميكروب والجراثيم الفتاكة ما لا يزول بشيء من المطهرات غير الماء والتراب ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات إحداهن بالتراب) ، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ، (وقال : من أمسك كلباً فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية) . وفى رواية (من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم) ، ومنه نعلم جواز إتخاذ الكلاب للحراسة والإصطياد وسائر وجوه الإنتفاع بها . وقد اختلف العلماء فى طهارتها ونجاستها وجواز قتلها لغير حاجة واتفقوا على أنه حيوان خبيث . ومرة قال لي أحد الأخوان المصريين لم تغسل نجاسة الكلب سبعاً إحداهن بالتراب وهو الحيوان الأليف النظيف ، فقلت له وهو لا يقتنع بالأدلة الشرعية لأنكم إذا شتمتم أحداً قلتم له يا ابن الكلب . فضحك وقال هذا دليل اجتماعى . أما القرد والهرة للحراسة والخدمة وأكل هوام البيت فيحل اقتناؤهما ويباعان للغرض المقصود منهما . وعلة التحريم فى التصوير واتخاذ الصور لما فى ذلك من مضاهاة خلق الله والتشبه بالمشركين وعباد الاوثان على أنه يجوز تصوير ما لا روح فيه وكذلك تصوير بعض الأجسام الحية كالرأس ونصف القامة . وفى الصورة الشمسية خلاف فى الجواز وعدمه . أما التى توضع فى جواز السفر وعلى أوراق الشهادة وتضبط بها صور المجرمين فلا بأس باتخاذها لعظم الحاجة اليها . والتماثيل المنحوتة والصور المعلقة على الجدران بلا غرض شريف لا ينبغي أن تكون فى بيوت المؤمنين . وأشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ولا سيما الذين يشجعون الرذيلة ويضعون على الأفلام خرائط الاجرام وصور البغايا العاريات ونجوم السينما باسم الفنون الجميلة والذوق السليم . وإذا رجعنا الى الحديثين وجدناهما يدلان على الرفق بالحيوان الذي لا ينتفع به إلا قليلاً ولا يرغب فى اقتنائه واتخاذه إلا قوم دون آخرين وفى بلاد دون أخرى . أما

البهائم التي تحلب وتركب وتتخذ للسقي والحرث والنسل وتربى لصوفها وشعرها ووبرها وريشها وجلدها ولحمها وعظمها ولبنها فان الوازع الطبيعي يغني عن الأمر بالاحسان اليها والعناية بشأنها ، وبما أنها تعد من النعم العظيمة لله على خلقه فشكره عليها الاهتمام بها وتشغيلها فيما هو من شأنها (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) .

الحديث السابع والتسعون

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

﴿قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسماً فقال رجل ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال رحمة الله على موسى لقد أوذى أكثر من هذا فصبر﴾ .

(رواه البخاري ومسلم)

الحديث الثامن والتسعون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

﴿كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه إعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة نظرت الى صفحة عنق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة

جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذى عنـــدك فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر له بعطاء ﴾ .

(رواه البخارى ومسلم)

الحاشية الصانعة وفى الحديثين بيان ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصبر والاحتمال والعفو عن النـاس والاعراض عن الجـاهلين . وقد اختلف العلماء فى الرجـل الذى قال ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فقيل أنه معتب بن قشير المنافق وقيل حرقوص بن زهير الخارجى . وذلك أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان إذا قسم المال وأعطى الذين حواليــه خص رجالاً من المؤلفـة قلوبهم بالحظ الأوفر ودفع اليهم ما يستميل به قـلوبهم ويعلمون معه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وانه ليس بملك يريد العلو فى الأرض بجمع المال والتحكم فى الرجال فشق صنيعه على الذين لا يعبدون إلا المـادة ولا يقدسون إلا المصلحـة وإذا أعطوا من الدنيا شيئاً رضوا وان منعوا منها سخطوا وغضبوا . . فقالت فتية من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى فلاناً وفلاناً من عظماء قريش وتميم وسيوف الأنصار تقطر من دمائهم وبلغه ذلك فجمعهم وخطبهم وأخبرهم بما سمع فصدقوا ما قيل ولـكن اعتذروا بأن ذلك صادر من سفهائهم وأحداث الاسنان . فقال عليه الصلاة والسلام أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليــه وسلم الى بيوتكم وذكرهم نعمة الله عليهم باقامته فى مدينتهم واصلاحه ذات بينهم حتى بكـوا وقالوا رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولا . وطائفة كانت لا تريد مع المال شيئاً من الآخرة ولا يهمهم أن يكون الله راضياً عنهم أو ساخطـاً عليهم فقال قائلهم ما لمحمد لا يعدل فى أصحابه ولا يسوي بينهم فى العطاء يصانع العظماء ويداهن الزعماء ولا يريد بفعله وجـه الله وما علموا قاتلهم الله انه ليقول صلى الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل وامنع الآخر والذى امنعه

أحب الي من الذى اعطيه ، وحين بلغته أذيتهم وسمع ما نسبوه اليــه من الظلم والجور غضب واحمر وجهه شأن البشر وطبيعة المخلوق لحماً ودماً فكظم غيظــه ودفع بالتى هى أحسن وقال رحم الله موسى فقــد أوذى أكثر من هذا فصبر يتأسى بمن قبله ويممل بقول الله تعالى (أولئك الذين هــداهم الله فبهداهم اقتده) وقــد قيل فى موسى بن عمران أنه ساحر وكذاب وجبــار فى الأرض وطالب ملك وطامع فى مال فرعون وهــامان وقارون ونسبوا اليه أنه قاتل هارون الذي كان احب الى بنى اسرائيل منه ورأوه ستيراً حيياً لا يضع ثيابه إلا فى الخلوة ولا يظهر لقومه إلا بهيئة حسنة فقالوا فيــــه أبرص وآدر وبه من العيوب والأمراض الجــلدية ما لا يحب أن نراه ولا يستطيع معــه التعرى وفوق ذلك قولهم (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقولهم (اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) وقولهم (اتتخذنا هزؤاً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) فصبر على جميع ذلك وكان لمن بعده اسوة حسنة وقــدوة صالحة وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل فيــه ساحر وشاعر وكاهن وكذاب وفقير صعلوك يريد الملك وجاهــل يدعى النبوة ويوحى اليه رائده من الجن ويعلمه بشر وإنما جاء بأساطير الأولين وخرافات المتقدمين فرشقوه بالحجارة ووضعوا عليــه الفرث وهو ساجد لله عند بيته المحرم وحاولوا قتــله غير مرة وقد كسروا رباعيتــه وشجوا رأسه وخضبوه بالدماء وقال كبيرهم الذى سئل عنه وسمع فيه من كلام هرقل عظيم الروم ما سمع لقد أمر أمر ابن أبى كبشة انه ليخافه ملك بني الأصفر .
فأصبح هذا الأمي الذى لا يقرأ ولا يكتب يمــلأ طباق الأرض علمــاً وايماناً وصار الفقير الذى كان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة غنياً عظيماً قد ملــكه الله خزائن الأرض وأحل له الغنائم وملأ يده بالمــال وقلبه بالجود والسخاء فما بخل ولا ضن ولا استأثر بشيء دون أصحابه ولا بنى له قصراً ولا اتخــذ له حاجباً ولا كان له حرس ولا تجارة ولا زراعة ولا صناعة ولا شيء يمنعه من القيام بواجبه أو يتهم به فى دينه ودعوته ومع كل ذلك واليهود والنصارى

والمشركون والمنافقون وأجلاف الأعراب يسمعونه ما يكره ويقولون فيه ما لا يحل ويؤذونه بأيديهم وألسنتهم يسفكون دمه ويستبيحون عرضه ويجهلون عليه وهم يسمعون القرآن ينزل فى شأنه (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا) . فهذا يقول لو مات محمد لتزوجت عائشة من بعده وهذا يقول فى الصديقة بنت الصديق أنها .... وآخر يقول استحل محمد نكاح زينب وهى زوجة ابنه زيد واصطفى لنفسه صفية وكان سفاكاً شهوانياً الى غير ذلك مما كان يسمعه ويقدر على الانتقام من قائله ولو ساء لجعله عبرة لغيره ولأذاقه به حرارة السيف وألم السوط ولكنه يعفو ويصفح ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون . ويخبر انه اختبأ عند الله دعوته المستجابة لأهل الكبائر من امته . وإذا علم من جليسه ضغن القلب وخبث النفس قابل ذلك بطلاقة الوجه وطيب الكلام وكثرة العطاء حتى يكون أحب الناس الى عدوه وأكبرهم قدراً فى نفسه . وان علم منه السذاجة وضعف الرأى لاطفه وعلمه وابتسم له إذا أقبل واستغفر له إذا أدبر . (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) يتعرض له الجاهل الغبي ويجبذه بردائه جبذة الفظ الغليظ ويخاطبه مخاطبة الأعراب الجفاة يا محمد مر لي من مال الله الذى عندك لأنه لا يعرف مخاطبة العظماء ولا يألف ذل المسألة وتصنع الأنذال للملوك وذوى المال ويقيس بهم سيد بنى آدم وأكرم مخلوق على الله فلا يا نبي الله ولا يا رسول الله ولا يا ابا القاسم ولا يا ابن الاكرمين ولا شيء من ذلك ، وهو يستحق أكثر من ذلك ولكن يقول يا محمد كأنه ولده أو ابن عمه الصغير ولا يعلم قول الله جل ذكره : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وقوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فيضحك صلى الله عليه وسلم ويعطيه حتى يرضى ويذكر أصحابه بصبره وكرمه قول الله فيه (وان لك لأجراً غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم) . فأين الملوك والرؤساء من هذه المكارم وأين نفوس

العظماء من نفس محمد العظيم إذا أخذ والكريم إذا دفع والحليم إذا أوذى والحكيم إذا تكلم . ان بين كثير من هؤلاء وبين هذه الأخلاق المحمدية لأمداً بعيداً يسمع أحدهم كلمة لا تضره من مسكين لا يقدر على شيء أو يبلغه من كلمات المصلحين ما ينتفع به لو أصغى اليه وعمل به فتثور ثائرته وتتفجر من نفسه براكين الخبث والانتقام وتستعر بين اضلاعه نار العداوة والبغضاء للعلماء وأهل الحق ويبطش بالضعفاء ويجارى السفهاء ويرى من الجاهل اذا أخطأ انه قد أساء الى ربه الأعلى يريد شيئاً فلا يكون إلا ما أراد ولو كان فيه هلاك الحرث والنسل ويكره شيئاً فلا يستطاع فعله ولا يمكن وجوده ولو كان فيه صلاح المجتمع وسعادة الدنيا والآخرة . يحب المال ويعبده ويثنى عليه ويحمده ويجمعه من كل مكان ويأخذه كيفما كان ولا ينفقه إلا فى شهواته وملذاته وتعزيز مركزه وتقوية جانبه يشترى به القلوب التي خلت من الايمان وينكس به الرؤوس التي لا تفكر إلا فى مصالحها ويضع به أغلال المنافع فى الأعناق التي بين تلك القلوب الخبيثة والأدمغة الفاسدة ليقولوا له اذا سمع الحق والتفت الى الاصلاح كما قال الملأ من قوم فرعون (أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) . ولو كانت الدواوين قد دونت وكان بيت المال قد انتظم لما استطاع ذلك العاجر أن يقول كلمته النكراء لمحمد الحكم العدل والقائل صلى الله عليه وسلم (انما أنا قاسم والله يعطى) ولكنه جهل فقال ولم يعرف الحق فافترى ، ومع أن الذى قد جعل رزقه تحت ظلال رمحه لا يأخذ لنفسه إلا ما يكفيه ولا يستبقى من المال عنده قليلاً ولا كثيراً فإن صغار النفوس وضعفاء الايمان غير راضين عنه ولا معجبين بقسمته وجميل صنعه . فما للذين يجبى اليهم خراج الأرض ويأخذون زكاة المال والفطرة ويفرضون على الناس لنهب اموالهم قوانين يعجز الشيطان عن التفكير فيها وسنها . نعم ما لهم يغضبون من مطالبتهم بالحق ولا يسألون عما فعلوا وهم يسألون . فلا شورى ولا مراقبة ولا نظام لخرج ولا دخل ولا

يعطون فقيراً ولا يكفلون أرملة ولا مسكينا ولا يربون يتيماً ولا يكرمون عالماً ولا يتألفون رجالاً لو أخلصوا لبلادهم وحكومتهم لساروا بها قدماً وسموا بها ذروة المجد ولردوا الذين كفروا عنها بغيضهم لم ينالوا خيراً . وما لهم يبخسون الموظفين حقوقهم ولا يقدرون للعاملين جهودهم مشاهرة قليلة وعلاوة ضئيلة وأتعاب كثيرة وأعمال شاقة يبصرونهم طرق الظلم ويعرفونهم أساليب النهب ويسمحون لهم بالرشوة ويبيعونهم المناصب العاليـة ثم يشاركونهم الفائدة ويقاسمونهم فيما أخذوا بحيلتهم واحتيالهم . فالترجمان خائن والكاتب مزور والجندي سارق والحاكم والقاضي والعامل والشيخ والعريفة لصوص ومغتصبون وذئاب مفترسة والأموال تجمع فتكدس لغير حاجة والاغنياء يفتقرون والفقراء يتضورون جوعاً والبلاد تسير الى الفناء والتأخر وينتقصها الأعداء من أطرافها . والهاشميون يقولون انما خلق الكون لمحمد وآل محمد والشعوبية الملعونة والقومية الشيطانية تحبب الى الرؤساء التوسع في الاستعمار وتفرض عليهم الجمع والتحصيل الذي به يسودون ثم يقولون :

نحن الملوك وأهل الأرض كلهم لم يبلغوا شأونا في المجد والشرف

ونحن سادتهم حقاً وقادتهم وهم عبيد ورثناهم عن السلف

وما لكم أيها العلماء لا ترفقون بسائل ولا تصغون لقائل ولا تنظرون إلا شزرا ، ولا تنطقون إلا فخرا ، ولا تفعلون إلا نكرا ، أنانية وغطرسة وكبرا ، تعرفون الصواب فلا تنفعون ، وتقعون في الخطأ فلا ترجعونّ ولو كان لأحدكم مال قارون وقال له البائس الفقير والسائل المحتاج تصدق علي بفلس أو اعطني من زكاة مالك ما تيسر اشخر ونخر وأخذته العزة بالإثم وقال تعلمني يا جاهل وتذكرني الواجب يا غافل أنا بما علي أعلم وبالمستحقين غيرك أعرف ، ولو رآه أحد الأعراب وهو يعلم أو يقسم فقال له اتق الله واعدل فيما تقول وتفعل لأعلن عليه الحرب ولطرده طرد الكلب . وإنكم أيها الملوك والعلماء من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم لا تصبرون على أذى ولا

تحتملون أية إساءة من أى انسان ولا تطيقون أن تسمعوا من ينـــاديكم بأسمائكم مجردة عن الألقاب وبدون تعظيم ، وقد وضعتم لكل ذي منصب وجاه لقباً لا يشاركه فيه غيره . فصاحب الجلالة وصاحب الدولة والمقـام الرفيع وصاحب الفضيلة وصاحب المعالي والعزة والسيادة والسعادة وسيد وشيخ وأستاذ وسلطان ومولانا وسيدنا ومرشد الأنام وحامي حمى الاسلام .
ولأمه الويل من دخل عليكم رافعاً رأسه أو خرج موليكم ظهره أو غير مستأذن أو صافحكم غير مقبل لايديكم الأثيمة ولا ساجـد على ركبكم وأقـدامكم الساعية بكم فى معصية الله . ومالـكم أيها الأغنياء إذا دعيتم الى الإنفـاق فى سبيل الله ورغبكم الوعاظ فى البر والاحسان والمشاركة فى الخير بخلتم وأمسكتم وغلت أيديكم الى أعناقكم وصدق فيكم قول الله تعالى (هـا أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل فإنمـا يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالـكم) ، وحين تجودون بالنزر اليسير من المال الـكثير تتبعونه المن والأذى وتقولون قد أحسنا الى فلان فأساء الينـا وتصدقنا على فلانة البائسة فاتخذتهـا عادة وأكثرت علينا وقد أجبنا وساهمنا فى عـدة مشاريع فذهبت أموالنا وأكلها المتلصصون ولم نعرف لها فائدة ولم نجن منها ثمرة .
وأنا أصدقكم فى معظم هـذا وأعرف من أساليب الدجل والإحتيال أشياء لا تحصى ، ولـكن عملكم مشكور وأجركم محفوظ (وإن تك مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ، ومع أجر الصدقة فـإن لـكم عند الله أجر نياتكم الصالحة ، ولا تضيقن صدوركم بما تسمعون من بعض الفقراء الذين إذا منعوا جهلوا وإذا أعطوا لم يشكروا ، فلعل حاجتهم وما يعـانون من الشقاء هو الذى حملهم على الاساءة وعدم الاعتراف بالجميل . والى هذه الآية الـكريمة ألفت أنظار الملوك والأغنياء ومن يستطيع عمل الخير فيتقاعس عنه ولا يفعله وإن الشيء شمه (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مـا بخلوا به يوم القيامـة ولله

ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير)

الحديث التاسع والتسعون

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، قال :

﴿سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بهـا كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النـار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه﴾ . (رواه البخاري ومسلم)

تندلق : تخرج ، أقتاب بطنه : أمعاؤه

الله أكبر ما أشد هـذا الحديث وما أعظم هـذا التخويف ترتعد له الفرائص وتنفطر من هوله قلوب الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه . وكنت أريد ألا أعلق عليه بشيء ولا أكتب عنه شيئاً فهو ترجمان نفسه وفيه من بلاغة النبوة وقوة الحجة ما يغني عن شرحه وما تخرس عنده الألسن وتتحطم دون بيانه الأقلام ، ولـكن مخاطبة بعض الناس تقتضي الاطناب والاسهاب . ونحن معـاشر الوعاظ وإن كنا نحب الصلاح وأهله ونبغض الفساد وأهله مقصرون فيما علينا وكلامنا ضعيف التأثير وقليل الفـائدة لا ينفذ الى قلوب المستمعين ولا يأخـذ بأزمة النفوس الى الفضيلة إلا قليلاً لأنه وإن كان حقاً فقد أشيب بشيء من الباطل وقصد به غير الله نأمر بالجهاد فى سبيل الله ونحن جبناء ، ونحث على الانفاق فى مرضاة الله ونحن بخـلاء وندعو الى العبادة ونحن كسالى ونحذر من المعصية ونحن ضعفاء يتحكم فينا

الشيطان ويغلبنا الهواء فنتبع الشهوات ونتساهل بالمكروهات والمحرمات ويفوتنا الكثير من الواجبات والمندوبات ولا قوة إلا بالله .

استغفر الله من قول بلا عمل   لقد نسبت به نسلاً لذى عقم
أمرتك الخير لكن ما اؤتمرت به   وما استقمت فما قولى لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة   ولم أصل سوى فرض ولم أصم

فيا علماء الدين وورثة النبيين وحملة الشريعة ومستنبطى الأحكام والقوانين أين أنتم من هذا الحديث العظيم أتؤمنون به ثم لا تطابق أعمالكم أقوالكم أم تكفرون به وهو صحيح وشواهده من القرآن واضحة جلية (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) فلئن كان على غيركم اجتناب الشر وفعل الخير فحسب فإن عليكم ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس من يعلم كمن لا يعلم ومن ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا . ومثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه . وان قوماً من أهل الجنة لينطلقون الى قوم من اهل النار فيقولون ما شأنكم والله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل . وكذلك يجتمع اناس من أهل النار على عالم من علماء السوء فيقولون له كيف دخلت النار وكنت تأمر بالخير وتنهى عن الشر فيقول كنت آمركم بالخير فلا آتيه وانهاكم عن الشر وآتيه . وقد عاتب الله أهل الكتاب بقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) والخطباء الذين تهتز بهم المنابر ويقومون فى الألوف من الناس بالخطب الرنانة التى تفيض حماسة وتسيل حكمة وتشرق فصاحة وبلاغة وتضىء جلالاً وجمالاً سيسألهم الله يوم القيامة عنها وسيقول لهم وهو العالم بهم ما ذا أردتم بها . وفى ليلة الاسراء مر النبى صلى الله عليه وسلم برجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار وكلما قرضت عادت كما كانت فسأل عنهم فقيل له خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون . ومن أولئك خطباء الفتنة الذين يثيرون الحروب ويهيجون

العواطف ويغرون العـداوة بين الناس بذكر محـاسن بعض ومساوى بعض آخر يمدحون الفجرة ويذمون البررة يدعون الى البدعة ويصدون عن السنة ويشيدون باعمال الظلمة ويشبهون الفراعنة والجبابرة بانبياء الله والملائكة المقربين . وليت ذلك منهم دفاعاً عن باطل اعتقدوه حقاً أو خطأ وكذب حسبوه صواباً وصدقاً ولكنه الدجل والنفاق والتزوير والكذب والبهتان والتغرير . ومثلهم والله بل أشـد منهم وأضر على الدين والمجتمع كتاب الجرائد الذين يظهرون لمن لا يعرفهم بمظهر الاصلاح ويزعمون انهم الوطنيون المخلصون والعلماء المجددون والزعماء المنقذون والحقيقة أنهم نفعيون ماديون لا يفكرون إلا فى ترويج بضاعتهم واستمالة قلوب المشتركين الذين تختلف رغباتهم فيما يقرؤن فإذا كتب الخبثاء عن محاسن الاسلام أو سيرة النبي عليه الصلاة والسلام أو الصحة أو التعليم أو اصلاح الحكومة والأمة فانما ذلك الدهاء ومعرفـة ما يتناسب ورغبات زبائنهم وعملائهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخـادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون) فـا أشد حاجتنا الى اصلاح انفسنا أولاً ثم الى اصلاح الخاصة منا ومن الفرد الصالح يتكون المجموع الصالح ومن عجز عن اصـلاح نفسه فهو عن اصلاح غيره أعجز ومن بدأ بها فنهاها عن غيهـا وهداها سبيل الرشاد فهو الحكيم المفلح والصالح والمصلح (قـد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وليس المراد أن نترك القيام بالواجب ونسكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنجمع بين إثمين ونقع فى خطيئين ونحن نعلم . واذا تواكلنا وحسبنا الأمر فرض كفاية وقال قائلنا هذا على فلان وهذا ليس من شأنى وأنا قصير الباع وقليل البضاعـة وذنوبى كثيرة فمن يعظني ومن يرشـدنى وأنا الى الوعظ والارشاد احوج تعطلت الاحكام واستبيحت الحدود واستحق الجميع قول الله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داؤد وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) والانسان لا يحتقر

ذاته ويستصغر مقامه وقدره فيسكت على منكر رآه أو يرضى بمخالفة أمر الله وهو يقدر على الانكار بيده أو لسانه . ومن رزقه الله لساناً ناطقاً وقلماً سيالاً فعليه من الارشاد وتوجيه من حواليه ما ليس على المؤمن الضعيف العيي وكل ميسر لما خلق له . وأعظم الواجبات وأكبر المهمات التي ميز الله بها الأمة المحمدية على سائر الأمم وفضلهم بها على الأولين والآخرين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وعملاً ولله عاقبة الأمور وقالت امرأة يا رسول الله من خير الناس ، قال : (أتقاهم للرب عز وجل وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر) . وكلنا بحمد الله نستطيع الكلام ونقدر عليه وكتاب الله وسنة رسوله بين أيدينا وانا لنتمتع بحرية القول ونكتب كيف شئنا ونخطب كما أردنا ولكننا بحاجة الى معرفة الأمراض التي يجب علاجها ومكافحتها والى معرفة الادوية الناجعة والارشادات النافعة ثم الى العمل قبل كل شيء وفى كل شيء وبعد كل شيء (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب) .

الحديث المتمم للمائة

عن أبي هريرة رضى الله عنه :

(أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان عبداً أصاب ذنباً فقال يا رب انى أذنبت ذنباً فاغفره ، فقال له ربه علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال ثم أذنب ذنباً آخر فقال يا رب انى أذنبت

ذنباً آخر فاغفره لى ، قال ربه علم عبـدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخـذ به فغفر له . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبـاً آخر وربما قال ثم أذنب ذنباً آخر فقال يا رب انى اذنبت ذنباً فاغفره لي ، فقـال ربه علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فقـال غفرت لعبدى فليعمل ما شاء﴾ . (رواه البخارى ومسلم)

تباركت وتعاليت يا غفار الذنوب وستار العيوب فأنت الذى تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات ولا تنفعك طاعـــة المتعبدين ولا تضرك معصية من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ولكنها الأعمال تحصيها لعبادك ثم توفيهم إياها فمن وجـد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فـلا يلومن إلا نفسه . سبحانك جـل شأنك تبسط يدك بالليل ليتوب مسىء النهـار وتبسط يدك بالنهار ليتوب مسىء الليل ، وتقول ولك الحمد (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وفى الحديث القـدسى (يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنـان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم انك لو اتيتنى بقراب الارض خطايـا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) وترغب العصاة فى التوبة والاقبال عليك بأنك تبدل سيئاتهم حسنات اذا تابوا وآمنوا وعملوا الصالحـات وكان الله غفوراً رحيما . فبشرى لكم أيها المؤمنون تحسنون فتثابون وتسيئون فتستغفرون ويغفر الله لكم (والذين اذا فعـلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مـا فعلوا وهم يعلمون) وقد جعل الله التوبة مقبولة من عباده وانّ عظمت سيئاتهم وارتكبوا كبائر الاثم والفواحش ولا معصية بعد الكفر ما لم تطلع الشمس من مغربها أو تبلغ الروح الحلقوم (قـل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قـد سلف

وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين) . وقال أحد المشركين لو لا آية فى القرآن لأسلمت وهى قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) فنزل بعدها (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) الآية . فقال المشرك لا أدرى ماذا أعمل بعد الايمان والتوبة فنزل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) وفى الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه (ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن اعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال أنه قتل تسعة وتسعون نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم اهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فإن بها ناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها أرض سوء فانطلق حتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك فى صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الأرض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة . وفى رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها . وفى رواية فأوحى الله الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له . وفى رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها) . والأخبار والآثار فى التوبة وانها معروضة لأهل المعاصى والآثام كثيرة لا تحصى وبذلك أخبر الله فى جميع كتبه وعلى ألسنة جميع انبيائه لكن لها شروط لا بد منها والتائب

ليس من استغفر الله بلسانه واستمر فى ذنوبه وعصيانه غير نادم ولا مقلع ولا عازم على الترك وأهم تلك الشروط رد المظالم الى أهلها اذ الشرك لا يغفر ابدا وحق الآدميين لا يترك ابدا وما بين العبد وربه يرجى له عفو الله ويخاف معه من عذاب الله والتوبة من ذا وذاك مقبولة على كل حال ولكن من كانت عليه مظلمة لأخيه فليؤدها اليه فى الدنيا قبل أن لا يكون درهم ولا دينار وانما هى حسنات الظالم يأخذها المظلوم أوْ سيئاته يتحملها الظالم إذا لم تبق له حسنة . وأحسن من قال :

كن كيف شئت فان الله ذو كرم   وما عليك اذا أذنبت من بأس
إلا اثنتين فــلا تقربهما ابدا   الشرك بالله والاضرار بالناس

فإن كان الذي على التائب حق مالي وجب عليه رده الى صاحبه ان قدر على ذلك أو يتسامح منه لقوله تعالى (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . ومن عفى عن أخيه عفى الله عنه يوم القيامة (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) واذا صدق التائب فى توبته وعجز عن رد مظلمة كانت عليه لمخلوق تسامح منه ان امكن والا عقد العزم على ردها وان ادركه الموت قبل ذلك فالمرجو له عفو الله وان يتحمل عنه تلك المظلمة والله لا يكلف نفساً الا ما آتاها . واذا غاب صاحب الحق وجب حفظ ماله الى أن يعود أو تسليمه الى من يحفظه له من حاكم أو وكيل ، وان مات فحقه لورثته من بعده وان لم يكن وارث فيتصدق بحقه عليه .

واعرض التوبة وهي الندم   على ارتكاب ما عليك يحرم
تحقيقها إقلاعه في الحال   وعزم ترك العود فى استقبال
وإن تعلقت بحق آدم   لا بد من تبرئة للذمم
وواجب إعلامه إن جهلا   وإن يغب فابعث اليه عجلا
فإن يمت فهي لوارث ترى   إن لم يكن فاعطها للفقراء
مع نية الغرم له إذا حضر   ومعسر ينوي الأداء إذا قدر
وإن يمت من قبلها يرجى له   مغفرة الله بأن تناله

استحل شيئاً من عرض أخيه تسامح منه إن تيسر وإلا تاب واستغفر له ودعا له بخير . أمـا الذى لله عز وجل فليس فيه إلا الرجوع والانابة والاستغفار . ومن تدنس بشيء من قذر المعصية فليغسله عنه بمـاء التوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وليستتر بستر الله عليه قائلاً اللهم إني أصبحت أو أمسيت منك فى نعمة وعافيـة وستر فأتمم علي نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة . وإن لزم حد فى شيء تاب منه المؤمن وقـد علمه الناس فلا يطهره إلا إقامة الحد عليه وإن جهلوه فليستره على نفسه ولا يخبر به أحداً . وجاءت إمراة غامدية تعترف بأنها حامل من زنا فأعرض عنها النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألحت عليه وأقرت بذنبها غير مرة فدرأ عنها الحد بقوله لها أبك جنون ، فقالت : لا ، فأمرهـا أن تنصرف حتى تضع حملها ، فلما وضعت جاءت به معترفة كما فعلت سابقاً ، فأمرهـا أن تنصرف فترضعه فذهبت ، ثم جاءت وفى يده كسرة خبز يأكلها ، وقالت ها هو ذا يأكل الطعام فأقم على الحد يا رسول الله ، فأمر بها أن تشد عليها ثيابها ثم تحفر لها حفرة تكون فيها وترجم بالحجارة حتى تموت وقد فعل بها ذلك ثم صلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل له فى دلك ، فقـال ، إنها قد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لـكفتهم . (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متابا) . فيا تاركـاً ما أوجبه الله ويا فاعلاً ما حرمه الله تب الى الله قبل أن يأتيك الموت فتندم ولاة ساعة مندم . (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما) ، والتوبة عندنـا مقبولة وإن عظم الذنب وإن كان ما كان ولا يطهر الحد من أقيم عليه إلا إذا تاب ، والمرتد يلزمه قضاء ما فات من الواجبـات أيام ردته . والزنديق الذى لا يصدق بدين ولا يؤمن بكتاب ولا رسول لا تقبل توبته ولا يصدق فى إستغفاره واعتذاره لتلاعبه بالدين وكرانه الشرائع وتكذيبـه بالله واليوم الآخر إلا إذا علم حاله ودلت عليه القرائن أنه قد اقتنع بصحة الدين وأنه من

عند الله والتزم أحكامه فيقبل إسلامه ويصدق فى توبته ويحرز بها دمه وماله وعرضه ثم حسابه بعد ذلك على الله . ومن علم أن له رباً يغفر الذنب ويؤاخذ عليه فلا ينبغي له أن يصر على الحنث العظيم ويوقع نفسه فى جزاء أهل الجحيم ، سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم . ولكن يرجع الى الله ويستغفره ثم ليبشر أنه إذا تاب وعمل صالحاً فسيكون من الذين يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب أنه كان وعده مأتيا . فتارك الصلاة ومانع الزكاة ومفطر رمضان ومدمن الخمر وعاق والديه والزاني والمستحل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما حرم الله ليس بينه وبين النار إلا أن يموت على ذلك وليس بينه وبين الجنة إلا أن يتوب ويقول (ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، والموفق للخير الذى كان يعمل بعمل أهل النار حتى كاد يدخلها يتوب الى الله ثم يعمل بعمل أهل الجنة وتراه بعد ما كان من أخوان الشياطين وقد صار صواماً قواماً قانتاً لله ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فتعلم أن الله قد رضي عنه وأراد به الخير . وعلى قدر الذنب تكون التوبة ومن خاف من الله أتقاه ، وبحسب القرب تكون المعرفة ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا (أعرفكم بالله وأتقاكم له) . والله جل ذكره يدعو العباد الى رحمته ويفتح لهم أبواب مغفرته ويعدهم بما يرضيهم فيقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) .

وبهذا تتم المائة الحديث المروية فى صحيحي الامامين البخارى ومسلم رحمهما الله ورضى عنهما ويتم أيضاً ما أردت أن اكتب عليها من الشرح والايضاح الذى يصف حالتنا الاجتماعية ويدلنا الى الصراط المستقيم الذى لو مشينا عليه لانتهى بنا الى العز والكرامة فى الحياة الدنيا والى الجنة ومرضاة الله فى

الآخرة . وفقنا الله جميعاً الى كل خير وجنبنا كل شر وحبب الينـا الدين وتعاليم الـكتاب المبين وسنة سيد المرسلين محمد بن عبدالله خاتم النبيين عليـه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التحيـة والتسليم وعلى آلهم الطيبين الطاهرين وعلى جميع الصحابة والتـابعين وعلينا ومعهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين والحمـــد لله رب العالمين . (وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمـكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

ملاحظة

كان الفراغ من جمع هذه الأحاديث والتعليق عليها فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ هـ. وهو الوقت الذى وصل فيه الأخ عبدالله بن عبدالله بن حسين الـكدادى لزيارتنا من بيحان بعد غياب احدى عشر عاماً وذكرنى قدومـه قول النبي صلى الله عليه وسلم ، الله أكبر لا أدرى بأيهما أسر أكثر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر أوكما قال . وفى الثانى والعشرين من شهر رجب هذه السنة وهو اليوم الذى ولدت فيه وبه تم لي أربعون سنة من العمر كان الفراغ من تهذيب الكتـاب وترتيب أحاديثه وكان أيضاً الشروع فى طبعـه بمطبعة فتاة الجزيرة بعدن . وانه ليسرنى موافقـة هذه الآية الكريمة بعدد حروفها لتاريخ سنة ست وستين وثلثمائة والف هجرية (فانمـا عليك البلاغ) والتوفيق بيد الله وهو المسؤول أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم آمين .

ولا أحب نشر ما تفضل به المحبون من الأخوان عن هـذا الـكتاب وآرائهم فيه إلا كلمـة سيدى واستاذى صاحب الفضيلة الشيخ احمد بن محمد بن عوض العبادى فأمر لابد منه . قال حفظه الله :

لقد طالعت الـكتاب الجليل المسمى باصلاح المجتمع لمؤلفـه شهاب الدين العالم الربانى فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحانى فوجدته اسماً طابق مسماه ومنية

العاطش الذى طالما تمناه ، لما فيه من المباني الجذابة للسامع والمعانى الخلابة بكثرة المنافع والمواضيع المستطابة للمطالع والمراجع ، فقد حوى متنه من الأصول أصحها متناً واسنادا واجلها استشهادا واسلمها عند الفحص انتقادا ، ومن الفروع المستنبطة من الاصول ما طابق فيها الدليل المدلول والعلة فيها المعلول ، فهي الأمنية المفقودة لراغبها والضالة المنشودة لطالبها .
نعم انه الكتاب الذى لا يستغنى عنه المعلم فى تعليمه ولا الواعظ فى وعظه ولا الكاتب فى كتابته ولا الخطيب فى خطابته ولا الشاعر فى صنعته ولا الوالى فى ولايته ولا الراعى فى رعيته ولا الفرد مع مثله لايضاحه ما لكل فرد وما عليه من الحقوق المشتركة والتضامن فى المصالح العامة بحيث لو روعيت تلك الحقوق والمصالح العمومية وانتفت الانانية وأحب كل منا لأخيه ما يحب لنفسه لقويت راوبط الاتحاد ولانتظمت مصالح المعاش والمعاد،
بل هو الكتاب الذى يحق أن يقال فيه أو بمثله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء الحسن وأحيا به ما أماته المتدعون من السنن

كتاب جليل وسفر جميل عزيز الوجود عديم المثيل
يرينا انتظام صلاح العبا د بمعنى قريب ولفظ قليل
حبانا الزمان به صدفة مواضيع فى الذوق كالسلسبيل
أبان بأسلوبه حكمة تنير الفؤاد وتشفى العليل
كأن المطالع فى روضة وفيها الثمار وطل ظليل
حوى كل معنى يزكى النفو س اذا اتبعته ويروى الغليل
أرانا الحقوق وأحكامها وأوضح برهانها والدليل
مهذب ذي خلق سيء فيأنف منه ويهوى الجميل
وجادت به فكرة تقتفى سلوك الحبيب ونهج الخليل
فلله منشيه من عالم له فى المعارف باع طويل

٧/١٠/١٣٦٦ هـ = ٢٣/٨/١٩٤٧ م.

محتويات الكتاب وابحاثه

طبع في

مطبعة فتاة الجزيرة بعدن